ثمانية وثلاثين يوم في

مدينة الضباب

محمد سعيد الشيخ علي الخنيزي



ثمانية وثلاثين يوم
في مدينة الضباب

الطبعة الأولى
١٤٣٩هـ - ٢٠١٨م

ISBN: 978-614-426-849-0



دار روافد
للطباعة والنشر والتوزيع
بيروت - لبنان
ت: 71/868980
darrawafed@yahoo.com
التنفيذ الطباعي - دار المحجة البيضاء



أطياف للنشر والتوزيع
هاتف/ فاكس : ٨٥٤٩٥٤٥ (٣) ٩٦٦+
القطيف - شارع القدس
ص. ب : ٦١٢١٥ القطيف ٣١٩١١
المملكة العربية السعودية
E-mail:atyaf-pd@hotmail.com

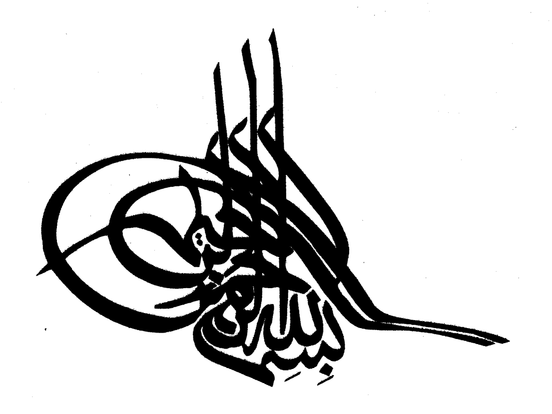
ثمانية وثلاثين يوم في مدينة الضباب

محمَّد سعيد الشَّيخ علي الخنيزي





دار روافد
للطباعة والنشر والتوزيع



الإهداء

إلى الذين حرمتهم الحياة من مِتَعِهَا وصارعوها في أحداثها أهديهم هذا الحرف لما فيه من عِبَر وتجارب ليكون لهم درساً فيتحلوا بالصبر فيفوزوا برضوان الله وذلك هو الفوز العظيم.

محمد سعيد الشيخ علي الخنيزي

توطئة

لعل من الخير أن أرسم خاطراتي التي مرّت عليّ في رحلتي العلاجية وأسجل كل ما مرّ بها من أفكار أدبية أو علمية وكل ما مربها من أحداث لتكون ذكرى للأجيال وفصلاً من فصول حياتي.

وقد يقول معترض: ما فائدة هذه الخطرات الشخصية لأنها تختص بحياةٍ شخصية وكيف يصح لك أن تذيعها على الجمهور.

فجوابي: إذا كان الجمهور منغلقاً فقد يستنكرها ولا يقبل بها.

أما إذا كان المجتمع منفتحاً فيرحب بها ويعدها من المذكرات المرغوب في قراءتها ويرحب بنشرها ويحثُ ويدعو لقراءة هذا اللون من القصص والحكايات أكثر من الذين يقفون ضدها؛ لأن هذه القصص يرغب في قراءتها الشباب المتفتح الصاعد الذي يتطلع إلى الحياة المستقبلية ويأخذ منها عبرة وعبراً فالماضي مرآة للحاضر ومن لا ماضيَ له لا حاضر له.

إن رحلتي هذه اكتنفتها عوامل حدّت من نشاطي الفكري واتصالي برجال العلم والفكر بخلاف الرحلة الماضية الأولى التي سجلّتُ أحداثها في كتاب أسميته (أيام في لندن) حيث لم تكتنفها العوامل التي اكتنفت الرحلة الثانية

وهذه التوطئة مدخل للحديث عنها فلابد من هذه التوطئة لأنها تعطي القارئ صورة متحركة ليعرف الأهداف التي أريد أن أرسمها في هذا الكُتيب ليستفيد منه القارئ العزيز وله حرية النقد في ما يراه على ما جاء في هذا الكُتيب من قصص الرحلة، فأنا أؤمن بحرية النقد البناء وليس النقد الهدام الذي يكون باعثه الحسد أو الحقد أو الامراض النفسية، فالإنسان في هذه الحياة ميوله الغريزية تنعطف به في منعطفات ضوئية وتارة في منعطفات غائمة مظلمة فهو يسير فيها على غير هدى فلا بد له من مرشدٍ يحمل له المصباح حتى يسير في طريق مُضاء بالهدى ليوصله إلى مرفأ النجاة والسلامة.

سوف أرتب هذا الكُتيب على فصوله الزمنية راجياً من الله العون والمدد والتوفيق لإكمال هذا الكُتيب وإخراجه كما نحب ويحبه القارئ سائلين من الله التوفيق لما يحبه ويرضاه.

ثمانية وعشرون رجب ١٤٣٥هـ

الموافق ٢٨ مايو ٢٠١٤م

بواعث الرحلة

وقبل أن ندخل إلى فصول الرحلة الثانية لابد من إعطاء لمحةٌ عن الرحلة الأولى التي تكللت بالشفاء والنجاح وإن لم تدم الرؤيا طويلاً حيث لم تتجاوز أكثر من خمسة اعوام وبضعة أشهر فتمتعت بهذه المدة شاكراً خالقي بما تفضل به عليّ من نعمة إلا أنّ مَجَنَ الزّمنِ قَلَبَ ذيلَه فسبّب ما يأثرُ على شبكية العين وسنوضح تلك العوامل التي نجمت وقضت على رؤية العين، وأنا غير متبرمٍ بهذه الإصابة فإني أشكر خالقي والمنعم عليّ بألطافه وأعتقد من صميم قلبي ما أصابني هو من صالحي وإن خفيت عليّ تلك الأسرار التي تدقُ على العقول اللهم إني رضيتُ بقضائك وقدرك.

والرحلة الثانية كالرحلة الأولى فالسببُ والعامل لهما ابني الدكتور وديع في الذهاب إلى المملكة المتحدة لعلاج عيني.

الرحلة الأولى كنتُ لا أبصرُ إلا أشباحاً لا أميزها. فبعد تخطيطي مع الدكتور للرحلة ـ استغرق التخطيط للرحلة مدة

زمنية مع مستشفى أرامكو السعودية ـ وبفضل الله وسعي الدكتور وديع بصفته طبيب ويعرف لغة الأطباء ذلل العقبات وسهّل كل صعب حتى اقتنع الطبيب المختص فأصدر تقريره بالموافقة على أن يكون العلاج في المملكة المتحدة مع مرافقة ابني الدكتور.

ولا بدّ من توضيح اللمحة التي أشرنا إليها آنفاً فنلم بها إلمامةً ولو إلمامة الجزْع أو إشارةً من شاطئ إلى شاطئ فنختصر مقدمات الرحلة الأولى ولا نحتاج لإعادة فصولها لأن الرحلة بكاملها رسمتها في كتاب «أيام في لندن» وهي العامل للرحلة الثانية.

عندما ذهبتُ للرحلة الأولى مع ابني الدكتور وديع كنت أبصر بصيصاً من الضوء أخطو به بعض الخطوات فذهبت مع ابني الدكتور وديع إلى طبيب عام بالعين وبعد فحصه أحالني إلى طبيب مختص بالشبكية فعندما أجرى الفحوص على الشبكية كانت النتائج أن أعطى طبيب القرنية ما يمكّنهُ من زرعها فتم زرعها بعد تردد وعناء لأني لا أملك غير هذا البصيص الذي هو من عين واحدةٍ وكيف أفرط فيه وبعد ترددٍ كثير أجريت العملية فكانت العاقبة خاتمتها سعيدة في الضفر والنجاح. وكان زرع القرنية في يوم الثامن من مايو عام ثمانية بعد الألفين بعد أن استكملت العلاج وطمأنني الطبيب فأعطانا

التعليمات والإرشادات التي أعقبت العملية والقطرات باسمها وترتيب استعمالها.

ومن هذه القطرات قطرة تستعمل عن رفض العين للقرنية وهي أحد العوامل التي أثرت على الشبكية تأثيراً تاماً حتى أصبحت لاعلاج لها لعدم ايقاف قطرة الرفض واستمرار استعمالها خمس سنوات رفع ضغط العين بحيث أمات الشبكية.

أما حديثي في هذا الكتاب عن رحلتي الثانية وعن العوامل التي سببت لي هذه الرحلة من أي يوم بدؤها ومتى انتهت وسوف يعرف القارئُ عندما يقرأ هذه القصة عوامل الرحلة ونتائجها.

كانت لهذه الرحلة بواعث وعوامل فرضت عليّ السفر للمملكة المتحدة حيث إن القطرة التي تمنع رفض القرنية تسبب ارتفاع الضغط في العين فهي ذات حدين تضر وتنفع وتجمع الضدين حتى أن طبيب القرنية الدكتور سعيد اليامي أحد أطباء مستشفى أرامكو السعودية ـ وكان حاذقاً في القرنية ـ قال لي ذات يوم: إن هذه القطرة تسبب العمى وقلتُ له: ما لك لا توقفها فأجاب أخشى على رفض العين للقرنية فهي غريبة على العين ولم أكد أن أصدقه لكثرة نُكَتِه وتعليقه فوقع ما يَحذر.

وقد أخبر الدكتور سعيد ابني الدكتور وديع أنه أوقفها أياماً معدودة ثم ارتأى إعادتها لرُؤيته تغيراً في القرنية وخشى من رفض العين لها فأعاد القطرة وكانت نتيجتها العمى ومن المقدور لا ينجو الحذر.

وإنني راضٍ بما يقدرهُ خالقي عليّ فله الشكرُ والفضلُ والمنةَ فهو الذي أعطى أكثر مما منع وشفى أكثر مما أمرض فلا تحصى نعمه ولا تعد عطاياه.

وكانت نتيجتها السفر مرة ثانية إلى مدينه الضباب لعلاج ما حدث في العين من جديد.

ولا بد لنا من إلمامة ولو قصيرة كعابر شاطئ أو إلمامة الجزْع التي أشار إليها الشاعر العربي الجاهلي فنرجع للرحلة الأولى التي سافرت فيها إلى مدينة الضباب عام ثمانية وألفين ميلادي فنعطي عنها موجزاً مختصراً لأنني رسمتها في كتابي (أيام في لندن) الذي طبع في مطبعة المحجة البيضاء ببيروت لبنان لأن الرحلة الثانية جاءت على أثر الرحلة الأولى فلابد من الحديث عن الرحلة الأولى.

كانت الرحلة الأولى العلاجية لم تكتنفها عوامل فكانت حركة فكرية قبل العملية وبعد العملية وكانت مملؤة بنشاط فكري وحديث علمي كالبحث في تفسير القرآن الكريم والشعرِ والتاريخ للعصر الجاهلي والعصر الأموي والعباسي.

ومن فصول محاورتنا الحديث عن تطور الشعر والقصة إلى أيام قرن الواحد والعشرين.

بدأت الرحلة الأولى من شهر إبريل حتى نهاية مايو عام ٢٠٠٨ميلادي وسجلتُ أحداثها وأبحاثها العلمية والأدبية والشعرية في كتابي (أيام في لندن).

أما هذا الكتاب أسميته (ثمانية وثلاثون يوماً في مدينة الضباب) وأريد يا قارئي أن أبحر بك بزورقي الصغير في بحر هذه الأيام المعدودة كحياتنا المحدودة والمعدودة.

ورجائي من اللطيف الخبير أن يتفضل عليّ من سيبه في استثمارها في رضاه ويجنبني سخطه ويوفقني فيما يحبه إنه مجيب الدعوات.

الدواعي

الدواعي الملحة التي تراكمت كالضباب على مقلتي التي بطّنتها تلك الغيمات فحجبت الضوء وكنت أتحدث دائماً مع طبيبي المختص للقرنية عن العوامل الطارئة التي فوجئت بِها عيني لأني بعد زرع القرنية أغنتني عن غيري وصرت أعتمد على نفسي في حركاتي وسكِناتي غير أن العوامل المؤثرة صيرتني أعتمد على غيري. ومنها: القطرة الخاصة برفض القرنية حيث إنها محددة بزمن محدود ولكن استعمالي لها تخطى الزمن المحدود واستمر استعمالي لها قرابة خمس سنين وسبع شهور فجاءت نتائجها عكسية.

وكان ما كان منها مما ذكرته.

وعلى ضوء ذلك صرت أتدارس مع ابني الدكتور وديع في موضوع ماجدّ في العين فبحثنا هذه الظاهرة مع الدكتور سعيد اليامي المختص بالقرنية كيف المخرج من أطياف هذه الظاهرة المُغِيمة على العين وما صارت إليه من تردي وبعد جهدٍ جهيد

ارتأى الدكتور سعيد اليامي وقرر أن يكون العلاج في مدينة لندن لعل في الإمكانيات العلمية زرع قرنية أخرى بديلاً عنها.

وتمّ إجراء مراسيم الذهاب والتحضير إلى الرحلة وكل ما يحتاجه السفر من متطلبات وفي طليعتها تقريرٌ شامل عن تطورات الحالة التي مرت بالعين من بعد العملية حتى يوم الذهاب ليطّلع عليها الاطباء المختصون بالعين.

فأزفت ساعة السفر بمشيئة الله وكان السفر على خطوط الطيران البريطانية فتحركنا إلى السفر تقلنا السيارة من باب بيتنا في حي الحسين الساعة التاسعة بصحبة ولدي الدكتور وديع وزوجي صديقة علوي المشقاب إلى مطار البحرين عن طريق الجسر.

ووصلنا إلى مطار البحرين الساعة الحادية عشر ليلاً فغادرنا مطار البحرين على الخطوط المذكورة في يوم التاسع والعشرين من شهر محرم ١٤٣٥هجري الموافق اليوم الثاني من شهر ديسمبر ٢٠١٣ ميلادي بعد إنهاء مراسيم السفر لنأخذ مقاعدنا في صالة الاستراحة الخاصة بالدرجة الأولى حتى حانت ساعة السفر ولما قربت ساعة الإقلاع نودي علينا عن طريق مكبر الصوت للذهاب إلى الطائرة وبعد أخذ مقاعدنا تم على اسم الله وحفظه الإقلاع الساعة الثانية وثلاثين دقيقة في صباح اليوم الثالث من ديسمبر ٢٠١٣.

وكانت مدة الطيران ستة ساعات ونصف تقريباً فهبطنا بسلامة الله في مطار هيثرو في مدينة لندن الساعة السادسة صباحاً مع فارق التوقيت بين لندن والمملكة في اليوم الثالث من ديسمبر الموافق ١ صفر ١٤٣٥هـ الموافق ٤ ديسمبر ٢٠١٣ وبعد إنهاء مراسيم الجوازات خرجنا وكانت سيارة تنتظرنا عن طريق أرامكو السعودية فمتطيناها جميعاً لتقلنا إلى الشقة المعدة لسكننا في قلب مدينة لندن في الحي المسمى:

(12/14 reeves mews 10 park mountlodje flat)

وهذا الحي يضم بعض السفارات الدبلوماسية وكانت هذه الشقة مفروشة ومزوّدة بوسائل الراحة والفراش الوفير ومجهزة بالأجهزة الحديثة.

وكان موعدنا مع الطبيب غداً يوم الرابع من ديسمبر الساعة الثانية مساءً بتوقيت لندن...

في مدينة لندن

كانت لي رحلة سابقة في مدينة لندن مع صحبة ولدي الدكتور وديع سمحت الظروف وذللت الصعاب التمتع بطبيعة لندن السحرية وبآثارها التاريخية وما جد عليها من التطور فتجولتُ في حدائقها ومن ضمنها زرتُ حديقة (الهايد بارك) وهذه الحديقة القديمة الأثرية لها دورٌ خطير في حياة البريطانيين لكثرة ما يرتادها السواح والمواطنون البريطانيون لاتساعها وما تحتويه من الترفيه وتخصيص قسم منها لحرية الرأي ولو كان النقد في الذات الملكية لا يحاسب على ما قاله.

وقد وصفتها كما وصفتُ الزيارة لمعالم لندن الأثرية وزيارات المؤسسات الفكرية والمحاورات التي دار فيها النقاش بين أرباب العلم وذوي الثقافة كلها رسمتها في كتابي أيام في لندن فلا حاجة لإعادتها ومن أراد الإطلاع فليرجع إلى الكتاب المذكور حتى كتبت قصيدة في نهر (التايمز) وقد

زرته عدة مرات وعلى إحدى ضفتيه البرلمان وساعة (بك بن) والكنيسة المختصة بشؤون الأسرة المالكة كالعقد والطلاق فلا تكاد تحس بغربة أو ملل أو قرف.

أما هذه الرحلة التي نعيشها اليوم قد اكتنفتها عوامل حالت بيني وبين التمتع بتلك المناظر التي تمتعت بها في الرحلة الاولى.

وهذه العوامل كانت في طريقي كالصخرة الكؤود فهي عوامل كُثر.

أحدها: الرحلة في قلب الشتاء.

وثانيها: العامل الجوهري المعطل للحركات وسكنات عيني التي لم أستطع أن أتمتع بها كالرحلة الأولى فلا أستطيع أن أعتمد على نفسي حتى أتمتع بعيني التي ترسم المناظر كعدسة المصور تلتقط كل منظر تمر عليه.

والعامل الثالث: إصابتي بفقرات الظهر التي ألمّت بي فأوقفت حركاتي وسكناتي بحيث تضغط على العمود الفقري فتوقف الحركة.

وهذه أخطر العوامل التي ألبستني بيتي ومنعتني من الاتصال بالمجتمع ومشاركتهم أفراحهم وأتراحهم.

رابعاً: كان زوجي معي فهي لأول مرة تزور أوروبا وتعاني

من مرض نفسي تحت إشراف أطباء نفسيين مختصين وتتناول بعض الأقراص تسبب لها النوم والاسترخاء لا تستطيع أن تتحرك كثيراً لاستعمالها هذه الأقراص فلا تسمحُ نفسنا أن نتركها وحيدة في الشقة ولابد أن تصحبنا في خروجنا وحركتنا وسكناتنا.

وكان ابني الدكتور وديع هو محور الرحلة والحركة والسكون فلا نستطيع أن نعمل صغيرةً أو كبيرةً إلا بمساعدته فهو بعد الله المحور لنا وهذا من فضل الله ومدده أن يرزقني ولداً مثل الدكتور وديع وإخوته علي وأديب ونبيه فأحمده وأشكره على هذه النعمة فإن نعمة الأولاد من الله تأتي بعد نعمة الإيمان بالله ورسوله وآله الأطهار فكان الدكتور وديع هو الحركة لنا في رحلتنا وفقه الله لطاعته ومرضاته وأبقاه الله وإخوانه ووفقهم جميعاً ببر والديهم. وبرغم هذه العوامل نعيشُ عيشةٌ هادئةٌ مريحةٌ لم نشعر بغربةٌ حيث عشنا جواً عائلياً مرحاً فكأنا نعيش في وطننا مع أحبابنا لأن الوسائل الحديثة حطمت الحواجز التي تحجب بينك وبين من تريد وما عليك إلا أن تضغط على زر الهاتف لتشاهد وتخاطب من تريد وكأنه وإياك في غرفة واحدة فيصح أن نقول إن العالم طوي ونشر في شاشة الحاسوب وهذا بفضل العقل الذي منحه الله للبشر نعمة منه وفيضاً من لطفه وعطياته.

ولولا العقل لكان الحيوان أفضل من البشر أو في مستواه لكن العقل ميزه وأعطاه هذه الطاقات التي ذلل بها الصعاب وسخرَ له الحياة فالعقل جوهر من الله لا يعدله شيءٌ ولا أفضل منهُ إلا طاعة الله ورضوانه أكبر.

لقد خرجت بك يا قارئ عن الرسمة التي رسمناها حتى مطلع يومِ الرابع من ديسمبر٢٠١٣ ميلادي الساعة الثالثة بعد الظهر موعد الطبيب لنرى ماذا في صفحات اليوم وماذا يتجدد في ساعاته مع الطبيب فنحن في لهفة وشوق وخوف وحذر فلنطوي يومنا لننتظر الغد فإنِ غداً لناظره قريب.

موعد الطبيب

كان موعدنا المحدد مع طبيب القرنية يصحبنا ممثل أرامكو (أحمد العوفي) في ذهابنا للموعد المحدد لعيادة طبيب القرنية دكتور (moorfields eye hospital) استشاري العيون وزراعة القرنية والليزر وبعد إجراء الروتين النظامي أُدخلت على الطبيب مع ابني الدكتور وديع لأنه همزة الوصل والمحور التي تدور عليه الرحلة العلاجية وهذه من نعم الله عليّ حيث إنه طبيب استشاري يكلم الطبيب بلغته ويعرف ما يدور في آفاقه العلمية وبعد فحص الطبيب ودرسه تقرير زرع القرنية السابقة التي مضى على زرعها مايزيد على خمسة أعوام تقريباً ووصفنا له كيف فوجئتُ بضعف الرؤية حتى صرت لا أنتفع بها وقلت له: إن الأزمة بدأت معي عندما أزيلت غرُرَز العملية وكان المشرف على العلاج بعد العملية الدكتور سعيد اليامي بمستشفى أرامكو وكان عددها تقريباً٢٦ غرزة فبدأ النظر يتدهور ويتنازل مع قطرة الرفض التي تمنع رفض القرنية

وفاجأني الدكتور سعيد بأن هذه القطرة قد تسبب العمى وكنت أظنه يهزل فقت له: لما لا توقف هذه القطرة لكنه لم يوقفها حيث قال: وجدت في العين إشارة للرفض فأبقيتها.

وبعد فحص الدكتور للعين وافقَ الدكتورَ سعيد في سبب انعدام الرؤية هي قطرات الرفض فقال: لا أظن لعملية إزالة الغرز دور في تأثيرها على الرؤيا وإنما التأثير للقطرة التي استعملتها مدة طويلة عن الرفض فقد دمرت الشبكية أما القرنية لا تزال سليمة ولم تتأثر إنما التأثر صار في الشبكية ولا علاج لها وسوف أعطي تقريراً لتذهب به لطبيب الضغط ولم يوقف قطرة الرفض إنما أبدلها بقطرات أقل منها تأثيراً في رفع درجات الضغط وقلت: لابني الدكتور وديع أطلب منه أن يحيلنا إلى الدكتور david s.gartry الذي زرع القرنية في الثامن من مايو ٢٠٠٨ م.

وقال: أنا أعلم منه في القرنية وقد شاخ وشاخت طبابته.

وخرجنا من عيادته ننتظر تقريره لنذهب به إلى vincenzo maurino md دكتور جون بروكس استشاري بالعيون والماء الأزرق والماء الأبيض والمختص بالضغط ونراجع توفين سكرتيرته لأخذ التقرير والموعد عن طريق مندوب أرامكو أحمد وبقينا عشرة أيام ننتظر الموعد فطلبنا من ممثل أرامكو أن يأخذ لنا موعداً عند الدكتور(ديفيد كارتي) مجري العملية

السابقة فوافق على ذلك فاتصل المندوب بعيادة كارتي لتحديد الموعد وكنا على أواخر أيام ٢٠١٣ ميلادي فحدد له موعداً في شهر يناير العام الجديد ولكن ابني الدكتور وديع اتصل بهم وكلمهم بلغة الطب واختصر الأيام فحدد لنا موعداً مساء الثالث عشر من شهر ديسمبر وعندما حان الموعد ذهبنا لعيادته مع ابني وديع وعندما فحص العين وافق (مرينوَ) في سلامة القرنية.

وقال: إن تأثر الرؤية من قطرة الرفض أما عملية إزالة الغرز فلعل لها تأثيراً ولا أستطيع أن أُوقف قطرة الرفض والذي يستطيع هو طبيب الضغط ولا علاج للشبكية في كتاب الطب ـ وكان الملف السابق لعلاج زرع القرنية على مكتبه ومحيطاً بما فيه ـ إنما أحيلكما لدكتور الضغط لعله بعلاجه للضغط ربما تستفيد في تحسن الرؤية وأنا أستغرب من (مرينو) كيف أبدلها بقطرة أقل منها مادة كيماوية مع أني أعلم منه ولكنني لا أتصرف إلا في اختصاصي أما إيقاف قطرة الرفض أو إبدالها لأنها من اختصاص طبيب الضغط لا طبيب القرنية ولِمَاذا ذهبتم للدكتور (مرينو) ولم تأتوا إليّ؟

فرد عليه ابني: إن ممثل ارامكو السعودية هو الذي أخذ الموعد وحدده مع (مرينو) لأنه لا يوجد عنده خلفية مسبقة عن أن العلاج السابق كان عندك لأن الممثل الأول قد مات وهي (آن) فكان العلم عندها.

فطلب من السكرتيرة أن تبعث تقريرها إلى طبيب الضغط وتحدد موعداً معه وتتصل بنا أو بممثل أرامكو هاتفياً.

بقينا ننتظر الموعد وبعد يومين دق جرس الهاتف فهاتفهم ابني الدكتور وديع والمهاتفة كانت سكرتيرة دكتور الضغط لتحدد الموعد لزيارة الدكتور في العيادة مساء اليوم الواحد والعشرين من شهر ديسمبر الساعة الخامسة مساءً فبقينا ننتظر الموعد حتى حانت ساعة الذهاب فمضينا له في العيادة.

وبعد فحصه الطويل قال تأثرت الشبكية لاستعمال قطرة الرفض فأوقفَ استعمالها وجميع القطرات السابقة ووصف قطرة للاستعمال وحدد موعداً آخر في مساء الخامس من شهر يناير ٢٠١٤ ميلادي بعد عطلة عيد الميلاد مع رأس السنة ـ وكان همزة الوصل في لغة التخاطب مع الأطباء كلها يديرها ابني الدكتور وديع لمكانته الطبية التي خولته أن يحترمه أطباء لندن فهو يتكلم معهم بلغة الطب ويترجمها لي ويأخذ مني الأسئلة والرد ـ وخرجنا من طبيب الضغط ننتظر الموعد الأخير كما أحالنا بعد أن كتب تقريره إلى طبيب النظارات لعل النظارة تساعدني لتكبير ملامح الرؤية فانتظرنا الموعدين لنذهب لهما.

نحن في انتظار الموعدين

وبين حروف الأيام وفصولها نغتنم هذه الفواصل لنقومَ ببعض الزيارات لمعالم لندن القديمة وأحياناً لمؤسسة الإمام السيد الخوئي (رضوان الله عليه) ـ وهذه المؤسسة الفكرية هي كالقمر في سماء مدينة لندن تفيض على المسلمين نوراً من تعاليم هدي النبي الخاتم صلى الله عليه وآله وأهل بيته الأطهار ـ ونستقبلَ في سكننا ثلة من كوكبة العلماء ومن المفكرين فلم نشعر بغربة وسوف نتحدث عما دار من أبحاث علمية أو أدبية أو تاريخية فنوردها لعل يكون فيها فائدة للقارئ وسوف نجعلها في ختام الرحلة عندما ننتهي من مراجعة الأطباء ونقف على خاتمة الفحص والعلاج فنطوي صفحته لنفتح صفة جديدة بعيدة عن آفاق الطب وما فيه من حياةٍ رتيبةٍ ومجهدةٍ إذ هي لا يدخلها إنسان إلا وهو مضطر لها ومجبور على دخولها ومرغم أن يصبر على ما فيها من ألوان الآلام والمعاناة فلننتظر حينما نغلق باب العلاج ونطوي صفحات

ومراجعات عيادات الأطباء لنفتح أفقاً روحياً نتمتع به ولو قليلاً بغذاء الروح وننتشي بتلك النشوة ـ وهي الظفر بنيل المطالب العلمية بالفكر والفوز بها ـ فإنها لا يعدلها نشوة مثل هذه النشوة.

وقد يردُ عليها: أنها لا تبلغُ حد وصفكَ لها.

فيجاب عليه: (العقل السليم في الجسم السليم).

ثم لابد للمريض من أن يتسلح بمفاتيح الصبر في جو هادئ مطمئن النفس مستسلم لقضاء الله وراضياً به.

ونسأل الله العزيز الحكيم أن لا يحوجني وإخواني المؤمنين إلى هذه المعاناة وكثرة المراجعات الطبية.

ونود أن نلفت النظر إلى أن الطب ضروري للبشر لا يُستغنى عنه. وهذه اللفتة لا جدال في صحتها بل هي من الشكل الأول المنطقي ولا يستطيع الإنسان أن يعيش بدون أن يفزع للطبيب إذا ألمّ به مرض أي إلمامة من نوع المرض، وعندما يمن الله عليه بالشفاء ويَبِلُ من مرضه ويشعر بالعافية كأنه في حياة جديدة وُلد من جديد لنعمة العافية التي مَنَّ الله عليه بها.

فإذا كان من الشاكرين وسجد لله شكراً فهو يمثّل رجل الإيمان، وحينها يظفر بما لا يحلم به، عندها يشعر بنشوة كأن الدنيا ملك يديه.

الموعد مع الطبيب الاستشاري
للماء الأزرق جون بروكسي

وبعد خروجنا بيوم اتصل الدكتور وديع بعيادة الدكتور جون بروكسي ليحدد الموعد مساء اليوم التاسع عشر من نوفمبر٢٠١٣ ميلادي وذهبنا له في تلك الأمسية المحددة وبعد أن شرح له ابني الدكتور وديع قام بإجراءات طبية ففحص العين ووزن القرنية وخرج بنتيجةَ هي النتيجة التي اتفق عليها الأطباء الدكتور سعيد اليامي طبيب أرامكو السعودية والدكتور مرينو والدكتور كارتي وهي أن السبب العامل في تدهور الرؤية قطرة الرفض فأوقفها ولكن بعد فوات الأوان وأبدل القطرات بقطرات أخرى.

وعندما سألته هل تتحسن في المستقبل الرؤية طمأنني وقال: ربما ولكنني لا أضمن ذلك لأن قطرات الرفض أثرت على الشبكية.

وعند الموعد الثاني تبينت الحقيقة وحدد الموعد مساء يوم

الخميس الثاني من شهر يناير ٢٠١٤م وفي خلال انتظارنا لهذا الموعد ذهبنا لطبيبة النظارات شرئتي لكهاني بعد موعد الدكتور جون بروكسي وكان موعدنا معها مساء الثالث والعشرين من نوفمبر، فذهبنا لها في هذا المساء، وبعد الفحص الطويل وما لقيتهُ من عناء بفحص العين تعبت العين بسبب تكرير الفحص؛ حيث تتعاقب النظارات في اختلاف عدساتها لنظر العين.

وبعد هذا الفحص الطويل شرحت الدكتورة كيفية استعمال النظارة وحددت استعمالها مادمت جالساً وحظرت لبسها في المشي حيث تسبب دوراناً قد يوقع بك للأرض.

فقلت في نفسي: ما فائدة هذه النظارة إنما هي من أجل التجارة حيث أصبح الأطباء يتاجرون بطبهم حتى في أوروبا، ولذلك لم أبتع النظارة.

ولعل من الخير لها أن لا تصف هذه النظارة وتكتفي بما وصلت له من فحص.

ولكن ليس في الإمكان أبدع مما كان.

وبقينا ننتظر آخر زيارة للطبيب المستشار في الماء الأزرق جون بروكسي.

وتلبد جو هذه الرحلة بالضباب الداكن لأنها كانت فاشلة،

والنتائج الطبية تدل على عدم نجاحها فضبب ليلها العاتم في أفق نفسي بالعكس من الرحلة الأولى التي عدت منها بظفر وحياة جديدة.

ولكنني أشكر الله وراضٍ بقضاءه واعتصمت بحبله إذ لا عاصم إلا هو ولا حول ولا قوة إلا به.

ولو كان الصالح لي في الحياة غير مكان لما كان الذي كان فمن حكمته ما وقع عليّ صالح لي ونعمة منهُ.

وما يُجري خالقنا على عبده من نفع أو ضُر أو غنىً أو فقر إلا في صالح عبيده فإنه بهم رؤوف رحيم فالحمد لله على ما أعطى وتفضل، ولولا نعمته لكنت من الضائعين ولولا رحمته لكنتُ من الهالكين فبفضله استغنينا وبنوره اهتدينا.

يريدُ العنا دون الغنا وله الفضل ويمنعنا والمنع منه هو البدل

للطف خفي منعهُ وعطاءه ينوء ويَكبو دونه الفكر والعقل

هاذان البيتان لسيدي الوالد الإمام الخنيزي يلخصان الحقيقة للعبد المؤمن الذي ليس له في هذا الوجود حول ولا قوة إلا بالله وهو يجهل جهلاً مركباً وتَخفى عليه الأسرار، وقد أشار خالقنا جلت قدرته إلى هذه الحقيقة بقوله تعالى:

﴿فَأَمَّا ٱلْإِنسَٰنُ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ رَبُّهُۥ فَأَكْرَمَهُۥ وَنَعَّمَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّىٓ﴾.

فإذا كنا مؤمنين بالله فلابد أن نعتقد أن الذي أنعم علينا والذي قدر علينا رزقنا هو عالم حكيم بصالح الجميع ولو كشف لنا الغطاء لاخترنا الواقع ورضينا بقضاء الله وسلّمنا به وفزنا برضاه فتكون العاقبة لنا السعادة والفوز بالدنيا والآخرة.

اللهم رضينا بقضائك وسلمنا لأمرك فأدخلنا في حصنك المنيع وكُنفك الركن الركين واجعلنا من المطيعين الشاكرين حتى نفوز برضاك في الدنيا والآخرة.

وصل اللهم على البشير النذير محمد وآله الطيبين الطاهرين والحمد لله رب العلمين.

الموعد الأخير

ونحن في انتظار الموعد فوجئنا بمفاجأة خطيرة أقلقتني وأنستني ما بعيني من ليلٍ داكن. والمفاجأةُ لم تكن في حسْباننا أو تدر في خواطرنا ـ ونحنُ على أبواب العام الجديد في آخر مساءٍ من ديسمبر ختام عام ٢٠١٣ميلادي ـ.

فبعد ذهابنا في تلكَ الأمسية إلى مؤسسة الإمام الخوئي أنا وابني الدكتور وديع وزوجي صديقة علوي المشقاب لنستمع المحاضرات ـ حيث تصادف.تلك الأمسية ذكرى وفاة الرسول الأعظم ﷺ أي: ليلة ثمانية وعشرين من صفر عام١٤٣٥هـ ـ وتكرم علينا الأستاذ السيد محسن ابن السيد عبد الصاحب الخوئي فجاء إلى سكننا بسيارته ليقلنا إلى مؤسسة الإمام الخوئي جده فذهبنا معه ـ ومن الصدف التاريخية ليلة الأربعاء يصادف نصفها نهاية ديسمبر نهاية عام الثالث عشر بعد الألفين ميلادي وفي الساعة الثانية عشرة من تلك الليلة يطل العام الجديد الرابع عشر بعد الألفين ـ فأخدنا مقاعدنا في ذكرى

وفاة سيد الأنبياء والرسول الأعظم ﷺ بل سيد الخلق من الأولين والآخرين وخاتم المرسلين ففتح الخطيب حديثهُ عن السيرة العطرة وعن حياة أفضل البشر الذي بُعث رحمة للعالمين الخاتم ﷺ لا العالم وحده بل لجميع الموجودات التي تعيش على هذا الكوكب المسمى بالأرض

واعتلى أعواد المنبر المحاضر السيد هاشم شبر فتحدث عن حياة مليئة بالخيرات، كلُها أضواء وعطاء وفيض من خالق منان ورب قدير واستغرق في محاضرته قرابة ساعة، وعندما نزل من المنبر جاء وجلس على مقعد بجانبي قاصداً التحدث معي فوجه لي استفهاماً ما رأيك في محاضرتي؟ فقلت له: نِعْمَ المحاضرة، فأصرّ عليّ إذا كان لديك ملاحظات عليها فأفدني، فسكت، ثم أصرّ عليّ، فقلت له: أتفتح صدرك لملاحظاتي ولا تضيق بها ذرعاً، فرحب بذلك ترحيباً، فقلت له: لدي ثلاث ملاحظات على محاضرتك:

الأولى: إن الذي جاء إلى الرسول ﷺ الوليد لا الشخص الذي ذكرته ـ ولا يحضرني الاسم الذي ذكره السيد هاشم شبر ـ وبدأتُ أقص ما قاله الوليد أبو خالد، فالوليد كان أحد طغاة قريش ومن الأغنياء العظام فجاء إلى الخاتم ﷺ وقال له: اقرأني من قرآنك، فلما قرأ عليه ﷺ أحد سور الحواميم، وعندما وصل إلى الآية الكريمة ﴿فَقُلْ أَنذَرْتُكُمْ صَٰعِقَةً مِّثْلَ صَٰعِقَةِ

عَادٍ وَثَمُودَ﴾ انتفض الوليد وشعر بهزات تأخذه من رأسه إلى قدمه ووضع يدهُ على فم الخاتم، وقال: كاف ذلك. لأنه لم يستطع لسماع هذا النور الذي يبدد الظلام المتلبد في آفاق النفوس الجاهلية فيحطم أصنام الشرك التي لا تضر ولا تنفع، فخرج من عند الخاتم ﷺ وجاء لقومه وأحاطت به ثلة من طغاة قريش، فسألوه: ما خبرك بعد مقابلتك مع محمد ﷺ، فقال: سمعت كلاماً ليس بكلام كاهن ولا بكلام شاعر ولا كلام سجع وإن له لحلاوة وإن عليه لطلاوة وإن أعلاه لمثمر وإن أسفله لمغدق وإنه ليعلو ولا يُعلى عليه.

الملاحظة الثانية: إنك قلت يُعلى ولا يَعلو عليه. فهذا التعبير عَكَسَ المعنى وخالف البلاغة. والصحيح أنه يعلو ولا يُعلى عليه.

وقد صدق المشرك فكل كلام ومنطق وبلاغةَ تنحط عنه كما بين السماء والأرض.

الثالثة: في الشعر الذي استشهد به:

يـأيـهـا الـرجـل الـمـعـلـمُ غـيـرهُ
هـلا لـنـفـسـك كـان ذا الـتـعـلـيـمُ

تَصف الدواءِ لذي السقام وذي الضنَى
كَـيـمـا يـصـح بـه وأنـت سَـقـيـمُ

إبـدأ بِـنَـفـسـك فـانـهـهـا عـن غـيِّـهـا

فـإذا انـتـهـت عـنـه فـأنـت حـكـيـمُ

فَـهـنـاكَ يُـسـمـع مـا تـقـول ويُـشـتـفـى

بـالـقـول مـنـه ويـنـفـع الـتـعـلـيـم

فقلت له: أنك قرأت البيت الثاني:

تصف الدواء لذي السقام وذي الضنى

كـيـمـا يـصـح بـه وأنـت سـقـيـم

والصحيح كما هو في حافظة الذاكرة:

تـصـف الـدواء وأنـت أحـوج لـلـدواء

وتـعـالـج الـمـرضـى وأنـت سـقـيـمُ

فأجابني: أن حفظي حسب الرواية التي قرأتها.

فقلت له: أن روايتي للبيت أفصح من تلك الرواية التي قرأتَها تعليقاً على رواية حفظه.

فأجابني: إنني وجدت هذه القراءة للبيت مروية في أحد الكتب الأدبية ـ وبعد إيابي من مدينة الضباب وجدتُها كما رواه الخطيبُ في (قطر الندى وبل الصدى) لابن هشام، وهذه الأبيات تنسبُ إلى أبي الأسود الذؤلي صفحة (٧٧ ـ ٧٨) الذي هو من أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام، وتُروى قصتهُ مع

ابنتهِ وهي: أنه كان الجو هادئاً والليل يغطي المدينة بعتمته والنجوم تتلألأ وتضيئ بزينتها وجمالها

فقالت البنت لأبيها الذؤلي: ما أجمل السماءُ.

فأجابها: نجومُها.

فقالت: ما هذا قصدت إنما أقصد التعجب.

فقال لها: قولي ما أجملَ السماءَ.

ومنذ أطل عليه الصباح لتوّه ذهب إلى الإمام أمير المؤمنين عليه السلام.

فقال له: يا سيدي ومولاي لقد فشا اللحنُ في الناس، وقصّ عليه قصة ابنته فوضع له الإمام عليه السلام قواعد في علم النحو لتحفظ اللغة العربية وتصون اللسان وقال له: اكتب أن الكلام ينقسم إلى اسم وفعل وحرف، كل فاعل مرفوع، وكل مبتدأ مرفوع، وكل مفعول منصوب، إلى آخر القواعد الكلية.

ولا نحب أن نطيلَ لأنها معروفة في كتب النحو.

وتنسب هذه الأبيات لامرئ القيس بن عابس ـ وقام الخطيب السيد شبر وقبل رأسي وشكرني وقال: كثّر الله أمثالك وإني أشكرك على هذا التوجيه.

قلت له: أخجلتني وما أنا بشيء إن أنا إلا ظلٌ بسيط ما

عرَفَ من العلم شيئاً غير أني علمتُ أنني لا أعلم فقام مرة أخرى وقبل رأسي فأخجلني

فقلت له: يا أستاذ أخجلتني بهذه الأخلاق الفاضلة وهذا التواضع، وماذا عملتُ معك حتى أستحق هذا التقدير؟ وبقيت معه حتى انتهاء الاحتفال بذكرى وفاة الخاتم ﷺ.

عدنا مع السيد محسن الخوئي في سيارته وكان له الشكر العميق على هذا التجشم وأوصلنا إلى مقرّنا وبعد استقرارنا وقد بدأت تدب وتتحركُ ساعات الزمن ليطل علينا العام الجديد الرابع عشر بعد الألفين ميلادي حيث دقت الساعة الثانية عشر من ليلة الأربعاء فنشرت صفحة العام الجديد من واحد يناير فأستاذن مني ابني الدكتور وديع ليذهب لمشاهدة مناظر الاحتفال للعام الجديد على ضفاف نهر التايمز، ومنذ خروجه أحسستُ بشيء يضببُ في آفاق نفسي وكئابة تنتشر على تقاسيم وجهي ولم يمضِ على خروجه غير ساعة أو أقل فإذا نفاجئ بعودته وهو يحولق.

فقلت له: ماذا ألمّ بك فعدت.

فقال لي: فُوجئت بإصابة أحد عينيّ فأنا لا أُبصر بها ولا أُميز بها النور من الظلام فهما عندي سواء.

فقلت له: المبادرة للمستشفى حالاً فاتصلنا بمندوب أرامكو السعودية أحمد السوداني فلم يجبنا فبقينا في تفكير

عميق نفكر في مخرج يوصلنا إلى أحد المستشفيات لخطورة الحادث، فانبثق لنا ضوء من رحمة الله فهاتفت الشاب الأستاذ السيد محسن السيد عبد الصاحب الخوئي وطلبت منه إسعافنا بعد ما شرحت له ما ألمّ بالولد الدكتور فلبى ندائي وما هي إلا دقائق فإذا هو بباب مسكننا فذهب مع الولد إلى الإسعاف وكان في تلك الليلة لا يوجد غير إسعاف مستشفى ملكة بريطانيا وكان مزدحماً بالمرضى، وطاقمُ الموظفين غير مكتملين لعطلة رأس السنة، وبعد أن جاءهُ الدور وفحص عينيه الطبيب وشخّص المرض قرر أن لابدّ له من العلاج بالليزر ويبقى مدة سبعة أيام تحت المراقبة وأن يعود الصباح الساعة السادسة وكنت مع وزوجي السيدة صديقة ساهرَين ننتظر عودته، فعاد لنا الساعة الرابعة بتوقيت بريطانيا ووصف لي ما قاله الطبيب، فبتنا ساهرين ظلام هذه الليلة ننتظر الموعد الساعة السادسة صباحاً وكان ينطبق علينا مقولة الشاعر:

تطاول ليلك بالإثمد

وبات الخلي ولم ترقد

وبات وباتت له ليلة

كليلة ذي العائر الأرمد

وذلك من نبأٍ جاءني

وخبرته عن بني الأسود

هذه الصورة التي تصورها هذه القطعة من ألم مضنٍّ في العين الباصرة التي بها تعرف حركات الحياة وتبصرُ بها ما ينعكس على خطوط أسرار وجه صديقك أو عدوك وينعكس عليها الجمال والقبح هي نعمة كبرى من الله وفيضٌ من سيبه ولكن الإنسان لا يقدر هذه النعمة مادام يتمتع بها، وتنسب هذه القطعة لأمرىء القيس بن عانس كما نقلناها من قطر الندى صفحة ١٣٦ السطر ٩ مطبعة السعادة بمصر.

وما حانت الساعة السادسة فإذا الأستاذ السيد محسن يدق الجرس ويهاتفنا أنا بالباب، جاء بسيارته مرةً أخرى لينقل الدكتور حسب الموعد فذهب للمستشفى ولم يعود إلا الساعة الثامنة ولم يعطي الدكتور العلاج لكثرة المرضى وقلة الموظفين فأوجل الموعد للساعه الحاديه عشرة من نفس اليوم الأربعاء ١ يناير ٢٠١٤ ميلادي فسألت ابني وأنا مضطربٌ وقلقٌ هل لتأخير العلاج تأثير على العين فأجابني إذا مرَّ على هذا المرض ٢٤ ساعة ولم يعمل له ليزر تذهب رؤية العين ولا ترجع، فعشنا على انتظار الموعد ونحن على جاحمٍ من نار حتى حانت الحادية عشرة وكأنا نعيش على أجنحةٍ من لهيب حزن فإذا بالسيد عند باب مقرناً وهو لم تداعب جفنه أنامل النوم بل كان مجهداً ومتعباً وذهب معه للمستشفى لإجراء العلاج له بالليزر وفي الساعة الثانية هاتفني الدكتور

وديع وبشرني بإجراء العلاج له وسوف أعود لكم بمشيئة الله، وفي الساعة الثالثة جاء لنا فلبس البيت ثلاثة أيام وفي اليوم الرابع السبت هاتفني النبيل السيد محسن الخوئي الرجل الشهم الذي لا أنسى له هذا الموقف فجاءنا ليسعفنا مرةً أخرى ولكنه اسعافاً للمعدة، إلا أننا منذ هبطنا مدينه لندن يوم التاسع والعشرين من محرم ١٤٣٥ هجري يوم الإثنين الموافق ٢ سبتمبر جرينا على نظام في تزويد مقر إقامتنا من كل ما تحتاجه المعدة من السبت إلى السبت لأنه يوم عطلة وفيه سوق شعبي تتجمع في تلك السوق الفلاحون من خارج لندن بحصادهم الزراعي فتكثر الوان الفواكه وتعرض على اختلاف أنواعها، وفي أثناء الأسبوع إذا احتجنا لأي لون من الأطعمة ابتعناه وكان للسيد محسن دور نبيل يسعفنا مرة تلو الأخرى، لأن الدكتور وديع محظور عليه الانحناء والسجود فتحمل الرجل الشهم هذه المسؤولية فذهب معه الدكتور وديع وابتاع معه كل ما يريد ابتياعه والرجل النبيل السيد محسن تحمل هذا الجهد والمشقة حيث أوصل كل الحاجات التي ابتاعها الدكتور وديع إلى مقرنا بالدور العاشر فكان له الشكر الجزيل وبقينا ننتظر موعد الدكتور يوم الثلاثاء السابع من شهر يناير من عام الرابع عشر بعد الالفين وموعدي الأخير مع طبيب الماء الأزرق جون بركس، وعندما حان يوم الثلاثاء صباحاً

هاتفنا مندوب أرامكو السعودية أحمد السوداني فجاء إلى مقرنا وذهب ومضى معه الدكتور وديع لمستشفى الملكة وفي الساعة الواحدة هاتفني من المستشفى أن الطبيب بعد فحصه للعين بشره بنجاح العملية فسوف تعود العين تدريجياً إلى سيرتها الطبيعية وليست محتاجة إلى قطرات أو مراهم فقلت له الحمد لله على هذه النعمة التي تفضل بها خالقنا فشفاك وكفاك ونحنُ في انتظار عودتك لنجلس على مائدة الغذاء معاً حسب السيرة المتبعة وانتظارنا في شوق ولهفة كصدئان إلى قطرة من ماء عذب، وعندما جاء موعدي الأخير مع طبيب الماء الازرق جون بركس الساعة الخامسة من مساء يوم الثلاثاء السابع من شهر يناير ٢٠١٤ وهي الزيارة الأخيرة المحددة معه وبعد فحصهِ قال سوف تتحسن الرؤيا عندما يرجع الضغط طبيعي للعين واصف لك قطرات لمدة ٦ اشهر ويالِلأسف إن هذه القطرات بعد شهر من عودتنا إلى وطننا القطيف ألهبت العين وأصابتها بانتفاخ واحمرار ودموع ورجعت للدكتور سعيد اليامي المتخصص في القرنية بمستشفى ارامكو السعودية فأوقف القطرات وأبدلها بقطرات أخرى وأعطاني تعليمات للعين حتى ذهب الالتهاب منها والاحمرار والدمع ولكن رؤية العين لم يطرأ عليها تبدل أو تغير.

سأذيع بقية الأحداث والوقائع التي مررتُ بها ومرت بي في

تلك الأيام التي قضيتها في مدينه الضباب فلنبدأ ونذيع قصتنا وحديثنا عن ما دار بيني وبين العلماء والادباء والمفكرين. ونبدأ بأول لقاءً في مساء أول يوم من وصولنا لمدينة الضباب حيث اول لقاء هو زيارة فضيلة السيد عبد الصاحب الخوئي إلى مقرنا عدة مرات كما زارنا الأستاذ علي التميمي سكرتير مؤسسة أهل البيت عدة مرات، كما أقام لنا فضيلة السيد عبد الصاحب ابن الإمام السيد أبو القاسم الخوئي يوم الأربعاء السابع من وصولنا مأدبة غداء في مؤسسة الإمام الخوئي تضم شريحة من رجال العلم والفكر وهم: العلامة السيد فاضل الميلاني عميد مؤسسة الإمام الخوئي ورئيس جامعة العلوم بلندن ويدير بحثاً خارجياً في مؤسسة الخوئي وفاتح صدره يتلقى كل ما يتقدم له من مسائل شرعية أو مشاكل اجتماعية تنجم بين الجالية المسلمة في لندن سواء كانت بين الأشخاص أو بين الجماعة أو الدولة وفضيلة العلامة الشيخ فاضل المالكي خطيباً له دور في الخطابة والمحاضرات وصدىً له في المجتمع الشيعي عند الجمهور، غير أنه ترك امتهان الخطابة ولديه طموحات في دائرة التقليد وفضيلة الشيخ المغربي وفضيلة الشيخ علي العالمي لم أعرف عنهما شيء والعلامة السيد سعيد الخلخالي عنده فضيلة ونشاط علمي في التدريس وخدمة الفكر ولعله يدرس في أكثر من مؤسسة في

مدينة لندن ولا أعلم هل وصل إلى رتبة الاجتهاد أم لا وفضيلة الشيخ السيد قاسم الخلخالي لا أعرف عنه شيء وفضيله السيد هاشم شبر خطيباً بارعاً سمعت محاضرته ليلة ذكرى وفاة الرسول ﷺ في مؤسسة الخوئي وكان يتحدث عن هذه السيرة العطرة وهو على سعةٌ بالتاريخ وبسيرة النبي العظيم ﷺ وقد رسمت المناقشة التي جاءت على هامش محاضرته وذكرتها أنفاً وهو مستوطناً لندن والسيد جعفر الميلاني ابن العلامة الميلاني يدرس في الحوزة العلمية في لندن وكان ذو خلق كريم وفضيلة السيد علي الخلخالي لم أُعْطى عنه معلومات حتى أعرفه ولأول مرة ألتقي به والدكتور عباس المهاجراني فاضلاً وله شوطاً في الفلسفة ومحيط بمعالم التاريخ وذكرتُ اختلافي معه في قصة المعري مع علم الهدى المرتضى في كتابي أيام في لندن، وعبدالمجيد المهاجرانى ابن الدكتور عباس المهاجراني جاء بوالده مقعداً على كرسيه يحركه بعد أن طلبتُ من فضيلة السيد عبد الصاحب لقائي بالدكتور المهاجراني لبى طلبي فأحضره ابنه فلما رأيته فوجئت بما ألمّ به من مرضٍ أصيب به في المخ أفقده حاسته وشعوره وحركته ومددتُ يدي أصافحه وهو ساكن على كرسيه فقبض على كفي مدةً طويله فقلت له هل عرفتني وعادت بك الأيام إلى ذكرياتنا الأدبية والفكرية

ومناقشاتنا في أحداث التاريخ وحول تفسير آيات القرآن الكريم ومناقشاتنا الطويلة نقضي فيها الساعات في مكتبة مؤسسة السيد الخوئي، وقدمت له كتابي أيام في لندن هديةً وقلت له اقرأه ففيه التحاور الذي دار بيني وبينك لكنه شفاه الله لم يعي ما أقول، فجلس معنا تلك الجلسة الطويلة فتناول معنا مأدبة الغذاء وكأنه لم يكن معنا لولا رعاية الله به وابنه جعفر الذي تكفل به ورعاه، وبعد صمت طويل تحدث بجملة واحدة أنا هنا في لندن ولولا السيد عبد الصاحب الخوئي لضعت، وأعقبها صمت مطبق حتى خرج به ابنه جعفر بعربته ولم نره حتى أقفلنا راجعين للمملكة العربية السعودية والأستاذين الكريمين كريم المؤمن ودكتور فؤاد جابر يرتديان كل منهما البدلة أي السترة والبنطلون لم اعرف عنهما شيء ولأول مره التقي بهما ولم يشاركان عندما دار الحوار الفكري والعلمي مع كوكبةً من النجوم من اهل العلم والفكر، وبعد أن تناولنا مأدبة الغذاء وأدير علينا اكواب الشاي فحلى الحديث والنقاش الفكري فطرح سماحة السيد فاضل الميلاني مطلباً علمياً فقال ما رأيكم في الزواج المنقطع إذا كان الشاب والشابة يدرسان خارج أوطانهم ولا سيما في الغرب كأوروبا وأمريكا ونضرب مثلاً بمدينة لندن التي نعيش فيها ويلتقى الطالب والطالبة الشابة على رحلة واحدة وقد يصادف أنهما

يعيشان غريبان بدون أهلهما وقد يكون الطالب والطالبة ملتزمان بدين ومستقيمان على الصراط المستقيم ولكن الشيطان ولهيب الشهوة تسعرُ ناراً في جسمهما والحب بينهما يدفع كل منهما والشيطان يحسن لهم الانحدار إلى الرذيلة فما الدواء لهذا الداء؟ وأنا أترجم رأيه بالمعنى لا بالنص فبادرته بالجواب وقلت له إنني أعرض رأياً على هذا الكوكبة التي تسكنُ لندن يوصلنا مرفأ السلامة وهي طاعة الله للزواج بأي نوع منهما الدائم أو المنقطع بشرط تطبيق شروطهما الصحيحة وتنفيذ تعاليم أوامر سُنة الرسول ﷺ فإذا طبقها وتزوج على سُنّة الرسول فقد نجح وسعد دنيا وآخرة عن طريق أحد رجال الدين المستقيمين، فتفضل العلامة السيد الميلاني فقال هذا حلٌّ لهذا الداء الذي قد يوصل ببعض الشباب فيوقعهم فيما لا يحمد عقباه، ثم طرح أحد أفراد هذه الكوكبة مطلباً علمياً إن لم تخني الذاكرة لعله فضيلة المالكي وهذا المطلب حول مواكب العزاء هل يجوز للمعزينَ الضرب بالسلاسل والسيوف فأجاب فضيلة السيد عبد الصاحب الخوئي ولكن الجواب لم يكن جواب عن هذا السؤال إنما قال إن المؤسسة الباكستانية اختلفت مع رؤساء موكب العزاء الباكستاني فالمؤسسة الباكستانية تمنع استعمال الضرب بالسلاسل ورؤساء موكب العزاء الباكستاني يصرُ على استعمال هذه الأدوات، وقد

تدخل في إصلاحهم رجال العلم من المغتربين ولم يصلوا إلى حلٍّ بينهم حيث يصر كل منهما على رأيه حتى وصلت القضية إلى المحاكم وكل من الفريقين أقام له محامي بمبالغ ضخمة وليت هذه المبالغ تصرف على الضعفاء من الباكستانيين لكان خير لهم، فصرف الحوار عن المناقشة الفكرية والعلمية إلى اختيار نخبة من ذوي العلم والإصلاح والإيمان للتوسط بين المؤسسة ومواكب العزاء لطريق الإصلاح وإنهاء القضية بالتراضي والصلح حتى انفضت تلك الجلسة الفكرية.

ومن المعالم التاريخية الأثرية حديقة هايد بارك التي زرناها وقد أعطيت عنها صورة مفصلةٍ في كتابي أيام في لندن، وهذه الزيارة في الرحلة الثانية في يوم قار لم نأنس بهذه الزيارة حتى ابني الدكتور وديع نزع معطفه فألبسني إياه فلم أشعر بالدفء، وقد التقطت لي صورة حول البركة والحمام يحومون حولي سنرسمها هنا وللعوامل التي اكتنفت هذه الرحلة التي أوضحناها آنفاً ونختم حديثنا عما دار من مناقشات بآخر حديث من رحلتنا بتفسير هذه الآية الكريمة من سورة المطففين ونشير فيها إلى الوصف التي وصفتهُ الآيات الكريمة تصور القلوب المغلقة الحجرية بل الحجر الأصمُّ أفضل منها لأنه يسبحُ بحمد الله وإن كنا لا نفقهُ تسبيحه أما القلوب المغلقة التي ران عليها ضبابُ الظلام الذين قلوبهم عميت

يعيشون في ليلٍ دامس ولا يبصرون الضياء من حولهم أو في بحر لجيٍ في ظلمات فوقها ظلمات إذا أخرج يده لم يكد يراها، أما الذين زرع الله الإيمان وقذف النور في قلوبهم فهم على هدى من ربهم والله يسددهم لأنهم يسيرونَ تحت ظل رحمته.

وعند انتهاء المواعيد للأطباء أصبحنا لا حاجة لنا في الجلوس وقررنا العودة إلى الوطن فنصفُ خروجنا إلى مطار هيثرو بلندن حيث خرجنا صباح الأربعاء الثامن من الشهر يناير ٢٠١٤م الساعة السادسة بتوقيت لندن وكانت السماء ترسل غيثاً غزيراً من الأمطار لا تكاد السيارة أن تخطو في الدرب لشدة الأمطار والجو قارص، وبعد سيرنا الطويل وصلنا المطار وقام ابني الدكتور وديع بالإجراءات الروتينية لسفرنا حتى وصلنا إلى القاعة المخصصة للدرجة الاولى فتناولنا وجبة الإفطار وبقينا ننتظر ساعة الاقلاع ولما حانت ذهبنا إلى الطائرة وكان الجو غائماً والأمطار لا تزال تسكبُ الغيث ولكننا على اسم الله وبسم الله مجراها وبسم الله مرساها أقلعت بنا الطائرة الساعة الواحدة بتوقيت بريطانيا واستغرقت مدة الرحلة ٦ ساعات وثلاثين دقيق فهبطنا في مطار مملكة البحرين الساعة العاشرة والنصف بتوقيت الخليج وبعد إنهاء المراسيم الروتينية مضينا خارج المطار لنمتطي

سيارةً لتقلّنا إلى وطننا الحبيب القطيف عن طريق الجسر وكانت الساعة الثانية عشره ووصلنا بفضل الله إلى بيتنا الساعة الثانية ليلة الخميس الموافق ٨ ربيع الأول الموافق ٩ يناير **٢٠١٤**م وكان الجو قارص وهذا من فضل ربي ونحب بعد ن نقفل رحلتنا بإيابنا للوطن الحبيب نحب أن نختم كتابنا هذا بذكر بعض تفسير الآيات من السور الكريمة من الفرقان العظيم راجياً من ربي التوفيق لنقل تفاسيرها من كتب التفاسير وقد نضيف لها ضربٌ من الأفكار العلمية إذا وُفِّقنا لذلك بمشيئة الله فأسأل الله العون والتوفيق إذ لا يستطيع كاتب أو عالم أو مفكر أن يعمل شيئاً إلا بمشيئة الله وعونه فنبدأ هذه الصفحات بافتتاح أول آية:

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿رَفِيعُ ٱلدَّرَجَٰتِ ذُو ٱلْعَرْشِ يُلْقِى ٱلرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ لِيُنذِرَ يَوْمَ ٱلتَّلَاقِ﴾.

***

نفتتح بهذه الآية الكريمة التي دار حولها النقاش في أحد الأمسيات من شهر ١٥ شوال الحالي عام ١٤٣٥هـ الموافق ١١ أغسطس ٢٠١٤م عرضت هذه الآية الكريمة في الأمسية التي أشرنا إليها في جلستنا المسائية في ندي بيتنا بحي الحسين الجلسة العلمية الأدبية المعتادة في كل مساء يوم فدار الحوارُ في تلك الجلسة المشار إليها وفي طليعة المتحاورين معي فضيلة الشيخ/ محمد العصفور والحفيد الشيخ حسن نبيه الخنيزي فقلت للمتحاورين إن الروح التي أشارت إليها الآية الكريمة ليست هي الروح الإنسانية الناطقة إنما هي روحاً اسمى من هذه الارواح فأيدني في الرأي فضيله الشيخ/محمد العصفور فارتأينا ان نرجع إلى تفسيري القرآن الكريم فرجعنا إلى مجمع البيان في تفسير القرآن للعلامة الكبير الطبرسي

وإلى تفسير الميزان وسننقلُ تفسيرهما حرفياً، تفسير مجمع البيان («الرفيع» بمعنى الرافع أي هو رافع درجات الأنبياء والاولياء في الجنة عن عطاء عن ابن عباس وقيل معناه رافع السماوات السبع.. عن سعيد بن جبير؛ وقيل معناه أنه عالي الصفات «ذو العرش» أي مالك العرش وخالقه وربه، وقيل ذو الملك والعرش الملك عن أبي مسلم «يلقي الروح» من أمره على من يشاء من عباده وقيل الروح هو القرآن وكل كتاب أنزله الله تعالى على نبي من أنبيائه، وقيل الروح الوحي هنا لأنه يحيي به القلب أي يلقي الوحي على قلب من يشاء ممن يراه أهلاً له يقال ألقيت عليه كذا أي أفهمته إياه وقيل إن الروح ها هنا النبوة عن السدي «لينذر النبي بما أوحي إليه» يوم التلاق يلتقى في ذلك اليوم الأولون والآخرون والخصم والمخصوم والظالم والمظلوم عن الجبائي، وقيل يلتقي الخلق والخالق عن ابن عباس يعني أنه يحكم بينهم وقيل يلتقي المرء وعمله والكل مراد والله أعلم) مجمع البيان في التفسير القرآن الجزء الخامس الصفحة رقم ١٨٧.....وفى تفسير الميزان المجلد ١٧صفحة ٣١٨، ٣١٩ (وقد أورد لقوله: «رفيع الدرجات» تفاسير شتى فقيل معناه رافع درجات الأنبياء والأولياء في الجنة، وقيل رافع السماوات السبع التي منها تصعد الملائكة إلى عرشه وقيل رفيع مصاعد عرشه وقيل كناية عن رفعة شأنه وسلطانه.

والذي يعطيه التدبر أن الآية وما بعدها يصفان ملكه تعالى على خلقه أن له عرشاً تجتمع فيه أزمة أمور الخلق ويتنزل منه الأمر متعالياً بدرجات رفيعة هي مراتب خلقه ولعلها السماوات التي وصفها في كلامه بأنها مساكن ملائكته وأن أمره يتنزل بينهن وهي التي تحجب عرشه عن الناس.

ثم إن له يوماً هو يوم التلاقي يرفع فيه الحجاب ما بينه وبين الناس بكشف الغطاء عن بصائرهم وطي السماوات بيمينه وإظهار عرشه لهم فينكشف لهم أنه هو المليك على كل شيء لا ملك إلا ملكه فيحكم بينهم.

فالمراد بالدرجات الدرجات التي يرتقى منها إلى عرشه ويعود قوله: «رفيع الدرجات ذو العرش» كناية استعارية عن تعالي عرش ملكه عن مستوى الخلق وغيبته واحتجابه عنهم قبل يوم القيامة بدرجات رفيعة ومراحل بعيدة.

وقوله: «يلقي الروح من أمره على من يشاء من عباده» إشارة إلى أمر الرسالة التي من شأنها الإنذار وتقليد الروح بقوله «من أمره» دليل على أن المراد بها الروح التي ذكرها في قوله «قال الروح من أمر ربي» وهى التي تصاحب ملائكة الوحي كما يشير إليه قوله «ينزل الملائكة بالروح من أمره على من يشاء من عباده أن أنذروا».

فالمراد بالبقاء الروح على من يشاء تنزيلها مع ملائكة

الوحي عليه والمراد بقوله: «من يشاء من عباده» الرسل الذين اصطفاهم الله لرسالته وفي معنى الروح الملقاة على النبي أقوال أخر لا يعبؤ بها.

وقوله: «لينذر يوم التلاق» وهو يوم القيامة سمي به لالتقاء الخلائق فيه أو لالتقاء المرء وعمله ولكل من هذه الوجوه قائل. ويمكن أن يتأيد القول الثاني بما تكرر في كلامه تعالى من حديث اللقاء كقوله: «بلقاء ربهم لكافرون» وقوله: «إنهم ملاقوا ربهم».

ونورد آية كريمة من سورة إذا وقعت الواقعة حيث دار حولها حواراً في ليالي شهر رمضان الشهر العظيم شهر رمضان المبارك الذي فيه ليلةً افضل من ألف شهر فالسعيد من يمر عليه هذا الشهر وتلك الليلة ويصومه ايماناً واحتساباً وقد أدرنا الحديث حول الآية الكريمة في الليالي المباركة بصالتنا الأدبية والفكرية مع كوكبةٌ من الكواكب الثقافية والعلمية.

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله تعالى: ﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى تُورُونَ * ءَأَنتُمْ أَنشَأْتُمْ شَجَرَتَهَآ أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنشِـُٔونَ * نَحْنُ جَعَلْنَـٰهَا تَذْكِرَةً وَمَتَـٰعًا لِّلْمُقْوِينَ﴾ (آية رقم ٧٢) وبعد اختلاف الرأي في تفسير معناها اتفقنا إلى الرجوع لتفسير مجمع البيان للعلامة الطبرسي قدس الله روحه:

﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى تُورُونَ﴾ أي تستخرجونها وتقدحونها

بزنادكم من الشجر ﴿ءَأَنتُمْ أَنشَأْتُمْ شَجَرَتَهَآ﴾ التي تنقدح النار منها أي أأنتم أنبتموها وابتدأتموها ﴿أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنشِـُٔونَ﴾ لها فلا يمكن لأحدٍ أن يقول إنه أنشأ تلك الشجرة غير الله تعالى والعرب تقدح بالزند والزندة وهو خشب يحك بعضه ببعض فتخرج منه النار وفي المثل في كل شجر نار واستمجد المرخ والعفار ﴿نَحْنُ جَعَلْنَٰهَا تَذْكِرَةً﴾ أي نحن جعلنا هذه النار تذكرة للنار الأخرى الكبرى فإذا رآها الرائي ذكر جهنم واستعاذ بالله منها، عن عكرمة ومجاهد وقتاده وقيل معناه تذكرة يتذكر بها ويتفكر فيها فيعلم ان من قدر عليها وعلى إخراجها من الشجر الرطب قدر على النشأة الثانية: ﴿وَمَتَٰعًا لِّلْمُقْوِينَ﴾ أي وجعلنا بلغة ومنفعة للمسافرين، عن ابن عباس والضحاك وقتادة الذين نزلوا الأرض ألقي وهو القفر وقيل للمستمتعين بها من الناس أجمعين المسافرين والحاضرين، عن عكرمة ومجاهد، والمعنى أنهم بها جميعهم يستضيئون بها من الظلمة ويصطلون من البرد وينتفعون بها في الطبخ والخبز وعلى هذا يكون المقوي من الأضداد فيكون المقوى الذي صار ذا قوة من المال والنعمة والمقوى أيضاً الذاهب ماله النازل بالقواء من الأرض فالمعنى ومتاعاً للأغنياء والفقراء ولما ذكر سبحانه وما يدل على توحيده وإنعامه على عبيده (مجمع البيان، الجزء ٦ صفحة ١٢٨).

وأما تفسير الميزان ﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱلنَّارَ ٱلَّتِي تُورُونَ﴾ إلى قوله ﴿وَمَتَٰعًا لِّلْمُقْوِينَ﴾ قال في المجمع الإيراء إظهار النار بالقدح يقال أورى يورى قال ويقال قدح فأورى إذا اظهر فإذا لم يور يقال قدح فأكبى وقال والمقوي النازل بالقواء من الأرض ليس بها أحد واقوات الدار خلت من اهلها انتهى والمعنى ظاهر.

ولما كانت الرحلة إلى مدينة الضباب هذه المرة تدورُ في حلقات فكرية لا يساعدها الزمن للعوامل الطبيعية والعوامل الأخرى كالمرض وغيرها التي عاقت تجوالنا وعدم التقائنا برجال الفكر الذين يعيشون في مدينة لندن كمواطنين ولذلك سأعوض عن ما فاتني فأفتحُ قنواتُ فكرية أتصل منها مع سلة من كواكب العلم والفكر وأعيش معهم في سهرات أدبية وتحاورٍ مع عقولهم المجسدة في ما مؤلفاتهم غاب جسمهم وراء التراب لكن أفكارهم باقية ونورد هنا متبركين بكلمة الإمام عليه السلام :

يا كميل بن زياد

(يا كميل بن زياد هلك خزان المال وهم أحياء، أما العلماء فهم باقون ما بقي الدهر، أجسامهم مفقودة وآثارهم في القلوب موجودة) هذا كلام الإمام علي عليه السلام أبلغ البلغاء بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وهو في قمة البلاغة لايصل إليه جميع مفكري البشر إلا خاتم الرسل فإنه المعلم والمربي للإمام

علي عليه السلام. إن المفكر مهما بلغ من تفكير وبلاغة الإشعاع الذهنية المتوقدة لن يستطيع أن يصل إلى محراب هذه الكلمات الروحية والصور الجمالية البلاغية فينحطُّ عن هذه الآفاق البعيدة المعاني المؤثرة في القلوب والعقول التي قسمت البشر بين اثنين وحللت الحياة المادية والحياة المعنوية الخالدة وهنا لا يستطيع العقل أن يسير في هذه الآفاق لأنها إشعاعٌ من أشعة آفاق الرسالة.

المتنبي

نريد ان نرسم هنا صورةً لأبيات الشاعر العملاق أبي الطيب المتنبي تعالج صورةٌ من الحياة النفسية وما يمرُ عليها من أحداث وبلايا الزمان:

أُطَاعِنُ خَيلاً مِن فَوَارسهاَ الدَّهرُ

وَحيداً وَماَ قَولي كَذَا ومعي الصبرُ

وَأَشْجَعُ مِنَّى كُلَّ يَومٍ سَلاَمتَي

وما ثبتت إلا وفي نفسها أمرُ

تمرستُ بالآفات حتى تركتها

تقول أمات الموت أم ذُعر الذعرُ

وأقدمت إقدام الآتي كان لي

سوى مهجتي أو كان لي عندها وتر

ذرِ النفس تأخذ وسعها قبل بينها

فمفترق جاران دارهما العمر

ولا تحسبن المجد زُقا وقَينة
فما المجد إلا السيف والفتكة البكر
وتضريب أعناق الملوك وأن ترى
لك الهبوات السود والعسكر المجر
وتركك في الدنيا دويا كأنما
تداول سمعَ المرء أنمله العشر
إذا الفضل لم يرفعك عن شكر ناقص
على هبة فالفضل فيمن له الشكر
ومن ينفق الساعات في جمع ماله -
مخافة فقر فالذي فعل الفقر

نريد نتحاور مع الشاعر العملاق الذي صور خلجات الإنسان وجسدها في واقع ملموس ونبدأ التحاور في سهرةٍ فكرية فنخاطب المتنبي من وراء جدار التاريخ انك تطاعن أي تحارب خيلاً أحد فوارسها الدهر وحيداً في معركة الحياة ولكنك رجعت واستثنيت فما أنت بوحيدٍ مادام معك الصبر، والصبر اعظم معينٍ للمرء في هذه الحياة فمن صبر ظفر وما لعق العسل من لا صبر له ثم عقب بصيغة افعْل بصيغة التفضيل وهي كلمة أشجع في كل يوم سلامة نفسك ولم تقف نفسك أمام هذه الأحداث إلا وفيها سر من الأسرار يساعدها على مقاومة الأخطار وتمرسك بالآفات أي بالأحداث

والنوائب حتى هانت عندك البلايا فأنت لا تبالي أوقع الموت عليك أم وقعت عليه، ولذلك أُمرت النفس أن تتمتع بلذاتها قبل موتها، فلا بد من الفراق جارين النفس والجسد هما الجاران اللذين أشار لهما الشاعر وبيتهما العمر ولا بد أن العمر ينقضي فتفارق الروح الجسم وليس المجد عنده خمر وعبيد ولكن المجد هي الشجاعة التي تدافع عن مجدها وكرامتها بالسيف والفتكات وأن يترك الإنسان في الحياة دوياً مجلجلاً أي ذكراً في حياته أو بعد رحيله الذي عبر عنه بالدوي ومثل له بأنمل المرء إذا وضع أنملةً في أذنيه واحدة تلوَ أخرى حتى تكتمل أنملة العشر فيكون لها ضجيج حتى لا يسمع شيئاً إلا ذلك الضجيج الذي يملأ سمعه وكأنه يعيش في جلبةً من الأصوات وهذه الصورة تمثل حياة الخالدين الذين بعد رحيلهم تركوا دوياً في الدنيا وطبعوا على هامش التاريخ أناملهم. والمتنبي في هذه الصورة الإبداعية يرسم في هذا البيت مقولةً أدبيةً فيصور فيها كيف الأديب الفاضل هو الذي يرفعه أدبه، فالأديب الفاضل من يترفع عن شكر الناقصين الذين لا يستحقون الشكر على حطام دنيوي فإذا لم يترفع أصبح الفضل للناقص على الذي هو أفضل منه، وهنا المتنبي يثبُ وثبة وكله وثبات عبقرية فيصور المحرومين مما رزقهم الله وأنعم عليهم فهم يكدحون ليلاً ونهاراً وينفقون الساعات في

جمع الأموال والغاية منها الجمع مخافة الفقر أي يتعجل الفقر قبل الفقر فهو يعيش فقيراً خازناً يجمع لغيره محروماً حاملاً وزره فقيراً بائساً.

مناجاة للإمام زين العابدين ـ ج

ونريد ان ننوع هذا الكتاب بأساليب روحية متنوعة المعاني والروح ولكنها تنصبُ في قناة واحدة فيحسن بنا أن نأتي ببعض الادعية للأمة الاطهار التي يناجون فيها خالقهم ويذوبن في طاعته وحبه وهم لا يرون غير خالقهم في جميع حركاتهم وسكناتهم وقيامهم وقعودهم ويقظتهم ونومهم، وهذه ألوان من معاني الروح والمعرفة تضيف صوراً لهذا الكتاب حتى لا يمل القارئ من وحدة الموضوع.

هذه المناجاة من الإمام علي بن الحسين زين العابدين وسيد الساجدين عليه السلام مناجاة فيها صورٌ من المعارف في الخالق العظيم تفيض أنواراً وهدى وفيها رعشة من الخوف وخشية من الله إلى أبعد الأسرار لا نستطيعُ الوصولَ ومعرفة تلك الأسرار.

***

إلهي غارت نجوم سمائك ونامت عيون أنامك وهدأت

أصوات عبادك وأنعامك وغلقت الملوك عليها أبوابها وطاف عليها حراسها واحتجبوا عمن يسألهم حاجةً أو ينتجع منهم فائدةً وأنت إلهي حي قيوم لا تأخذك سنةٌ ولا نوم ولا يشغلك شيء عن شيء أبواب سمائك لمن دعاك مفتحةٌ وخزائنك غير مغلقات وأبواب رحمتك غير محجوبات بل هي مبدولات أنت إلهي الكريم الذي لا ترد سائلاً من المؤمنين سألك ولا تحتجب عن أحد منهم أرادك لا وعزتك وجلالك ولا تختزل حوائجهم دونك ولا يقضيها أحد غيرك اللهم وقد تراني ووقوفي وذل مقامي بين يديك وتعلم سريرتي وتطّلع على ما في قلبي وما يصلح به أمر آخرتي ودنياي اللهم إن ذكْر الموت وأهوال المطّلع والوقوف بين يديك نغصني مطعمي ومشربي وأغصني بريقي ينام من يخاف ملك الموت في طوارق الليل وطوارق النهار بل كيف ينام العاقل وملك الموت لا ينام لا بالليل ولا بالنهار ويطلب روحه بالبيات وفي آناء الساعات.

***

أيها القارئ الكريم لحظةً لأدخل معك إلى محراب العبادة والمناجاة التي لا يصل إلى محراب قدسها إلا الرسول الأعظم ﷺ وأهل بيته الأطهار الذين أفاض عليهم رسول الله من أشعته القدسية وكانوا يسيرون على ضوء منهجه لا يخرمون هذه السيرة وهذه الخطوات.

نزيد أن نقف مع هذه المناجاة الصادرة من الإمام زين العابدين وسيد الساجدين لعل الله أن يمدنا بالطافه ونعيشُ مع الإمام قلباً وقالباً في ظل مناجاته فنخرج منها طاهرين القلوب بعونٍ من الله وعفو وفيض من سيبه ونلمُ ببعض المعاني الروحية من هذه المناجاة التي يفنى فيها أئمتنا في سبيل الخالق ولا يعرفون شيئاً غير الله وحده لا شريك له.

فنقول غارت نجوم سمائك ونامت عيون أنامك وهدأت أصوات عبادك وأنعامك فنشيرُ إلى شرح كلمة غارت حيث وجدت شرحها في مفتاح الفلاح للمحقق العلامة الشيخ البهائي رحمه الله وقدس سره ننقل تفسيره نصاً صفحه (٢٩٦) (أي تسفلت وأخذت في الهبوط والانخفاض بعدما كانت آخذة في الصعود والارتفاع).

ونكتفي بشرح غارت بما أوردناه نصاً من الكتاب الذي أشرنا إليه وهذه المناجاة العميقة التي صور فيها الإمام زين العابدين حاجتنا إلى خالقنا حيث لا نستغني عنه رفة عين أو أقل مما نتصورها فنتأسى بسيرتهم.

والأنعام نامت والملوك غلقت عليها أبوابها وطافت عليها حراسها أي قامت على أبوابهم واحتجبوا عن مقابلة الناس وسبحانه وتعالى حي قيوم لا تأخذه سنة ولا نوم ولا يشغله شيء عن شيء وأبواب سمائه لمن سأله مفتحة وخزائن رحمته

ليس بمحجوبات وفوائده غير محظورات بل مبدولات لجميع عباده ويمضي الإمام سلام الله عليه وعلى آبائه الطيبين الطاهرين في مناجاته الربانية حتى يصل إلى الأعماق وهنا نقف على الأعتاب لأن عقولنا وأبصارنا تنحسر مبهوتين فأين نحنُ وهذه المعارف الروحية سائلين من الله الكريم أن يوفقنا لنسير على هذا الصراط الواضح المستقيم وأن يمدنا بالتوفيق والاتباع لمنهجهم والأخذ بحجزتهم والمكوث في ظلهم.

إذا ذهب

«إذا ذهب القرن الذي أنت فيهمُ وخُلفتَ في قرنٍ فأنت غريبُ».

نريد هنا أن نشرح هذه الظاهرة النفسية وهذا المقولة الواقعية حيث إن المرء لا يسبحُ ولا يأنس إلا بمن هو من جنسه في الذوق والروح، فإذا سبقه من عايشهم في قرنه وتخلف عنهم إلى قرنٍ آخر يشعر بنفسه غريباً وحيداً ويضل في وحشة كئيبة رهيبة لا يطيق الحياة ويحن حنين إلى من ألفهم.

قصة:

هذه قصةً عجيبة غريبة قصها علي بعض الشخصيات عن آبائهم سواء كانت واقعية أو خيالية لما فيها من غرابةٌ تدلُ على خُلق وصبر مذهل ووفاء وإيمانٍ لا نكادُ نشاهده إلا على ندرة وكانت الآباءُ في العصر القديم لا يزالون يمتارون من ميراث الجاهلية يسري في عظامهم وفي عاداتهم وهم يسيرون في طرق تلك الحياة المظلمة العفنة، فالعادات الجاهلية سدٌ

تحول بينهم وبين النور الذي جاءهم من الرسول الأعظم ﷺ برغم انفتاحِ اشراقة الإسلام التي أشرقت على سماء الدنيا لم تدخل كوى قلوبهم ولم تستنير بأشعته، فظلت تمارس عاداتها الجاهلية فهي تعيشُ بتلك العقلية فالمرأة عندهم آلة جامدة أو إحدى الأمتعة تستعملها وتوجهها فيما أرادت وليست إنسانة لها شعورها وعواطفها وأحاسيسها هكذا كانت تعيش المرأة على ذلك الصعيد فعندما تخطب البنت من أبيها ليس لها اختيار في القبول أو الرفض إنما الرأي لأبيها إن شاء ان يقبل أو يرفض ولا يأخذ منها رأياً أو كلمةً ولا يحق لها ان تنبس ببنت شفة فهي مسخرة لأمر أبيها مقتولة العواطف والأحاسيس، تسيرُ كيف أراد والدها وكذلك أمها لأنها مرت بتلك الظروف وعاشت على تلك الحياة فهي مثل بنتها لا اعتراض لها فيجرى العقد ومراسيم الزواج وهي كدمية تحرك ولا تعرف من هو فارس أحلامها وشريك حياتها وكذلك الزوج يعيشُ مملوكاً يوجهه والده حيث شاء ولا يعرف في ليلة العمر هل يلامسُ قمراً أم عقرباً فقد تكون هذه الزيجة فاشله أو ناجحة أو يقضيان الزوج والزوجة حياة جاحمة يتجرعان فيها الألم المرير مجاملة في حياة تغطى بالكراهية والبغض وليس هناك حياة حقيقية زوجية تمتزج بالحب والتفاهم الذي يربط الزوجين بالرباط المقدس إنما هي زيجةً روتينية خالية من

الجوهر واللب فزوجان يزجيان أياماً ولياليا يقضونها حتى يقضي لهم الله بالفراق الذي لا بد منه ولا لقاء بعده إلا يوم الحشر إذا كان من المؤمنين المطيعين لله ورسوله.

ونبدأ بتصوير هذه القصة وفصولها التي اشرنا لها. كان هناك رجلاً متزوجاً من ابنة عمه وكانت هذه الزوجة مثالية للزوج تتجسد فيها كل معاني الزوجية من إيمان وطاعةً بزوجها ولا تمتنع عليه في أي شيء أرادهُ منها، فهي طوع لبنانه وظلاً من ظلاله ومنسجمة معه كروحين في جسد واحد وستكشف لك الأيام ما وراء الأكمة، وقد قضيا حياتهما ظاهرها حب وباطنها بغض وقد طويا زمناً طويلاً كأنهما يعيشان في بلهنةٍ من العيش في زمنٍ رغيد هني ولم يشعرا بأي ظاهرةٍ من مظاهر البغض التي تكدر زيجتهما، ولكن المرأة المؤمنة تحملُ في قلبها خلقٌ إسلاميٍ ودرعٌ من الصبر تقابل به العواصف والبلايا المريرة فتمرُ بها هادئة ومطمئنة وأي بلاء أعظم وأفظعُ أن تعيش امرأة مع شريك حياتها وقلبها مرجلٌ من البغض وهي تعيش مع زوجها كأنها في حبٌ وكأنها تفيضُ عليه نفحاتٌ من حبها فهي تنعمه ولكن الزمن سيكشف لك الحقيقة ويرفع الستار ليظهر أن هذا الحبَّ حبٌّ مصطنع لم تمازجه ذرات من الحب والود الصادق ولم يتصوره، ولم يدر في حلمه حتى فوجئ بالواقع المرير وفي ليلة من ليالي آخر

فصول الربيع الجميلة من ليالي الجوزاء أقصر الليالي من فصول السنة وكان في ذلك العصر ينامون فوق السطوح تحت قبة السماء وضوء القمر والنسيم الرقراق يحمل على جناحيه الروائح العطرة مثل الفل والعمران والأترج والليمون ومن أنواع الشجر لأن الوطن القطيف اللذان يعيشان فيه هو روضةُ تطل على ضفاف الخليج حيث لا كهرباء ولا هاتف ولا يوجد أي جهاز من الأجهزة الحديثة المتطورة إنما يعيشون على الطبيعة بدون تعقيد، ففي ليلة من تلك الليالي فوجئ بما لم يحمد عقباه حينما طلب الزوج من زوجته كأس ماء ليروي بها صدئه فجاءت له بالكأس تحملها ولكنها فوجئت بنوم زوجها وهو يغطُّ في نوم عميق ففضلت عدم إيقاظه حفاظاً على راحته وبقيت واقفة على رأسه بالكأس حتى الصباح فلما استيقظ فزع واستغرب من عملها وأخلاقها بما قدمته له من فعل غريب لا يتحصل على مثلها حيث لم تنعم براحة ولا نوم فعاتبها على عدم إيقاظه أو ترك الكأس والخلود للنوم والراحة فأجابته بحروف كلها أدب وأخلاق فضلتُ راحتك على راحتي ومن الآداب أن أظل واقفةٌ حتى في أي لحظة استيقظتَ فيها أسقيك الماء، فأكبرها وأعجب بموقفها الذي لا يوجد في هذه الحياة وإن وجد فيها فهو على ندرة، فأيقن الزوج أن هذه الظاهرة الواقعية بلغت أقصى قمة الحب والإخلاص وقال لها

الزوج تدللي أيتها الحبيبة واطلبي مني ما شئتي كي أنفذه لكِ وأعتبر نفسى حتى بعد تنفيذه غير وفيٍ لك، ولم يدرِ الزوج ن وراء طلبه الخريف الذي يصوح أغصان هذه الحياة التي عاشت على جدبٍ من الحب فردت الزوجة على ما قاله زوجها لو طلبتُ منك مطلباً هل تنفذه، فأجابها بالإيجاب، فلما استيقنت الزوجة من تحقيقِ ما تصبو له في هذا العمل النادر جهرت بما تريد من زوجها وهو الخلاص من حياة عاشت فيها على جحيم من البغض فأرادت أن تتمكن من تنفيذ ما تصبو إليه ولا أظن منك أنت تنفذه وقال الزوج مهما صعب طلبتك وأقدر عليه سأنفذه بدون تردد، فقالت الزوجة حاجتي في إطار إمكانياتك وقدرتك، فأعطاها عهداً أنه سوف ينفذه مهما بلغ هذا الطلب، ففجرت الزوجة البارود في وجه زوجها وهوالفراق لأني لا أحبك ولم يكن زواجنا عن حب إنما أُكرهت على الزواج منك، فاستغرب منها وقال كيف عشت معي عيشةً هنيئة صافية مملوءة بالحب والآداب؟ فردت عليه إنني مؤمنة ضغطت على نفسى ونفذت تعاليم الإسلام التي أوصى بها الخاتم ﷺ وعندما حانت الفرصة طلبت التخلص منك لأنقذ نفسي من هذه الحياة الجاحمة في آفاق نفسي فاستجاب لها (مكرهاً أخاك لا بطل) فقطع رباط الحياة الزوجية الرباط المقدس وهنا نسدل الستار....

الحياة شوط فتبوخ

آلــة الــعــيــش صــحــةٌ وشــبــابٌ

فــإذا ولــيــا عــن الــمــرء ولــى

وإذا الـشـيـخ قـال افٍ فـمـا مـل حـيـاةً

وإنــمــا الــضــعــف مــل

إن الحياة في سيرها المُلح تفني الشباب والكهول والشيوخ والحياةَ لها شوطاً متألقٍ وهاج الذي يندُ بالعطاء ويمد الحياة بطاقةٌ من الثمرات والتوثب والطموح وتحلق إلى آمالٍ يراها دانيةٍ له حتى يكادُ الشاب الطموح ان يتناول الكواكب فيجعها وسادةً ينام عليها، وفي شوطه هذا لا يفكر ولا يرى غير احلام ذلك الشباب المستعر لهبه وأشواقهُ المحمومة المتدفقة التي لا تكادُ أن تهدأ وهو دائمٌ في حركةً لا تعرف السكون ولا الاستقرار، وعندما تطوى هذه الصفحات فيخطو الخطوات إلى فصل الكهولة ويعيشُ في ذلك الجو أياماً يرى أحلامه وأمانيه قد باخت على مذبح ماضيه التي مرت في

خيال وأحلامٍ تبخرت على واقعه الذي أفاق عليه وهو يفتش عن يمينه وعن شماله، بل عن الجهات الست فلا يرى شيئاً غير حسراتٍ، وإذا امتد به العمر سيخطُو إلى فصل الشيخوخة وما أدراك ما فصل الشيخوخة الذي يصيره في بوتقة جامدة لا يستطيعُ أن يتحرك في ذلك الجو الذي كان يصارع فيه أحلامه وأيامه بل يدبّ على الأرض دبيباً وإن أبقاه الله سيخطو إلى فصل الشيخوخة الواهنة إلى خريف الحياة الذي يموت فيه الإنسان تدريجياً، حيث يموت بصره ويتبعه سمعه أو يموت بعضٌ من أعضائه كرجله وهكذا ومن صدق من الله تعالى حيث يقول:

بسم الله الرحمن الرحيم ﴿وَمَن نُّعَمِّرْهُ نُنَكِّسْهُ فِى ٱلْخَلْقِ أَفَلَا يَعْقِلُونَ﴾ إن هذه الآية الكريمة تصور لك حياة الإنسان وفيها تظهر قدرة الله وآياته التي لا ينكرها إلا كافر جاحدُ ران على قلبه الرين فهو لا يعقل ولا يبصر أشبه بالبهائم بل البهائم أعقل منه، وكلما تفكر في هذه الآيات الكريمة العظيمة يزداد إيماناً بوحدانية الله وقدرته وعظمته فالمرء الذي يعمره خالقه في هذه الدنيا ينكسه في خلقه فيمر بالمراحل الواهنة وهو باقٍ على هذه الدنيا مع هذا التنكيس وهذه من آياته التي لا يقدر عليها أحد غيره ويجب علينا أن نطيل التفكير وقد أمر الله سبحانه وتعالى عباده بالتفكير حيث قال: ﴿وَمَن نُّعَمِّرْهُ نُنَكِّسْهُ

﴿فِي ٱلۡخَلۡقِۚ أَفَلَا يَعۡقِلُونَ﴾ أي أفلا يتفكرون في هذه الأسرار ويعقلونها وتكون لهم عبرة من العبر في هذه الدنيا الدنيئة ويعملون إلى دنيا البقاء، وألا يفكر في الدنيا الباقية إنما هو مشغول بدنيا فانية تزول وتنسخ كما ينسخُ الزوال الظل، فالإنسان لو فكر وسار على ضوء أشعة القرآن وهديه وتعاليم الخاتم صلى الله عليه وأهل بيته الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً لظفر بالسعادتين الدنيا والآخرة، فالدين الذي جاء به خاتم الأنبياء والرسول لسعادة البشرية وإنقاذهم من الظلام إلى النور بمعنى السعادتين الدنيا والأخرى التي فيها البقاء المؤبد وجعلها جزاءً للمطيعين جنة الخلد التي فيها ما تشتهيه الأنفس وما لا تراه الأعين، فسبحانك من لطيف عظيم أرأف بعباده منهم على أنفسهم، اللهم أعنّا على أنفسنا واجعلنا من عبادك المتبعين لأوامرك والمنتهين عن زواجرك والمطيعين لك ولرسولك ﷺ المصطفين الأخيار.

وقبل أن نختم هذا البحث نحبُّ أن نشرح بيتين للمتنبي اللذين افتتحنا بهما هذا البحث وإن كانت الآية الكريمة أثرت هذا البحث، فالمعني أن آلة العيش تتألف من صحة وشباب فإذا زال أحدهما ذهب العيش الهني وكيف إذا اجتمع الشباب والصحة وانتهيا من ذلك الإنسان ودخل في إطار الشيخوخة الواهنة فهو لا يملُّ حياة وإنما مل الضعف والوهن وهو يتأفف من ذلك الضعف لا من الحياة.

(فعال لما يريد)

سورة البروج:

﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ (١) وَالْيَوْمِ الْمَوْعُودِ (٢) وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ (٣) قُتِلَ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ (٤) النَّارِ ذَاتِ الْوَقُودِ (٥) إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ (٦) وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ (٧) وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ (٨) الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ (٩) إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ الْحَرِيقِ (١٠) إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْكَبِيرُ (١١) إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ (١٢) إِنَّهُ هُوَ يُبْدِئُ وَيُعِيدُ (١٣) وَهُوَ الْغَفُورُ الْوَدُودُ (١٤) ذُو الْعَرْشِ الْمَجِيدُ (١٥) فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ (١٦) هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْجُنُودِ (١٧) فِرْعَوْنَ وَثَمُودَ (١٨) بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي تَكْذِيبٍ (١٩) وَاللَّهُ مِنْ وَرَائِهِمْ مُحِيطٌ (٢٠) بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَجِيدٌ (٢١) فِي لَوْحٍ مَحْفُوظٍ (٢٢)﴾.

القراءة:

قرأ أهل الكوفة غير عاصم وقتيبة المجيد بالجر والباقون بالرفع وقرأ نافع في لوح محفوظ بالرفع والباقون بالجر.

الحجة:

قال أبو علي من رفع المجيد كان متبعاً قوله «ذو العرش» ومن جر فمن النحويين من جعله وصفاً لقوله «ربك» في «إن بطش ربك» قال ولا أجعله وصفاً للعرش ومنهم من قال صفة للعرش قال أبو زيد يقال مجدت الإبل تمجد مجوداً إذا رعت في أرض مكلئة وشبعت وأمجدت الإبل إذا أشبعتها وقالوا في كل شجر نار، واستمجد المرخ والعفار أي صار ماجداً في إيرائه النار وقيل استمجد العفار إذا كثر ناره وصفت وحجة نافع في قراءته محفوظ أن القرآن وصف بالحفظ في قوله «وإنا له لحافظون» ومعنى حفظ القرآن أنه يؤمن من تحريفه وتبديله وتغييره فلا يلحقه شيء من ذلك وحجة من جر محفوظاً جعله وصفاً للوح فإنهم يقولون اللوح المحفوظ.

اللغة:

الأخدود الشق العظيم في الأرض ومنه ما روي في معجز النبي ﷺ أنه دعا الشجرة فجعلت تخد الأرض خداً حتى أتته، ومنه الخد لمجاري الدموع وتخدد لحمه إذا صار فيه طرائق كالشقوق والوقود ما تشتعل به النار من الحطب وغيره بفتح الواو والوقود بالضم الإيقاد، يقال فتنت الشيء أحرقته والفتين حجارة سود كأنها محرقة وأصل الفتنة الامتحان ثم يستعمل في العذاب.

الإعراب:

قال الفراء «قتل أصحاب الأخدود» جواب القسم كما كان جواب والشمس وضحاها قد أفلح من زكاها وقيل إن جواب القسم محذوف وتقديره أن الأمر حق في الجزاء على الأعمال وقيل جواب القسم قوله «إن الذين فتنوا المؤمنين» الآية وقيل جواب القسم قوله «إن بطش ربك لشديد» النار بدل من الأخدود وهو بدل الاشتمال لأن الأخدود يشتمل على ما فيه من النار أي النار منه و«ذات الوقود» صفة للنار ويسأل على هذا فيقال كيف خصت هذه النار بذا وكل نار لها وقود وأجيب عنها بجوابين (أحدهما) أنه قد يكون نار ليست بذات وقود كنار الحجر ونار الكبد (والآخر) إن الوقود معرف فصار مخصوصاً كأنه وقود بعينه كما قال وقودها الناس والحجارة فكان الوقود هنا أبدان الناس، إذ هم عليها قعود إذ مضاف إلى الجملة وهي ظرف لقوله «قتل أصحاب الأخدود» إذا كان إخباراً لا دعاء و«أن يؤمنوا» في موضع نصب بقوله «نقموا» والتقدير وما نقموا إلا إيمانهم «فرعون وثمود» في موضع جر بدل من الجنود ويجوز أن يكونا في موضع نصب بإضمار فعل كأنه قال أعني فرعون وثمود.

قصة أصحاب الأخدود:

روى مسلم في الصحيح عن هدية بن خالد عن حماد بن

سلمة عن ثابت بن عبد الرحمن بن أبي ليلى عن صهيب عن رسول الله ﷺ قال: كان ملك فيمن كان قبلكم له ساحر فلما مرض الساحر قال إني قد حضر أجلي فادفع إلي غلاماً أعلمه السحر فدفع إليه غلاماً وكان يختلف إليه وبين الساحر والملك راهب فمر الغلام بالراهب فأعجبه كلامه وأمره فكان يطيل عنده القعود فإذا أبطأ عن الساحر ضربه وإذا أبطأ عن أهله ضربوه فشكا ذلك إلى الراهب فقال يا بني إذا استبطأك الساحر فقل حبسني أهلي وإذا استبطأك أهلك فقل حبسني الساحر فبينما هو ذات يوم إذا بالناس قد حبستهم دابة عظيمة فظيعة فقال اليوم أعلم أمر الساحر أفضل أم أمر الراهب، فأخذ حجراً فقال: اللهم إن كان أمر الراهب أحب إليك فاقتل هذه الدابة فرمى فقتلها ومضى الناس فأخبر بذلك الراهب فقال أي بني إنك ستبتلى وإذا ابتليت فلا تدل علي قال وجعل يداوي الناس فيبرىء الأكمه والأبرص فبينما هو كذلك إذ عمي جليس للملك فأتاه وحمل إليه مالاً كثيراً فقال اشفني ولك ما ها هنا فقال إني لا أشفي أحداً ولكن الله يشفي فإن آمنت بالله دعوت الله فشفاك قال فآمن فدعا الله له فشفاه فذهب فجلس إلى الملك فقال يا فلان من شفاك قال ربي قال أنا قال لا ربي وربك الله قال: أ وإن لك رباً غيري؟ قال: نعم ربي وربك الله، فأخذه فلم يزل به حتى دله على

الغلام فبعث إلى الغلام فقال: لقد بلغ من أمرك أن تشفي الأكمه والأبرص، قال: ما أشفي أحداً ولكن الله ربي يشفي، قال: أ وإن لك رباً غيري؟ قال: نعم ربي وربك الله، فأخذه فلم يزل به حتى دله على الراهب فوضع المنشار عليه فنشره حتى وقع شقين وقال للغلام ارجع عن دينك فأبى فأرسل معه نفراً وقال اصعدوا به جبل كذا وكذا فإن رجع عن دينه وإلا فدهدهوه منه قال فعلوا به الجبل فقال اللهم اكفنيهم بما شئت قال فرجف بهم الجبل فتدهدهوا أجمعون وجاء إلى الملك فقال ما صنع أصحابك قال كفانيهم الله فأرسل به مرة أخرى قال انطلقوا به فلججوه في البحر فإن رجع وإلا فغرقوه فانطلقوا به في قرقور فلما توسطوا به البحر قال اللهم اكفنيهم بما شئت قال فانكفأت بهم السفينة وجاء حتى قام بين يدي الملك فقال ما صنع أصحابك قال كفانيهم الله ثم قال إنك لست بقاتلي حتى تفعل ما آمرك به أجمع الناس ثم اصلبني على جذع ثم خذ سهماً من كنانتي ثم ضعه على كبد القوس ثم قل باسم رب الغلام فإنك ستقتلني قال فجمع الناس وصلبه ثم أخذ سهماً من كنانته فوضعه على كبد القوس وقال باسم رب الغلام ورمى فوقع السهم في صدغه ومات فقال الناس آمنا برب الغلام فقيل له أرأيت ما كنت تخاف قد نزل والله بك آمن الناس فأمر بالأخدود فخددت على أفواه السكك ثم

أضرمها ناراً فقال من رجع عن دينه فدعوه ومن أبى فأقحموه فيها، فجعلوا يقتحمونها، وجاءت امرأة بابن لها فقال لها يا أمه اصبري فإنك على الحق وقال ابن المسيب كنا عند عمر بن الخطاب إذ ورد عليه أنهم احتفروا فوجدوا ذلك الغلام وهو واضع يده على صدغه فكلما مدت يده عادت إلى صدغه فكتب عمر واروه حيث وجدتموه، وروى سعيد بن جبير قال لما انهزم أهل اسفندهان قال عمر بن الخطاب ما هم يهود ولا نصارى ولا لهم كتاب وكانوا مجوساً فقال علي بن أبي طالب عليه السلام بل قد كان لهم كتاب ولكنه رفع وذلك أن ملكاً لهم سكر فوقع على ابنته أو قال على أخته فلما أفاق قال لها كيف المخرج مما وقعت فيه قالت تجمع أهل مملكتك وتخبرهم أنك ترى نكاح البنات وتأمرهم أن يحلوه فجمعهم فأخبرهم فأبوا أن يتابعوه فخد لهم أخدوداً في الأرض وأوقد فيه النيران وعرضهم عليها فمن أبى قبول ذلك قذفه في النار ومن أجاب خلى سبيله، وقال الحسن كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم إذا ذكر أمامه أصحاب الأخدود تعوذ بالله من جهد البلاء.

وروى العياشي بإسناده عن جابر عن أبي جعفر عليه السلام قال أرسل علي عليه السلام إلى أسقف نجران يسأله عن أصحاب الأخدود فأخبره بشيء فقال عليه السلام ليس كما ذكرت ولكن

سأخبرك عنهم إن الله بعث رجلاً حبشياً نبياً وهم حبشة فكذبوه فقاتلهم فقتلوا أصحابه وأسروه وأسروا أصحابه ثم بنوا له حيراً ثم ملأوه ناراً ثم جمعوا الناس فقالوا من كان على ديننا وأمرنا فليعتزل ومن كان على دين هؤلاء فليرم نفسه في النار معه، فجعل أصحابه يتهافتون في النار فجاءت امرأة معها صبي لها ابن شهر فلما هجمت على النار هابت ورقت على ابنها فناداها الصبي لا تهابي وارمي بي وبنفسك في النار فإن هذا والله في الله قليل فرمت بنفسها في النار وصبيها وكان ممن تكلم في المهد.

وبإسناده عن ميثم التمار قال سمعت أمير المؤمنين عليه السلام وذكر أصحاب الأخدود فقال كانوا عشرة وعلى مثالهم عشرة يقتلون في هذا السوق، وقال مقاتل كان أصحاب الأخدود ثلاثة واحد بنجران والآخر بالشام والآخر بفارس حرقوا بالنار أما الذي بالشام فهو أنطياخوس الرومي وأما الذي بفارس فهو بخت نصر وأما الذي بأرض العرب فهو يوسف بن ذي نواس فأما من كان بفارس والشام فلم ينزل الله تعالى فيهما قرآنا وأنزل في الذي كان بنجران، وذلك أن رجلين مسلمين ممن يقرأون الإنجيل (أحدهما) بأرض تهامة (والآخر) بنجران اليمن أجر أحدهما نفسه في عمل يعمله فجعل يقرأ الإنجيل فرأت ابنة المستأجر النور يضيء من قراءة الإنجيل فذكرت

لأبيها فرمق حتى رآه فسأله فلم يخبره فلم يزل به حتى أخبره بالدين والإسلام فتابعه مع سبعة وثمانين إنساناً من رجل وامرأة، وهذا بعد ما رفع عيسى إلى السماء فسمع يوسف بن ذي نواس بن شراحيل بن تبع الحميري فخد لهم في الأرض وأوقد فيها فعرضهم على الكفر فمن أبى قذفه في النار ومن رجع عن دين عيسى لم يقذف فيها، وإذا امرأة جاءت ومعها ولد صغير لا يتكلم فلما قامت على شفير الخندق نظرت إلى ابنها فرجعت فقال لها يا أماه إني أرى أمامك ناراً لا تطفى فلما سمعت من ابنها ذلك قذفها في النار فجعلها الله وابنها في الجنة وقذف في النار سبعة وسبعون إنساناً، قال ابن عباس من أبى أن يقع في النار ضرب بالسياط فأدخل الله أرواحهم في الجنة قبل.

المعنى:

إن الله سبحانه أقسم بالسماء فقال «والسماء ذات البروج» فالبروج المنازل العالية والمراد هنا منازل الشمس والقمر والكواكب وهي اثنا عشر برجاً يسير القمر في كل برج منها يومين وثلاث وتسير الشمس في كل برج شهراً «واليوم الموعود» يعني يوم القيامة في قول جميع المفسرين وهو اليوم الذي يجازى فيه الخلائق ويفصل فيه القضاء «وشاهد ومشهود» فيه أقوال (أحدها) إن الشاهد يوم الجمعة والمشهود

يوم عرفة عن ابن عباس وقتادة وروي ذلك عن أبي جعفر وأبي عبدالله عليه السلام وروي ذلك عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم وسمي يوم الجمعة شاهداً لأنه يشهد على كل عامل بما عمل فيه، وفي الحديث ما طلعت الشمس على يوم ولا غربت على يوم أفضل منه وفيه ساعة لا يوافقها من يدعو فيها الله بخير إلا استحباب له ولا استعاذ من شر إلا أعاذه منه ويوم عرفة مشهود يشهد الناس فيه موسم الحج وتشهده الملائكة، (وثانيها) أن الشاهد يوم النحر والمشهود يوم عرفة عن إبراهيم، (وثالثها) أن الشاهد محمد صلى الله عليه وآله وسلم والمشهود يوم القيامة عن ابن عباس، في رواية أخرى وسعيد بن المسيب وهو المروي عن الحسن بن علي وروي أن رجلاً دخل مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فإذا رجل يحدث عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال فسألته عن الشاهد ومشهود فقال نعم الشاهد يوم الجمعة والمشهود يوم عرفة فجزته إلى آخر يحدث عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فسألته عن ذلك فقال أما الشاهد فيوم الجمعة وأما المشهود فيوم النحر فجزتهما إلى غلام كان وجهه الدينار وهو يحدث عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقلت أخبرني عن شاهد ومشهود فقال أما الشاهد فمحمد صلى الله عليه وآله وسلم وأما المشهود فيوم القيامة أما سمعته سبحانه يقول «يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً» وقال «ذلك يوم مجموع له الناس وذلك يوم مشهود» فسألت

عن الأول فقالوا ابن عباس وسألت عن الثاني فقالوا ابن عمر وسألت عن الثالث فقالوا الحسن بن علي عليه السلام، (ورابعها) أن الشاهد يوم عرفة والمشهود يوم القيامة وعن أبي الدرداء عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال أكثروا الصلاة علي يوم الجمعة فإنه يوم مشهود تشهده الملائكة، وإن أحداً لا يصلي علي إلا عرضت علي صلاته حتى يفرغ منها، قال فقلت وبعد الموت فقال إن الله حرم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء فنبي الله حي يرزق، (وخامسها) إن الشاهد الملك يشهد على بني آدم والمشهود يوم القيامة عن عكرمة وتلا هاتين الآيتين وجاءت كل نفس معها سائق وشهيد وذلك يوم مشهود وقد قيل في ذلك أقوال أخر كقول الجبائي الشاهد الذين يشهدون على الناس والمشهود هم الذين يشهد عليهم وقول الحسين بن الفضل الشاهد هذه الأمة والمشهود سائر الأمم لقوله «لتكونوا شهداء على الناس» وقيل الشاهد أعضاء بني آدم والمشهود هم لقوله «يوم تشهد عليهم ألسنتهم» الآية وقيل الشاهد الحجر الأسود والمشهود الحاج وقيل الشاهد الأيام والليالي والمشهود بنو آدم وينشد للحسين بن علي عليه السلام:

مضى أمسك الماضي شهيداً معدلاً

وخلفت في يوم عليك شهيد

فإن أنت بالأمس اقترفت إساءة

فقيد بإحسان وأنت حميد

ولا ترج فعل الخير يوماً إلى غد

لعل غداً يأتي وأنت فقيد

وقيل الشاهد الأنبياء والمشهود محمد ﷺ بيانه «وإذ أخذ الله ميثاق النبيين» إلى قوله «فاشهدوا وأنا معكم من الشاهدين» وقيل الشاهد الله والمشهود لا إله إلا الله بيانه قوله «شهد الله أنه لا إله إلا هو» الآية وقيل الشاهد الخلق والمشهود الحق وإليه أشار الشاعر بقوله:

أيا عجباً كيف يعصي الإله

أم كيف يجحده الجاحد

ولله في كل تحريكة

وفي كل تسكينة شاهد

وفي كل شيء له آية

تدل على أنه واحد

فهذه ثمانية أقوال أخر «قتل أصحاب الأخدود» أي لعنوا بتحريقهم الناس في الدنيا قبل الآخرة والمراد به الكافرون الذين حفروا الأخدود وعذبوا المؤمنين بالنار ويحتمل أن يكون إخباراً عن المسلمين الذين عذبوا بالنار في الأخدود، والمعنى أنهم قتلوا بالإحراق في النار ذكرهم الله سبحانه

وأثنى عليهم بحسن بصيرتهم وصبرهم على دينهم حتى أحرقوا بالنار لا يعطون التقية بالرجوع عن الإيمان، «النار ذات الوقود» أي أصحاب النار الذين أوقدوها بإحراق المؤمنين، وقوله «ذات الوقود» إشارة إلى كثرة حطب هذه النار وتعظيم لأمرها فإن النار لا تخلو عن وقود، «إذ هم عليها قعود» يعني الكفار إذ هم على أطراف هذه النار جلوس يعذبون المؤمنون، عن ابن عباس وقيل يعني هم عندها قعود يعرضونهم على الكفر عن مقاتل قال مجاهد كانوا قعوداً على الكراسي عند الأخدود وهو قوله «وهم» يعني الملك وأصحابه الذين خدوا الأخدود «على ما يفعلون بالمؤمنين» من عرضهم على النار وإرادتهم أن يرجعوا إلى دينهم، «شهود» أي حضور قال الزجاج أعلم الله قصة قوم بلغت بصيرتهم وحقيقة إيمانهم إلى أن صبروا على أن أحرقوا بالنار في الله، وقال الربيع بن أنس لما ألقوا في النار نجى الله المؤمنين بأن أخذ أرواحهم قبل أن تمسهم النار وخرجت النار إلى من على شفير الأخدود من الكفار فأحرقتهم، وقيل أنهم كانوا فرقتين فرقة تعذب المؤمنين وفرقة تشاهد الحال لم يتولوا تعذيبهم لكنهم قعود رضوا بفعل أولئك وكانت الفرقة القاعدة مؤمنة لكنهم لم ينكروا على الكفار صنيعهم فلعنهم الله جميعاً، عن أبي مسلم والقعود جمع القاعد وكذلك الشهود جمع الشاهد وهم كل

حاضر على ما شاهدوه إما بسمع أو بصر، «وما نقموا منهم إلا أن يؤمنوا بالله» أي ما كرهوا منهم إلا أنهم آمنوا عن ابن عباس وقيل ما أنكروا عليهم ديناً وما عابوا منهم شيئاً إلا إيمانهم وهذا كقوله «هل تنقمون منا إلا أن آمنا بالله».

عن الزجاج ومقاتل وقال الجبائي ما فعلوا بهم ذلك العذاب إلا بإيمانهم، «العزيز» القادر الذي لا يمتنع عليه شيء القاهر الذي لا يقهر، «الحميد» المحمود في جميع أفعاله، «الذي له ملك السماوات والأرض» أي له التصرف في السماوات والأرض لا اعتراض لأحد عليه، «والله على كل شيء شهيد» أي شاهد عليهم لم يخف عليه فعلهم بالمؤمنين فإنه يجازيهم وينتصف للمؤمنين منهم، «إن الذين فتنوا المؤمنين والمؤمنات» أي الذين أحرقوهم وعذبوهم بالنار، عن ابن عباس وقتادة والضحاك ومثله يوم هم على النار يفتنون، «ثم لم يتوبوا» من فعلهم ذلك ومن الشرك الذي كانوا عليه وإنما شرط عدم التوبة لأنهم لو تابوا لما توجه إليهم الوعيد، «فلهم عذاب جهنم» بكفرهم «ولهم عذاب الحريق» بما أحرقوا المؤمنين يسأل فيقال كيف فصل بين عذاب جهنم وعذاب الحريق وهما واحد.

أجيب عن ذلك بأن المراد لهم أنواع العذاب في جهنم سوى الإحراق مثل الزقوم والغسلين والمقامع ولهم مع ذلك

الإحراق بالنار وقيل لهم عذاب جهنم في الآخرة ولهم عذاب الحريق في الدنيا، وذلك أن النار ارتفعت من الأخدود فأحرقتهم عن الربيع بن أنس وهو قول الكلبي وقال الفراء ارتفعت النار عليهم فأحرقتهم فوق الأخاديد ونجا المؤمنون ثم ذكر سبحانه ما أعده للمؤمنين الذين أحرقوا بالنار، فقال «إن الذين آمنوا» أي صدقوا بتوحيد الله «وعملوا الصالحات لهم جنات تجري من تحتها الأنهار ذلك الفوز الكبير» النجاة العظيم والنفع الخالص وإنما وصفه بالكبير لأن نعيم العاملين كبير بالإضافة إلى نعيم من لا عمل له من داخلي الجنة لما في ذلك من الإجلال والإكرام والتبجيل والإعظام ثم قال سبحانه متوعداً للكفار والعصاة، «إن بطش ربك» يا محمد «لشديد» يعني أن أخذه بالعذاب إذا أخذ الظلمة والجبابرة أليم شديد وإذا وصف البطش وهو الأخذ عنفاً بالشدة فقد تضاعف مكروهه وتزايد إيلامه «إنه هو يبديء» الخلق يخلقهم أولا في الدنيا «ويعيد» هم أحياء بعد الموت للحساب والجزاء فليس إمهاله لمن يعصيه لإهماله إياه وقيل أنه يبديء بالعذاب في الدنيا ويعيده في الآخرة عن ابن عباس وذلك لأن ما قبله يقتضيه «وهو الغفور» لذنوب المؤمنين من أهل طاعته ومعناه كثير الغفران عادته مغفرة الذنوب، «الودود» يود أولياءه ويحبهم عن مجاهد قال الأزهري في تفسير أسماء الله يجوز

أن يكون ودود فعولاً بمعنى مفعول كركوب وحلوب ومعناه أن عباده الصالحين يودونه ويحبونه لما عرفوا من فضله وكرمه، ولما أسبغ من آلائه ونعمه قال وكلتا الصفتين مدح لأنه سبحانه أن أحب عباده المطيعين فهو فضل منه وأن أحبوه فلما عرفوه من فضله وإحسانه، «ذو العرش المجيد» أكثر القراءة في المجيد الرفع لأن الله سبحانه هو الموصوف بالمجد ولأن المجيد لم يسمع في غير صفة الله تعالى وإن سمع الماجد ومن كسر المجيد جعله من صفة العرش، وروي عن ابن عباس إنه قال يريد العرش وحسنه ويؤيده أن العرش وصف بالكرم في قوله «رب العرش الكريم» فجاز أيضاً أن يوصف بالمجد لأن معناه الكمال والعلو والرفعة والعرش أكمل كل شيء وأعلاه وأجمعه لصفات الحسن، «فعال لما يريد» لا يعجزه شيء طلبه ولا يمتنع منه شيء أراده عن عطاء وقيل لما يريد من الإبداء والإعادة ثم ذكر سبحانه خبر الجموع الكافرة، فقال «هل أتيك حديث الجنود» الذين تجندوا على أنبياء الله أي هل بلغك أخبارهم وقيل أراد قد أتاك ثم بين سبحانه أصحاب الجنود، فقال «فرعون وثمود» والمعنى تذكر يا محمد حديثهم تذكر معتبر كيف كذبوا أنبياء الله وكيف نزل بهم العذاب وكيف صبر الأنبياء وكيف نصروا فاصبر كما صبر أولئك ليأتيك النصر كما أتاهم وهذا من الإيجاز البديع

والتلويح الفصيح الذي لا يقوم مقامه التصريح، «بل الذين كفروا» يعني مشركي قريش «في تكذيب» لك والقرآن قد أعرضوا عما يوجبه الاعتبار وأقبلوا على ما يوجبه الكفر والطغيان، «والله من ورائهم محيط» معناه أنهم في قبضة الله وسلطانه لا يفوتونه كالمحاصر المحاط به من جوانبه لا يمكنه الفوات والهرب وهذا من بلاغة القرآن، «بل هو قرآن مجيد» أي كريم لأنه كلام الرب عن ابن عباس أي ليس هو كما يقولون من أنه شعر أو كهانة وسحر بل هو قرآن كريم عظيم الكرم فيما يعطي من الخير جليل الخطر والقدر وقيل هو قرآن كريم لما يعطي من المعاني الجليلة والدلائل النفيسة ولأن جميعه حكم والحكم على ثلاثة أوجه لا رابع لها معنى يعمل عليه فيما يخشى أو يتقي وموعظة تلين القلب للعمل بالحق وحجة تؤدي إلى تميز الحق من الباطل في علم دين أو دنيا وعلم الدين أشرفهما وجميع ذلك موجود في القرآن «في لوح محفوظ» من التغيير والتبديل والنقصان والزيادة وهذا على قراءة من رفعه فجعله من صفة قرآن ومن جره فجعله صفة للوح فالمعنى أنه محفوظ لا يطلع عليه غير فجعله من صفة قرآن ومن جره فجعله صفة للوح، فالمعنى أنه محفوظ لا يطلع عليه غير الملائكة وقيل محفوظ عند الله وهو أم الكتاب، ومنه نسخ القرآن والكتب وهو الذي يعرف باللوح

المحفوظ وهو من درة بيضاء طوله ما بين السماء والأرض وعرضه ما بين المشرق والمغرب، عن ابن عباس ومجاهد وقيل إن اللوح المحفوظ الذي ذكره الله في جبهة إسرافيل عن أنس وقيل اللوح المحفوظ عن يمين العرش عن مقاتل.

من واقع الحياة:

إن الحياة وما فيها من صور المفارقات من آلامٍ واحزانٍ وأفراح ودمعةً وابتسامة وهناء ونعيم فالحياة حلوها ومرها كثير بل خطرها أكثرُ من حلوها فهي لا تصفو وإن صفت لك ساعه أنت سعيد ونحب ان نورد هنا صورةً من واقع الحياة المؤلمة وهو الفقر، والفقر أشر صاحب حتى قيل ما رحل الفقر إلى بلد إلا قال للكفر خدني معك، فإذا لم يتسلح الإنسان بسلاح الصبر والايمان يتيهُ في صحارٍ لا أول لها ولا آخر فيخسر دنياهُ وآخرته لأنه لم يلبس الايمان والصبر درعاً له يتقي بهما من سهام الزمان التي يفوقها إلى قلب ذلك المرء فتصيبهُ سهم وهنا تلك البلية التي لا دواء لها الا الرجوع إلى ظل رحمة الخالق، وفي هذه القصة التي سنذيعها عبرةً لمن اعتبر.

وهي رواية عن رجل مؤمن المرحوم السيد أحمد السيد سعيد العوامي غفر الله له وصب على قبره شآبيب رحمة الله وقد قص علي هذه القصة وهو يصف فترة الفقر التي مرت

بالقطيف وخيم على آفاقها قبل ظهور البترول، فكان أكثر القطيفيين يطوون ليلهم ونهارهم على أشباح السغب المخيف المر الذي تمدد فيه اشباح الموت، وقال كان سيد من السادة يعيش في فقرٍ مدقع حتى بلغ في عيشته حياة مؤلمة عندما وضعت زوجته لا يملكُ شيئاً ينفسها به وليس في بيته إلا ماء البئر القراح وهذا يحتاجُ إلى دلو يربط به حبلاً يسمى باللغة القطيفية الشعبية (زيلة) أي إناء كبير يصعدُ به الماء من ذلك البئر فظل حيران يفكر يضرب أخماساً في أسداس حتى هداه عقله ان يذهب إلى سيد خباز وكان في تلك الأيام تجمع أقراص الخبز للبيع على (الباشقون) بلغة القطيف الشعبية الدارجة ولعل كلمة (باشقون) فارسية أو تركية وتفسيرها بالعربية مجمع لأقراص الخبز وهي قوائم توضع على دكه مرتفعة مبنيه من الجص يجمع عليها الخبز أمام مالك المخبز وعن يمينه صندوق الخشب يجمع فيه أثمان ما يبيع من الخبز، فجاء ذلك الرجل الملهوف الذي وهو في تيار تتقاذفه موجات من الفزع والذعر على نفسه وعلى زوجته النفساء وجمع له من تلك الأقراص مجموعة أراد بها سد رمقه ورمق زوجته النفساء وهمس في اذن مالك المخبز ووصف له حالته التي يبكى لها كل من له شعور إنساني وحس مرهف يتأثر بعواطف الإنسانية فيشارك أخاه في محنته، فهمس في اذنه لا

يملك ثمن هذه الخبز ففوجئ من المالك بأخذ الخبز من يده ووضعه على مجمع الخبز فهنا السيد الرجل فغامت الحياة في عين السيد الفقير وصار لا يبصر طريقه وتاه في بحر كزورق تتقاذف به امواج البؤس والحزن وذهب إلى الحقول ولا يدري هو عن قصد وتدبير أو لطف من الله به فوضع عباءته على الأرض وصار يجني من الكرفس والحندبان ويجمعه ليكون غذاء لزوجته، وبينما هو في هذه الحالة وإذا بالمخبز تتساقط اقراصه في قعر التنور كلما وضع قرصاً فتحترق ولما أبصر مالك المخبز ما جرى على مخبزه تذكر عدم مساعدة السيد الفقير فذهب يبحث عن ذلك المسكين وبعد ن تعرف على بيته فطرق الباب وأجيب بأن رب هذا البيت منذ خروجه لم يعد فحار في أمره وكان حاملاً له خبزاً ودراهماً فقام يبحث عنه مرة أخرى فأرشده شخصاً عليه، فلما وجده اعتذر منه وقدم له ما عنده من خبز ودراهم وأبى أخذها وقال له انظر لما في العباءة سأسدُ به جوعتي وجوعة الزوجة النفساء، فأخبره صاحب المخبز لما أَلَمّ بمخبزه وأقسم عليه بالله إلا ما أخذ منه هذه الهدية لإنقاذه مما حصل لمخبزه من هذه المحنة فبعد التي والتي والتضرع له واعترافه بغلطته وقبل رأسهُ في تضرع وخضوع فقبل هديته وعاد إلى مخبزه، فعادت أموره على طبيعتها السابقة، هذه القصة صغتها بأسلوبي لكن الحدث

أخذناه من فم المرحوم السيد أحمد الذي شهد القصة الحقيقية إما بعينه أو بسمعه ورسمت معناها بأسلوب يشوّق القرّاء لقراءتها، والقصد من رسم هذه القصة تنبيهاً للأجيال لأخذ العبرة من هذا الحدث التاريخي وتجنب هذه الطريق والسير على الصراط المستقيم لينجو غداً من الفزع الأكبر، نسأل الله التوفيق لطاعته إلى ما يحب ويرضى.

من أقاصيص الوطنية الواقعية:

نتقل ما رواه أستاذنا العلامة الشيخ فرج العمران رحمه الله ما رواه في كتابه (الأزهار الأرجية) الجزء الثالث عشر صفحة (١١٣) مطبعة النعمان ـ النجف الأشرف، وتؤثر عن الرجل المحسن الحاج أحمد الجشي المولود عام ١٢٦٣هـ حكايات جميلة في فعل الخير فمن تلك الحكايات أنه جاءه ذات ليلة السيد الجليل السيد محفوظ ابن السيد شبر الخباز وهو في غاية الهم والكدر قد اسودت الدنيا في عينه وذلك لأنه قد سرقت منه أمانات لجماعة من المؤمنين وهو لا يستطيع أن يؤديها لأهلها من كيسه الخاص لضعفه فقال له أغثني أغاثك الله فأجابه طب نفساً وقر عيناً انشاء الله ينقضي الأمر على أحسن ما تحب، وكان حينئذ فوق السطح وكان له جار اسمه الحاج سلمان الصفار قد سمع كلام السيد محفوظ فخاطب

الحاج أحمد وهو في منزله يا أبا محمد حسين أشركني في هذه التجارة فظن أنه يعني تجارة خاصة في اللؤلؤ فأجابه لا بأس أيها الجار الكريم وبعد ذلك اخبره بأنه يعني وفاء أمانات السيد فاشتركا في ذلك وكان يود أن يقوم بوفائها بنفسه ولكنه أجاب جاره بالاشتراك ولا يخفى أن هذا من أحسن الأخلاق. والأستاذ العلامة شيخ فرج جزاه الله ألف خيرٍ عن وطنه فقد حفظ لنا الكثير من أخباره ومعالمه وتراثه العلمي والأدبي وأريد هنا أن أصيغ هذه القصة العجيبة بأسلوبي مع الاحتفاظ بالجوهر وعناصر القصة، وقد نبأني ابني المهندس أديب أن الأستاذ الفاضل كتب عن هذه القصة بعد أن رأى كتابتي لها وكنت لا أعرف أسماء أبطال القصة.

ونقصُّ هذه القصة وكانت قصة نبع من الإيمان والرأفة والشعور بالمساواة الأخوية الإسلامية التي نصَّ عليها المصطفى نبي الرحمة ﷺ المجتمعُ كجسم واحد إذا تألم عضو منه تداعى له بقيه الأعضاء بالسهر والحمى وهذه القصة من ألوان الصور النادرة التي لا توجد في الحياة إلا على ندره، لأن البشر يلهث وراء المادة التي أفقدتهم كل معنى روحي وصاغتهم أجساداً بدون عواطف ورحمة على إخوانهم فاصبحوا لا يسعون ولا يخطون أي خطوات إلا على جسر مادي ونسوا كل علاقة تربطهم برابط الأخوة الإسلامية أو

البشرية أو الوطنية، وسنقصُّ صفحات من فصولها لترى الأجيال لوناً مشرفاً وقع في القرن الثالث عشر وهي: كان رجلاً أميناً اسمه السيد محفوظ السيد شبر الخباز عنده مخبز ومدار لطحن الحبوب لعمل الخبز من حبوب البر الدقيق بعد طحنه بالأتن، ولأمانته وتقواه صار ملجأً تستودع عنده الأمانات من بعض الكادحين وللبساطة والثقة والسذاجة الطاهرة السائدة في المجتمع أن هذا الرجل الأمين لديه صندوقاً خشبياً يقفله بقفل عادي لا يسمنُ ولا يغني من جوع يعرف باللهجة الشعبية القطيفة بالسحارة والمؤمن على بساطته يضع نقوده في خرقة يوضع عليها اسمه ولقبه وعدد دراهمهِ فيسلمها لذلك السيد الأمين صاحب المخبز ويضعها في ذلك الصندوق الخشبي فتجتمع عنده في ذلك الصندوق مبالغ لمؤمنين كثر مختلفة الأسماء والألقاب، فإذا جاء صاحب الأمانة يطلبها فتح السيد محفوظ الصندوق الخشبي وأخرج أمانة ذلك الشخص فسلمها له ثم أقفله، وهكذا دواليك على هذه السيرة لأن في ذلك العصر لا توجد مصارف حتى يلجأ إليها الناس حضراً وبدواً ومن الصدف التي تمر بالأشخاص هي من ألوان النكبات والبلايا أن يسرق هذا الصندوق وما فيه عندما جاء السيد الأمين في ذات صباح ليفتح مخبزه على عادته اليومية وجد الصندوق خالياً فبهت وتلبد الحزن في آفاق

نفسه وغامت أشباح الهم في أجواء حياته وظل يضرب أخماساً في أسداس لا يدري ماذا يصنع فظل في حيرةٍ وبعد ما لاقاه من الألم الطويل والسهر المضني هداه الله إلى طريق منير يسلكها فيفتح الله له فرجاً فذهب تحت ستار الليل إلى شخصٍ مؤمنٍ محسنٍ يحب الخيرات اسمه الحاج أحمد الجشي واقف نفسه على طاعة الله ومساعدة المحتاجين والمنكوبين وكان الفصل صيفاً وصيف القطيف لهيب وحرارة تنضج الأجسام إذ لا توجد في ذلك العصر لا كهرباء تخفف من أطياف تلك الحرارة وتطرد ذلك اللهب ولا هاتف ولا سيولة مياه في البيوت فالحياة تسيرُ على طبيعتها غير معقدة، فذهب السيد المؤتمن السيد محفوظ لابساً الليل متجلبباً بالظلام الكئيب لأنه يصور ما في نفسه من تلك الكآبة والنكبة التي أحلت به لعل ذوي الأمانة لا يصدقوه وإن صدقوه لا يتنازلون عن حقوقهم وهو يسير إلى ذلك السيد الكريم النجيب يخطو على أشواك تدمي قدميه ونصال الحزن تحزُّ في صدره وأفكار كالسعالى تنهش في قلبه حتى وقف على باب السيد النجيب الحاج أحمد الجشي وهو في غيبوبة من الألم ويقظة من الحزن والكآبة وليس هناك كهرباء حتى يضغط على الجرس فيهاتفه من في البيت فيفتح له البوابة بعد معرفتهم بالشخص والجو صائف ملتهب وبيوت القلعة حاضرة القطيف

آنذاك متلاصقة بعضها ببعض وعالية البناء لأنها تتكون من ثلاثة أدوار أو أربعه والطرق المؤدية لها ضيقه لأن عصر المواصلات والوسائل التي تستخدم لها هي أتن وخيول ولم تكن المواصلات مثل عصرنا السيارات والطائرات وما يماثلهما فتقدم ذلك الرجل إلى حلقة الباب فطرق البوابة وأدخله الخادم إلى الطابق العلوي وكان هذا المحسن الشهم جالس في سطح مجلسه، فلما جاء الرجل واستقر بمجلسه قرأ على أسرار وجهه حيرةً وارتباكاً وذهولاً وتفكيراً عميقاً فاختصر معه ليس لهما إلا خالقهما وبدأ يشرح له قصته حتى انتهى منها وسأله هل تعرف أسماء أصحاب الأمانات وما عدد نقودهم فأجاب بالسلب فقال له كيف تسلم الأمانة إذا جاء صاحبها فشرح له طريقتها التي أشرنا لها آنفاً وأين يحفظها وهو يشرح له تفصيلاً عن كيفية استلامها وتسليمها والمكان الذي يضعها فيه ولا يتصرف فيها ولا ينتفع بها وهو يقصد الأجر من الله في حفظها، فصمت الرجل المحسن الحاج أحمد الجشي هنيئة ليبحث له عن مخرجٍ ينفد منه لتخليصه وتسليم الأمانات إلى أصحابها فقال له سأعطيك طريقة تنقذك من هذه البلية أي شخص يجيئك من أصحاب الأمانات ويطالبك في أمانته قل له إنك سلمتها إليّ ولا تتذكر عدد نقودها وسله عن عدد نقود أمانته فحوّله عليّ بتحويل

منك واذكر فيه اسم المؤمن وعدد نقودها وأنا أسددها وهكذا حتى ينتهي أصحاب الأمانات ولا أريد منك شيئاً بل هي في سبيل الله راجين منه الجزاء يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم، فغمرت الرجل الفرحة وهزت كيانه فانحنى على كف المحسن يقبلها ويشكره يقول له أنت عتقتني ولكن المحسن قال له لا أريد منك هذا العمل أو الشكر إنما فعلته من أجل الله والله المكافئ.

والأغرب من ذلك والعجب أن جار هذا المحسن الحاج سليمان الصفار المحسن ابتداءً يطلب الاشتراك مع جاره الجشي بدون أن يطلب منه أحد وحين ما التقى بجاره الجشي عند خروجه من بيته في صبيحة تلك الليلة قال له أيها الجار العزيز البارحة عندك مأدبة ضخمه وأنا جارك لي عليك حق الجوار فكيف لا تدعوني فقال له: لم تكن عندي البارحة مأدبة وأنت متوهم، قال: بلا عندك أكبر مأدبة، فأصر عليه مما اضطر ذلك الجار الذي يعتب على جاره أن يفسر له المأدبة التي يعنيها فطلب منه أن يشترك معه إنصافاً بينهما ولا يحرمه الأجر والثواب، فوافق وأشركه بحق الجيرية، والسر في معرفته بالقصة كما أشرنا لبيوت القلعة في ذلك الوقت لا يفصل بين سطحي الجارين غير جدار يستطيعُ كل جار أن ينزل في بيت الثاني أو يناوله من سطحه إلى الجار الثاني ما يحتاج

له أو ما يهديه بجاره بدون كلفه بين الجارين، ورواية الأستاذ العلامة العمرانِ هاتف جاره من السطح وطلب منه الاشتراك معه إنصافاً فكلا الروايتين توصلنا إلى هدف واحد أن الصفار صار شريكاً مع جاره الجشي إنصافاً بينهما فهنيئاً لهما بهذه التجارة الرابحة، وروينا هذه القصة لما فيها من تسابق للخيرات لتكون أنموذجاً ومثالاً كريماً تسير على ضوئها الأجيال وذكرى تاريخ كريم نسأل الله أن يوفقنا لطاعته ويجنبنا معاصيه.

أبو نواس وابن الدراج

ألـم تـعـلـمي أن الـثـواء هـو الـتـوى
وأن بـيـوت الـعـاجـزيـن قـبـور
وأن خـطـيـرات الـمـهـالـك ضُـمَّـنٌ
لـراكـبـهـا أن الـجـزاء خـطـيـر
تـخـوفـنـي طـول الـسـفـار وأنـه
لـتـقـبـيـل كـف الـعـامـري سـفـيـر
تـنـاشـدنـي عـهـد الـمـودة والـهـوى
وفـى الـمـهـد مـبـغـوم الـنـداء صـغـيـر
تـبـوأ مـمـنـوع الـقـلـوب ومُـهِّـدت
لـه أذرع مـحـفـوفـة ونـحـور
عـصـيـت شـفـيـع الـنـفـس فـيـه وقـادنـي
رواح لـتـدآب الـسـرى وبـكـور

إن واقع الحياة عندما يفكر العاقل في مظاهر الكون واسراره يعود العقل حسيراً ولكنه اذا كان ذو عقل صحيح

يزداد إيماناً بالله وبوحدانيته فهو الذي قهر عباده بالموت والفناء وتفرد بالعز والبقاء خالق كل شيء وهو على كل شيء وكيل، ومن ألطافه ورحمته سخر الكون بما فيه من بحور وجبال وسهول وصحارى وشمس وقمر وليل ونهار كل هذه النعم في خدمة البشرية يتقلب فيها بغير منةً عليه ولا حظر عليه في سيره وحركته وسكونه في هذه الحياة، ولكن الإنسان كنود كفور لا يرعى هذه النعم وقد قال الحق تعالى: ﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ﴾ من هذا الأفق نحب ننفتح على الشاعر ابن الدراج الأندلسي حيث جاء في قصيدته الرائية التي عارض بها أبي نواس مدح الخصيب والي مصر مع اختلاف الممدوحين وابن الدراج مدح صالح بن يوسف والي وقد نقلنا شعر الشاعرين من الموازنة بين الشاعرين لزكي مبارك صفحة (٢٢١ ـ ٢٢٢) الطبعة الثانية يصور حسب رأيه أن الذي يثوي في بيته فالثوى هو الطواء أي من يلبس بيته فمسيره الجوع وأنه قبرَ نفسه قبل قبرها يعيش، هذه صورة شعرية رائعة وإن كان الشاعر شبه البيت بالقبر ولكن بينهما ما بين السماء والأرض لأن قبر الدنيا يعيش مع افراد عائلته ويتحرك كيف يشاء في القبر الدنيوي وليس في القبر الأخروي أنيس له إلا عمله فهو قرينه لا يفارقه إن خيراً فخير فهي السعادة وإن شر فشر فهي

الشقاوة، ولعل ابن الدراج لم يرد هذه الصورة التي اقتبسناها وشرحناها من واقع الحياة ولنقرأ بيته:

ألـم تـعـلـمـي أن الـثـواء هـو الـتـوى
وأن بـيـوت الـعـاجـزيـن قـبـور

ثم عقب ابن الدراج على طلبه لسعي طلب الرزق ونفض القبر أي البيت وسافر وإن كان في السفر مخاطر مهلكة أي ترك البيت وسعى وركب متون الرحيل ليضرب في الصحراء معرضاً نفسه لمهالك خطيرة لا مثيل لها وأننا نعارض الشاعر في تعميم هذه المهالك الخطيرة فهي تخص الذين يضربون السير وحده في البرور والصحارى ليس معهم إلا الله ولا تشمل من يطلبون الرزق في أوطانهم.

ويضيفُ ابن الدراج إلى المصاعب التي يلاقيها المسافر من المخاوف المرعبة التي تتراقص حول عينيه في سماء ليالي الصحراء التي لا أنيس بها وهو يشعر بوحشة خرساء صامتة وأشباح تلحقه كأنها تريد أن تبتلعه لأن قطع الصحارى والبحور في عصره مخيف لأن المواصلات هي عن طريق الخيول والجمال سفن الصحراء للمسافرين.

ويثب ابن الدراج وثبة عبقرية ويرسم لنا صورة سينمائية متحركة كأننا نشاهدها ونعيش معها وهو يصف وداع زوجته وهي تناشده ألا ينسى العهد عهد المودة والمحبة التي هي

ميثاق بين تلك الزوجة لأن سفره سيستغرق مدة طويلة برغم ما تكتنفه من أخطار لا يعلمها إلا الله ولا يزال منظر طفله مرسوماً في قلبه وعينه حينما ودعه وهو يبغم في مهده، وأبيات التوديع لابن الدراج خلقت لهذا المنظر صورةً شعرية وجرساً فيه نغماً ساحراً يذكرني بالشاعر الكبير الشريف الرضي:

تبغم وهي ناشدةً طلاها

وما زلنا مع ابن الدراج في توديعه زوجه والطفل الصغير حيث يصف ابنه الذي يتبؤ القلوب ويلفها ذراع الأم والأب ونحريهما، وهنا يلف ابن الدراج ابنه بذراعه ويلقي آخر نظرة على طفله وزوجه وأنه برغم ذلك عصى هوى نفسه وترك زوجه وابنه الصغير يقوده المسير ليلاً ونهاراً، وهذه صورة من صور الشعر التي توقف مرهف الحس وذو الحاسة الفنية امامها يرددها إعجاباً وإكباراً فاسمعه وهو ينشد لحنه الحزين:

تناشدني عهد المودة والهوى
وفى المهد مبغوم النداء صغير
عييٌ بمرجوع الخطاب ولحْظُهُ
بموقع أهواءِ النفوس خبير
تبوأ ممنوع القلوب ومهدت
له أذرع محفوفة ونحور

عصيت شفيع النفس فيه وقادني

رواح لتدآب السرى وبكور

وطارَ جناحُ البينَ بي وهفت بها

جوانحُ من ذعرِ الفراق تطيرُ

لئن ودعت مني غيوراً فإنني

على عزمتي من شجوها لغيورُ

ونختم حديثنا بأبيات للشاعر أبي نواس فيها زخم وصورة متحركة:

ولما أتَتْ فُسطاط مصر أجارها

على ركبها ألّا لا تزال مُجيرُ

من القومِ بسامٌ كأنَّ جبينهُ

سنا الفجرِ يسري ضوؤهُ وينيرُ

زها بالخصيب السيف والرمح في الوغى

وفي السلم يزهو منبرٌ وسريرُ

جوادٌ إذا الايدي كففنَ عن الندى

ومن دُون عوراتِ النساءِ غيورُ

لهُ سلفٌ في الاعجمينَ كأنهمْ

إذا استؤذنوا يومَ السلامِ بدورُ

سورة المزمل

تفسير بعض هذه الآيات الكريمة من سورة المزمل ننقلها من التفاسير للقرآن الكريم.

بسم الله الرحمن الرحيم

قال تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِن ثُلُثَيِ ٱلَّيْلِ وَنِصْفَهُۥ وَثُلُثَهُۥ وَطَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ مَعَكَ ۚ وَٱللَّهُ يُقَدِّرُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ۚ عَلِمَ أَن لَّن تُحْصُوهُ فَتَابَ عَلَيْكُمْ ۖ فَٱقْرَءُوا۟ مَا تَيَسَّرَ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ ۚ عَلِمَ أَن سَيَكُونُ مِنكُم مَّرْضَىٰ ۙ وَءَاخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِى ٱلْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ ۙ وَءَاخَرُونَ يُقَـٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ فَٱقْرَءُوا۟ مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ ۚ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَقْرِضُوا۟ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا ۚ وَمَا تُقَدِّمُوا۟ لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا ۚ وَٱسْتَغْفِرُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌۢ﴾.

القراءة:

قرأ ابن كثير وأهل الكوفة نصفه وثلثه بالنصب والباقون بالجر.

الحجة:

قال أبو علي من نصب حمله على أدنى وأدنى في موضع

نصب قال أبو عبيدة أدنى أقرب فكأنه قال إن ربك يعلم أنك تقوم أدنى من ثلثي الليل وتقوم نصفه وثلثه ومن جر فإنه يحمله على الجار قال أبو الحسن وليس المعنى عليه فيما بلغنا لأن المعنى يكون على أدنى من نصفه وأدنى من ثلثه قال وكان الذي افترض الثلث وأكثر من الثلث قال فأما الذين قرأوا بالجر فعلى أن يكون المعنى أنكم إن لم تؤدوا ما فرض الله عليكم فقوموا أدنى من ثلثي الليل ومن نصفه ومن ثلثه.

المعنى:

ثم خاطب سبحانه نبيه ﷺ فقال «إن ربك» يا محمد «يعلم أنك تقوم أدنى» أي أقرب وأقل «من ثلثي الليل ونصفه وثلثه» أي أقل من نصفه وثلثه والهاء تعود إلى الليل أي نصف الليل وثلث الليل والمعنى أنك تقوم في بعض الليالي قريباً من الثلثين وفي بعضها قريباً من نصف الليل وقريباً من ثلثه، وقيل إن الهاء تعود إلى الثلثين أي وأقرب من نصف الثلثين ومن ثلث الثلثين وإذا نصبت فالمعنى تقوم نصفه وثلثه «و» تقوم «طائفة من الذين معك» على الإيمان، وروى الحاكم أبو القاسم إبراهيم الحسكاني بإسناده عن الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس في قوله «وطائفة من الذين معك» قال علي وأبو ذر «والله يقدر الليل والنهار» أي يقدر أوقاتهما لتعلموا فيها على ما يأمركم به وقيل معناه لا يفوته علم ما تفعلون عن

عطاء، والمراد أنه يعلم مقادير الليل والنهار فيعلم القدر الذي تقومونه من الليل، «علم أن لن تحصوه» قال مقاتل كان الرجل يصلي الليل كله مخافة أن لا يصيب ما أمر به من القيام فقال سبحانه «علم أن لن تحصوه» أي لن تطيقوا معرفة ذلك، وقال الحسن قاموا حتى انتفخت أقدامهم فقال سبحانه إنكم لا تطيقون إحصاءه على الحقيقة وقيل معناه لن تطيقوا المداومة على قيام الليل ويقع منكم التقصير فيه «فتاب عليكم» بأن جعله تطوعاً ولم يجعله فرضاً، عن الجبائي وقيل معناه فلم يلزمكم إثماً، كما لا يلزم التائب أي رفع التبعة فيه كرفع التبعة عن التائب وقيل فتاب عليكم أي فخفف عليكم، «فاقرأوا ما تيسر من القرآن» الآن يعني في صلاة الليل عن أكثر المفسرين وأجمعوا أيضاً على أن المراد بالقيام المتقدم في قوله قم الليل هو القيام إلى الصلاة إلا أبا مسلم فإنه قال أراد القيام لقراءة القرآن لا غير وقيل معناه فصلوا ما تيسر من الصلاة وعبر عن الصلاة بالقرآن لأنها تتضمنه، ومن قال إن المراد به قراءة القرآن في غير الصلاة فهو محمول على الاستحباب عند الأكثرين دون الوجوب لأنه لو وجبت القراءة لوجب الحفظ، وقال بعضهم هو محمول على الوجوب لأن القارىء يقف على إعجاز القرآن وما فيه من دلائل التوحيد وإرسال الرسل ولا يلزم حفظ القرآن لأنه من القرب المستحبة

المرغب فيها ثم اختلفوا في القدر الذي تضمنه هذا الأمر من القراءة، فقال سعيد بن جبير خمسون آية وقال ابن عباس مائة آية، وعن الحسن قال من قرأ مائة آية في ليلة لم يحاجه القرآن وقال كعب من قرأ مائة آية في ليلة كتب من القانتين، وقال السدي مائتا آية، وقال جويبر ثلث القرآن لأن الله يسره على عباده، والظاهر أن معنى ما تيسر مقدار ما أردتم وأحببتم، «علم أن سيكون منكم مرضى» وذلك يقتضي التخفيف عنكم «وآخرون» أي ومنكم قوم آخرون، «يضربون في الأرض يبتغون من فضل الله» أي يسافرون للتجارة وطلب الأرباح عن ابن عباس «وآخرون» أي ومنكم قوم آخرون، «يقاتلون في سبيل الله» فكل ذلك يقتضي التخفيف عنكم «فاقرأوا ما تيسر منه» وروي عن الرضا عليه السلام عن أبيه عن جده عليهم السلام قال ما تيسر منه لكم فيه خشوع القلب وصفاء السر، «وأقيموا الصلاة» بحدودها التي أوجبها الله عليكم «وآتوا الزكاة» المفروضة «وأقرضوا الله قرضاً حسناً» أي وأنفقوا في سبيل الله والجهات التي أمركم الله وندبكم إلى النفقة فيها وقد مر معنى القرض فيما تقدم «وما تقدموا لأنفسكم من خير» أي طاعة «تجدوه» أي تجدوا ثوابه «عند الله هو خيراً» لكم من الشح والتقصير «وأعظم أجراً» أي أفضل ثوابا وهو هنا يسمى فصلاً عند البصريين وعماداً عند الكوفيين ويجوز أن يكون صفة للهاء في

تجدوه، «واستغفروا الله» أي اطلبوا مغفرته «إن الله غفور رحيم» أي ستار لذنوبكم صفوح عنكم رحيم بكم منعم عليكم، قال عبد الله بن مسعود أيما رجل جلب شيئاً إلى مدينة من مدائن المسلمين صابراً محتسباً فباعه بسعر يومه كان عند الله بمنزلة الشهداء، ثم قرأ «وآخرون يضربون في الأرض» الآية وقال ابن عمر ما خلق الله موتة أموتها بعد القتل في سبيل الله أحب إلي من أن أموت بين شقي رحل أضرب في الأرض أبتغي من فضل الله وقيل إن هذه الآية مدنية ويدل عليها أن الصلاة والزكاة لم توجبا بمكة وقيل أوجبتا بمكة والآية مكية.

المفارقات في الحياة:

إذا درسنا كتاب الحياة وما فيه من حروف نؤلف منها صفحات مما يتعاقب على هذا الكون وما فيه من مفارقات ومن ضروب المتباينات ومن ارتفاع الضدين وعدم اجتماع النقيضين ومن الفرح والترح والبسمة والدمعة والعافية والبلاء كل ذلك يمرُ في حياة الإنسان ولكن الإنسان لا ينظرُ إلا تحت قدميه ولا يخطو بقلبه حتى بعض الخطوات لا تتجاوز قدميه إلا قليلاً فلا يفكر إنه كخيال مر في هذه الدنيا مثل طيرٍ حط على شجرةً لحظة ثم طار وترك تلك الشجرة المخضوضرة

وراء ظهره ومضى خالٍ لا يملك من حطام الحياة تركها لغيره يتمتع بما جمعه من كدحه يرتعون فيه ونسوه لا يذكرونه، وقبل رحيله كان مغروراً يصارع الحياة ويبذل طاقاته في جمعه فهو محروم منه. (ولو فكر في الآخرة كأنه يموت غدا[ى وعمل للدنيا كأنه يعيش أبداً)، وهذه من حكم وإرشادات الإمام الحسن بن علي بن أبي طالب عليه السلام وسبط رسول الله صلى الله عليه وآله وقد جمع السعادتين وهذه تنبيه للإنسان لأنه لا يعمل إلا لعالم الفناء ويترك عالم البقاء إلا قليلٌ منهم، وإذا حانت له فرصة للتسلط على أخيه فيبتلعه فكأنه يعيش عيشة الوحوش في الغابات، وهذا ما نشهده في عصرنا اليوم (القرن الواحد والعشرين قرن الحضارة قرن التمدن) أي قرن المهازل حيث أصبح الإنسان في هذا القرن سبعُ ضاري يستلُ ناب أخيه ثم يشرب دمه كما يشرب الماء العذب ويقتل النساء والاطفال بينما العصر الجاهلي يحترم النساء والأطفال ويرحم الشيوخ ولهم في عرفه ميزان، أما هذا العصر انحدر في ظلمة دامسة إلى بؤرة الانحطاط بأعماله الوحشية بل هو أعظم من الوحوش فالسبع يقولون عنه إنه لا يفترس إلا إذا كان جائعاً أما الإنسان اليوم يفترس وهو شابع، لماذا أيها الإنسان تقتل أخاك وقد تقتل بعده أو لا تبقى بهذه الحياة بعده إلا لحظات فالمثل العربي يقول (السيفُ بالسيف والخنجر بالخنجر) لقد

خرجت بك يا قارئي عن العنوان الذي رسمته ونريدُ أن نوازن بين نظرتين للشاعرين الكبيرين المتنبي شاعر الإنسانية وزهير بن أبي سلمى:

سئمتُ تكاليف الحياةِ ومن يعش
ثمانينَ عاماً لا أباً لك يسأمِ

والمتنبي يقول:

آلة العيش صحةٌ وشباب
فإذا وليا عن المرء ولى
واذا الشيخ قال افٍ فما
مل حياةً وإنما الضعفَ مل

هل بين الشاعرين مفارقةٌ في نظرة الحياة أكبر الظن يختلفان في نظرتهما للحياة وإنما الشاعر الجاهلي زهير يحدد طاقة الإنسان في هذه الحياة بثمانين عام فمن يصل إلى ذروتها يسئمُ من تكاليف الحياة لأن طاقةٌ الحياة عنده باخت وتحولت إلى ثلوجٍ متراكمة قد سلبَ منها العزيمة وهو في سأم ممل للحياة والمتنبي كان أدق منه في أداءه الفني جعل متعة العيش في الحياة الشباب والصحة فإذا ذهب احدهما عن المرء ذهبت الحياةُ ولبس الضعف جلباباً يكاد ذلك الجلباب أن يعثر به ويقعُ على الأرض جريحاً ولكنه لم يمل الحياة وإنما ملَ الضعف بما فيه من الوهن من تلك الشيخوخة الواهنة ومن

الضعف الذي كلما تحرك عصف به وأقعده عن طموحاته وجمد حركته ولبس بيته وسار ذلك البيت قبراً للحياة حتى ينتقل إلى القبر الأخير الواقعي، فما أنت يا دنيا رؤى حالمٍ إنما أنت متاع قصير خطير فمن تمتع بك في ضروب الصلاح ووالى الله ورسوله وأهل بيته صلوت الله عليه وعليهم اجمعين فقد فاز ومن تمتع بك في ضروب الفساد فالويل له هذا ما أردنا موازنته بين الشاعرين.

وما رسمناه فيه الكفاية عبرةُ لمن اعتبر.

عـــبــرةً لـــو ورائـــهـــن اعـــتـــبـــارُ

وذكـــارُ لـــو يـــنـــفـــع الاذكـــارُ

أولي الألباب:

إن القرآن هو المعجزة الخالدة التي هي من أعظم المعجزات وأخلدها وكل المعجزات التي جاءت بها الأنبياء صلى الله على نبينا وآله والأنبياء والمرسلين فالقرآن معجزة نبينا باقية ما بقي الدهر حتى يرث الله الأرض ومن عليها فيردان الثقلان على رسول الله عند الحوض حسب الحديث الشريف، أما معاجز الأنبياء غير الخاتم ﷺ فامتدت يد السياسة لها فعبثت بها كالتوراة والإنجيل حسب رغبات

المتسلطين، أما القرآن لولا حفظ الله له لعبثت به الأيدي حسب الأهواء.

بسم الله الرحمن الرحيم

قال تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَـٰفِظُونَ﴾.

فأي حفظ أعظم من حفظ الله فلا ضياع بعد حفظ الله والله خيرُ حافظاً وهو أرحم الراحمين، فالقرآن العظيم فيه شفاء للناس وفيه أنوار الهدى وسعادة الدنيا والآخرة وفيه من كل مثل ضرب للناس لعلهم يتقون ويرجع العبد الأبق إلى مولاه الذي خلقه من علق ورزقه وفيه تصوير للكون وارتباط الإنسان بهذا الكوكب الذي هو الأرض ثم يعود فيها ثم يخرج منها وارتباط بالسماوات العلا بل بكل ذرة وشعاع من إشعاعات المجرة الشمسية فالمسلمون اهتموا من القرآن بالجانب العبادي وأهملوا جانب الكونيات التي تحدث عنها القرآن واهتم الغرب من القرآن الكريم بعلم الكونيات فوصل به شوطاً بعيداً في علم الكونيات والحياة وانجز انجازات علميه تبهر العقول وتحير الألباب لذلك تخلف المسلمون في هذا المضمار العلمي وليتنا طبقنا القسم العبادي كما أمرنا القرآن حتى ولولم نصل للشوط العلمي الذي وصل له الغرب ولو طبقنا ما في القرآن من أنوار وهدى لم نكن أُسارى للغرب وكان الغرب مداناً لنا محتاجاً في كل شيء حتى الإبرة وكانوا

أسرى لنا في بدء قرون الإسلام ولكنه لما دب الخلاف والتباغض بين صفوف المسلمين وحطم بعضهم بعض وتفرقوا أيدي سبأ حين بلينا بمرض الطائفة البغيضة الذي اضعف المسلمين وحولهم من دولة عظمى إلى دويلات، فمتى نفيق من هذا السبات ونجمعُ صفوفنا ونعيد مجدنا ونختم هذا الحديث بآية كريمة تصف لنا صورةً من الكون رائعة ترشدنا إلى التفكر في خلق السماوات والأرض:

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٠﴾ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٩١﴾ رَبَّنَآ إِنَّكَ مَن تُدْخِلِ ٱلنَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُۥ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿١٩٢﴾ رَّبَّنَآ إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِى لِلْإِيمَٰنِ أَنْ ءَامِنُوا۟ بِرَبِّكُمْ فَـَٔامَنَّا ۚ رَبَّنَا فَٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّـَٔاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ ٱلْأَبْرَارِ ﴿١٩٣﴾ رَبَّنَا وَءَاتِنَا مَا وَعَدتَّنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ ﴿١٩٤﴾﴾.

فضلها:

روى الثعلبي في تفسيره بإسناده عن محمد بن الحنفية عن علي بن أبي طالب عليه السلام أن رسول الله صلى الله عليه وآله كان إذا قام من الليل استاك ثم ينظر إلى السماء ثم يقول ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ

﴿وَٱلۡأَرۡضِ﴾ إلى قوله ﴿فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾ وقد اشتهرت الرواية عن النبي ﷺ أنه لما نزلت هذه الآيات قال (ويل لمن لاكها بين فكيه ولم يتأمل ما فيها) وورد عن الأئمة من آل محمد ﷺ الأمر بقراءة هذه الآيات الخمس وقت القيام بالليل للصلاة وفي الضجعة بعد ركعتي الفجر وروى محمد بن علي بن محبوب عن العباس بن معروف عن عبد الله بن المغيرة عن معاوية بن وهب قال سمعت أبا عبدالله عليه السلام وذكر أن النبي قال كان يؤتي بطهور فيخمر عند رأسه ويوضع سواكه تحت فراشه ثم ينام ما شاء الله فإذا استيقظ جلس ثم قلب بصره إلى السماء وتلا الآيات من آل عمران ﴿إِنَّ فِي خَلۡقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ الآيات ثم يستن ويتطهر ثم يقوم إلى المسجد فيركع أربع ركعات على قدر قراءته ركوعه يركع حتى يقال متى يرفع رأسه ويسجد حتى يقال متى يرفع رأسه ثم يعود إلى فراشه فينام ما شاء الله ثم يستيقظ فيجلس فيتلو الآيات من آل عمران ويعاب بصره في السماء ثم يستن ويتطهر ويقوم إلى المسجد فيصلي أربع ركعات كما ركع قبل ذلك ثم يعود إلى فراشه فينام ما شاء الله ثم يستيقظ فيجلس فيتلو الآيات من آل عمران ويقلب بصره في السماء ثم يستن ويتطهر ويقوم إلى المسجد فيوتر ويصلي ركعتين ثم يخرج إلى الصلاة.

اللغة:

اللب العقل سمي به لأنه خير ما في الإنسان واللب من كل شيء خيره وخالصة سبحانك معناه تنزيهاً لك من أن تكون خلقتهما باطلاً وبراءة مما لا يليق بصفاتك قال الشاعر:

سبحانه ثم سبحاناً يعود له

وقبلنا سبح الجودي والحجر

والأبرار جمع بر وهو الذي بر الله بطاعته إياه حتى أرضاه وأصل البر الاتساع فالبر الواسع من الأرض خلاف البحر والبر صلة الرحم والبر العمل الصالح والبر الحنطة وأبر الرجل على أصحابه أي زاد عليهم.

الإعراب:

﴿ٱلَّذِينَ يَذۡكُرُونَ﴾ في موضع جر صفة لأولي الألباب ﴿قِيَٰمًا وَقُعُودًا﴾ نصب على الحال و﴿وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمۡ﴾ أيضاً في موضع نصب على الحال ولذلك عطف على قياماً وقعوداً أي ومضطجعين لأن الظرف يكون حالاً للمعرفة كما يكون نعتاً للنكرة لما فيه من معنى الاستقرار تقول مررت برجل على الحائط أي مستقر على الحائط وكذا مررت برجل في الدار وتقول أنا أصير إلى فلان ماشيا وعلى الفرس فيكون موضع على الفرس نصباً على الحال من الضمير في أصير وقوله ﴿مَا

﴿خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا﴾ أي يقولون ما خلقت هذا الخلق ولذلك لم يقل هذه ولا هؤلاء وباطلاً نصب على أنه المفعول الثاني وقيل تقديره بالباطل وللباطل ثم نزع الحرف فوصل الفعل خبر، إن في قوله ﴿إِنَّكَ مَن تُدْخِلِ ٱلنَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُۥ﴾ جملة مركبة من الشرط والجزاء والأصل فيهما جملتان كل واحدة منهما من فعل وفاعل لأن موضع من نصب بتدخل على أنه مفعول به، وقوله ﴿أَنْ ءَامِنُوا۟﴾ يحتمل أن يكون أن هذه هي المفسرة بمعنى أي ويحتمل أن يكون الناصبة للفعل لأنه يصلح في مثله دخول الباء نحو ينادي بأن آمنوا.

المعنى:

لما بين سبحانه بأن له ملك السماوات والأرض عقبه ببيان الدلالات على ذلك فقال ﴿إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ أي في إيجادهما بما فيهما من العجائب والبدائع ﴿وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ﴾ أي تعاقبهما ومجيء كل واحد منهما خلف الآخر، (لآيات) أي دلالات على توحيد الله وصفاته العلي، ﴿لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ أي لذوي البصائر والعقول ووجه الدلالة في خلق السماوات والأرض أن وجودهما متضمن بأعراض حادثة وما لا ينفك عن الحادث فهو حادث مثله والمحدث لا بد له من محدث يحدثه وموجد يوجده فدل وجودهما وحدوثهما على أن لهما محدثاً قادراً ودل إبداعهما بما فيهما من البدائع

والأمور الجارية على غاية الانتظام والاتّساق على أن مبدعهما عالم لأن الفعل المحكم المنتظم لا يصح إلا من عالم كما أن الإيجاد لا يصح إلا من قادر، ودل ذلك أيضاً على أن صانعهما قديم لم يزل لأنه لو كان محدثاً لاحتاج إلى محدث فيؤدي إلى التسلسل ووجه الدلالة في تعاقب الليل والنهار أن في ترادفهما على مقدار معلوم لا يزيدان عليه ولا ينقصان منه ونقصان كل واحد منهما عن الآخر في حال وزيادته عليه في حال وازدياد أحدهما بقدر نقصان الآخر دلالة ظاهرة على أن لهما صانعاً قادراً حكيماً لا يدركه عجز ولا يلحقه سهو، ثم وصف سبحانه أولي الألباب فقال ﴿ٱلَّذِينَ يَذۡكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمٗا وَقُعُودٗا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمۡ﴾ أي هؤلاء الذين يستدلون على توحيد الله بخلقه السماوات والأرض هم الذين يذكرون الله قائمين وقاعدين ومضطجعين أي في سائر الأحوال لأن أحوال المكلفين لا تخلو من هذه الأحوال الثلاثة وقد أمروا بذكر الله تعالى في جميعها، وقيل معناه يصلون لله على قدر إمكانهم في صحتهم وسقمهم فالصحيح يصلي قائماً والسقيم يصلي جالساً وعلى جنبه أي مضطجعاً فسمي الصلاة ذكراً، رواه علي بن إبراهيم في تفسيره ولا تنافي بين التفسيرين لأنه غير ممتنع وصفهم بالذكر في هذه الأحوال وهم في الصلاة وهو قول ابن جريج وقتادة، ﴿وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلۡقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ أي

ومن صفة أولي الألباب أن يتفكروا في خلق السماوات والأرض ويتدبروا في ذلك ليستدلوا به على وحدانية الله تعالى وكمال قدرته وعلمه وحكمته ثم يقولون ﴿رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ﴾ أي ما خلقت هذا الخلق عبثاً وقيل بالباطل وللباطل بل خلقته لغرض صحيح وحكمة ومصلحة ليكون دليلاً على وحدانيتك وحجة على كمال حكمتك ثم ينزهونه عن كل ما لا يليق بصفاته أو يلحق نقصاً بذاته فيقولون ﴿سُبْحَٰنَكَ﴾ أي تنزيهاً لك عما لا يجوز عليك فلم تخلقهما عبثاً ولا لعباً بل تعريضاً للثواب والأمن من العقاب ﴿فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾ بلطفك الذي يتمسك معه بطاعتك، وفي هذه الآية دلالة على أن الكفر والقبائح والضلال ليست خلقاً لله لأن هذه الأشياء كلها باطلة بلا خلاف وقد نفى الله تعالى ذلك بحكايته عن أولي الألباب الذين رضي أقوالهم بأنه لا باطل فيما خلقه فيجب بذاك القطع على أن القبائح كلها غير مضافة إليه ومنفية عنه تعالى عما يقول الظالمون علواً كبيراً، ثم حكى عن أولي الألباب الذين وصفهم بأنهم أيضاً يقولون ﴿رَبَّنَآ إِنَّكَ مَن تُدْخِلِ ٱلنَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُۥ﴾ قيل في وجوه (أحدها) أن معناه فضحته وأهنته فيكون منقولاً من الخزي ونظيره قوله ﴿وَلَا تُخْزُونِ فِى ضَيْفِىٓ﴾ (وثانيها) قول المفضل أن معناه أهلكته وأنشد:

أخـزى الإلـه مـن الـصـلـيـب إلـهـه

والـلابـسـيـن مـلابـس الـرهـبـان

(وثالثها) أن معناه أحللته محلاً ووقفته موقفاً يستحيا منه فيكون منقولاً من الخزاية التي معناها الاستحياء وقال ذو الرمة:

خـزايـة أدركـتـه بـعـد جـولـتـه

من جانب الدف مخلوطاً به الغضب

واختلف أهل التأويل في المعنى بهذه الآية فروي عن أنس بن مالك وسعيد بن المسيب وقتادة وابن جريج أن الإخزاء يكون بالتأبيد في النار وهي خاصة بمن لا يخرج منها وقال جابر بن عبد الله أن الخزي يكون بالدخول فيها، وروى عنه عمرو بن دينار وعطاء أنه قال وما أخزاه حين أحرقه بالنار وإن دون ذا لخزياً وهذا هو الأقوى لأن الخزي إنما هو هتك المخزي وفضيحته ومن عاقبه الله على ذنوبه فقد فضحه وهذا غير مناف لما نذهب إليه من جواز العفو عن المذنبين لأن على قول من قال إن الخزي هو الخلود في النار فمن عفا الله عنه لا يكون أخزاه إن أدخله النار ثم أخرجه منها بعد استيفاء العقاب، وعلى قول من أثبت الخزي بنفس الدخول فإنه وإن كان خزياً فليس كمثل خزي الكفار ويجوز حمل قوله ﴿يَوْمَ لَا يُخْزِي ٱللَّهُ ٱلنَّبِيَّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ﴾ على كلا الوجهين وعلى قول

من جعله من الخزاية التي هي الاستحياء فيكون إخزاء المؤمنين محمولة على الاستحياء وإخزاء الكافرين على الإهانة والخلود في النار، وقوله ﴿وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ﴾ أي ليس لهم من يدفع عنهم عذاب الله على وجه المغالبة والقهر لأن الناصر هو الذي يدفع عن المنصور على وجه المغالبة ولا ينافي ذلك ما صح من شفاعة النبي ﷺ والأولياء لأهل الكبائر، لأن الشفاعة على سبيل المسألة والخضوع والتضرع إلى الله وليست من النصرة في شيء وصح عن النبي ﷺ أنه قال ليصيبن أقواماً شفع بذنوب أصابوها ثم يخرجون فيسميهم أهل الجنة الجهنميين، رواه البخاري بإسناده في الصحيح عن أنس بن مالك وفيما رواه أبو سعيد الخدري عنه عليه السلام قال فيخرجون قد امتحشوا وعادوا حمماً قال فيلقون في نهر يقال له نهر الحياة قال فينبتون فيه كما تنبت الحبة في جميل السيل، ورواه البخاري ومسلم أيضاً في الصحيح وما روي في مثل ذلك من الأخبار لا يحصى، وهذا كما تراه صريح في وقوع العفو عن مرتكبي الكبائر ﴿رَّبَّنَآ إِنَّنَا سَمِعۡنَا مُنَادِيًا﴾ قيل المنادي محمد عن ابن عباس وابن مسعود وابن جريج واختاره الجبائي وقيل إنه القرآن عن محمد بن كعب القرظي وقتادة واختاره الطبري قال لأنه ليس يسمع كل أحد قول النبي ﷺ ولا يراه والقرآن سمعه من رآه ولم يره كما قال

مخبراً عن الجن إنا سمعنا قرآناً عجباً يهدي إلى الرشد ولمن نصر القول الأول أن يقول من بلغه قول النبي ﷺ ودعوته جاز أن يقول سمعنا منادياً وإن كان فيه ضرب من التجوز، ومعنى قوله ﴿سَمِعۡنَا مُنَادِيٗا﴾ نداء مناد لأن المنادي لا يسمع وقوله ﴿يُنَادِي لِلۡإِيمَٰنِ﴾ معناه إلى الإيمان كقوله ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي هَدَىٰنَا لِهَٰذَا﴾ ومعناه إلى هذا وكقول الراجز:

أوحى لها القرار فاستقرتِ

وشدها بالراسيات الثبتِ

ومثله قوله ﴿بِأَنَّ رَبَّكَ أَوۡحَىٰ لَهَا﴾ فالمعنى ربنا إننا سمعنا داعياً يدعو إلى الإيمان والتصديق بك والإقرار بوحدانيتك واتباع رسولك واتباع أمره ونهيه، وقوله ﴿أَنۡ ءَامِنُواْ بِرَبِّكُمۡ﴾ معناه بأن آمنوا بربكم فحذف الباء وقيل معناه قال لنا آمنوا بربكم (فآمنا) أي فصدقنا الداعي فيما دعا إليه من التوحيد والدين، وأجبناه ﴿فَٱغۡفِرۡ لَنَا ذُنُوبَنَا﴾ معناه استرها علينا ولا تفضحنا بها يوم القيامة على رؤوس الأشهاد بعقوبتك، ﴿وَكَفِّرۡ عَنَّا سَيِّـَٔاتِنَا﴾ معناه امحها بفضلك ورحمتك إيانا ﴿وَتَوَفَّنَا مَعَ ٱلۡأَبۡرَارِ﴾ معناه واقبضنا إليك في جملة الأبرار واحشرنا معهم فإن قيل ما معنى قوله ﴿وَكَفِّرۡ عَنَّا سَيِّـَٔاتِنَا﴾ وقد أغنى عنه قوله ﴿فَٱغۡفِرۡ لَنَا﴾ فالجواب عنه من وجهين (أحدهما) إن معناه اغفر لنا ذنوبنا ابتداء بلا توبة وكفر عنا إن

تبنا والثاني إن معناه اغفر لنا ذنوبنا بالتوبة وكفر عنا باجتناب الكبائر من السيئات لأن الغفران قد يكون ابتداء ومن سبب، والتكفير لا يكون إلا عند فعل من العبد والأول أليق بمذهبنا ﴿رَبَّنَا وَءَاتِنَا مَا وَعَدتَّنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ﴾ هذه حكاية عمن تقدم وصفهم بأنهم يقولون أعطنا ما وعدتنا على لسان رسلك من الثواب ﴿وَلَا تُخْزِنَا﴾ أي لا تفضحنا أو لا تهلكنا ﴿يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ﴾ وهو كلام مستأنف بدلالة أنه كسر إن والمعنى انك وعدت الجنة لمن آمن بك وأنت لا تخلف وعدك فإن قيل ما وجه المسألة في إنجاز الوعد والمعلوم أنه يفعله لا محالة فالجواب عنه من وجوه (أحدها) إن ذلك على وجه الانقطاع إلى الله والتضرع له والتعبد كما قال ﴿وَقُل رَّبِّ﴾ واختاره علي بن عيسى والجبائي، (والثاني) إن الكلام خرج مخرج المسألة والمراد الخبر أي توفنا مع الأبرار لتؤتينا ما وعدتنا به على رسلك ولا تخزنا يوم القيامة لأنهم علموا أن ما وعد الله به حق ولا بد أن ينجزه، (والثالث) معناه السؤال والدعاء بأن يجعلهم ممن أتاهم ما وعدهم من الكرامة على ألسن رسله لأنهم قد استحقوا منزلة الكرامة عند الله في أنفسهم وشهدوا ثم سألوه أن يؤتيهم ما وعدهم بعد علمهم باستحقاقهم عند أنفسهم لأنه لو كان كذا لكانوا قد زكوا أنفسهم وشهدوا بأنهم استوجبوا كرامة الله ولا يليق ذلك بصفة أهل الفضل من

المؤمنين، (والرابع) أنهم إنما سألوا ذلك على وجه الرغبة منهم إلى الله في أن يؤتيهم ما وعدهم من النصر على أعدائهم من أهل الكفر وإعلاء كلمة الحق على الباطل ليعجل ذلك لهم لأنه لا يجوز أن يكونوا مع ما وصفهم الله به غير واثقين ولا على غير يقين أن الله لا يخلف الميعاد فرغبوا إليه في تعجيل ذلك ولكنهم كانوا وعدوا النصر ولم يوقت لهم في ذلك وقت فرغبوا إليه في تعجيل ذلك لهم لما لهم في ذلك من السرور بالظفر وهو اختيار الطبري، وقال الآية مختصة بمن هاجر من أصحاب النبي الذين رغبوا في تعجيل النصرة على أعدائهم وقالوا لا صبر لنا على أناتك وحلمك وقوي ذلك بما بعد هذه الآية من قوله ﴿فَٱسۡتَجَابَ لَهُمۡ رَبُّهُمۡ﴾ الآيات وإلى هذا أومأ أبو القاسم البلخي ايضاً.

تخالف الناس:

تخالف الناس حتى لا اتفاق لهم

إلا على شجبٍ والخلف في الشجبِ

إن تطبيق مصداق هذا البيت ومفهومه يحتاج إلى تمهيد إنما الحياة صراع مستمر على الكوكب المسمى بالأرض مادام الإنسان في حركة وسكون فالحركة الدائبة للإنسان هي التي تدل على حياة ونشاط في هذا الكون ومنها تُوَلد الخواطر

فالصراع مستمر في الحياة وهناك صراع عنيف بين الإنسان ونفسه وهواه ورشده فتعيش في أفق نفسه قوىً متصارعةً كثر كتفكير أو طموح أو اطماع والعلماء المفكرون صراعهم ينشأ منه التفكير في الاختراعات أو التفكيرٍ في المسائل الفكرية والمطالب العلمية التي تحير فيها بعضُ العقول وأفكار أخرى تصل في دابهم وشوطهم الطويل إلى حل تلك العويصات الفكرية مستنداً إلى قواعد علمية فالفكر يسير في ضربين ففكرٌ يخترع للبشرية ما ينفعها كفكر الطب وامثالهم الذين يعمرون الحياة وفكرٌ يدمر الحياة كأسلحة الحروب الفتاكة فالعقل في اختراعاته في هذه الحياة العجائب كالحاسوب والاجهزة الإلكترونية والهواتف التي جعلت العالم في ارتباطه كانه في بيت واحد أو في شاشة حاسوب مرتبطة بعضها ببعض، وهذه الاختراعات قلبت الحياةَ رأساً على عقب فقسم من هذه الاختراعات جاءت لشقاء البشر وهي ذات حدين إن استعملها في طريق الخير كانت سلاماً وأمناً وإن استعملها في طريق الشر كانت تدميراً للمجتمع البشري، وهؤلاء أصحاب النفوس المنطوية على الحقد والكره للإنسان فإذا تبحث في زوايا تفكيرهم تخرج بنتيجة أن هذه النفوس مريضةٌ ولا ترضى إلا بتدمير هذا المجتمع الحضاري فكأننا نعيش في صحراء جامدة

جافه كأننا وحوش ضارية يأكل بعضنا بعضاً ويشرب دم أخيه على نخب بغير مبالاة.

فبعد هذه التوطئة نعودُ لشرح هذا البيت للشاعر الحكيم المتنبي من ديوانه شرح البرقوقي المجلد الأول صفحة (٢٢٤).

فهو يقول إن الناس اختلفوا في كل شيء ولم يجتمعوا على رأيٍ واحدٍ إلا على الشجب وهو الهلاك أي الموت فإنه حقيقه ولا مراء فيها ولا خلاف وعادو واختلفوا في حقيقة الهلاك وهنا ننقل رأي الشُراح للديوان نصاً في هذا البيت:

الشجب: الهلاك، والخلف: الاختلاف، والمرد بالنفس: الروح. يقول: جرى خلف الناس في كل شيء ولم يتفقوا إلا علي الهلاك: أي ان منتهي كل حيوان أن يموت فيهلك، ثم اختلفوا في حقيقة الهلاك: ففريق يقول: إن الروح تسلم من الهلاك ولا تفنى بفناء الأجسام ـ وهؤلاء هم المقرون بالبعث ـ وفريق يذهب إلى أن الروح يفنى كالجسم ـ وهؤلاء هم الدهريون ومن يقول بقدم العالم. شرح ديوان المتنبي المجلد الأول صفحة (٢٢٤) مطابع بيروت

وبعد أن أثبتنا رأي الشراح لديوان المتنبي نصاً نأتي بمقولة أخرى تشير إلى أن المرء لا يملك ضراً ولا نفعاً لنفسه ولا

موتاً ولا نشوراً ولا يعلم في أي لحظة تغرب شمسُ حياته ويغادر هذه الحياة الفانية إلى الحياة الباقية.

لـسـت تـدري ولا الـمـنـجـم يـدري

أي وقـتٍ يـكـون فـيـه الـرحـيـلُ

ونختم هذا الحديث بهذه المقولة مستعيناً بالله أن يمدنا من سيبه ولطفه إنه هو اللطيف الخبير.

تنوع الحديث

إن تنوع الحديث وتلوين الجرف يعطي القارئ رغبةً في القراءة فتنفض عن جفنه اطياف النوم والسآمة ويجدد له رغبته في القراءةِ وتفتح له ألواناً من الإقبال على استيعاب المعاني والصور فنسجل هنا قطعةٌ لأبي نواس اختلف فيها الأدباء والناقدون وسنشير إلى اختلاف رأيهم وتباين أفكارهم عندما نشرح هذه القطعة:

ودارِ نـدامَـى عـطّـلـوهـا وادلـجـوا
بـهـا أثـر مـنـهـم جـديـدٌ ودارسُ

مساحبُ من جرّ الزقاقِ على الثري
وأضـغـاثُ ريـحـانٍ جـنـيٌ ويـابـسٌ

حبستُ بها صحْبي فجددتُ عهدَهْم
وإنَّـي عـلـى أمـثـالِ تـلـكَ لـحـابـسُ

ولـم أدر منْ هـم؟ غيْرَ ما شهِدَتْ به
بـشـرقـيِّ سـابـاَطَ الـديـارُ الـبـسـابـسُ

أقـمـنـا بـهـا يـومـاً، ويـومـاً وثـالـثـاً
ويـومـاً لـهُ يـوم الـتـرحـلِ خـامـسُ
يُـدَارُ عـلـيـنـا الـراح فـي عـسْـجـدَيِـةٌ
حَـبَـتـهـاَ بـألـوانِ الـتّـصَـاويـرِ فـارسُ
قـرارتـهـا كـسـرى، وفـي جـنَـبِـاتِـهـاَ
مَـهـاً تَـدّرِيـهَـا بـالْـقِـسِـيِّ الـفـوارسُ
فـلِـلـخـمـر مـا زُرَّتْ عـلـيـهِ جـيـوبُـهـا
ولـلـمـاء مـا دارتْ عـلـيـه الـقـلانـسُ

نقلت هذه القصيدة من ديوان أبى نواس صفحة **٣٧.**

إن هذه القطعة سيمفونية وشريط سنيمائي متحركٌ يرسم أمام عينيك صورٌ متحركة وتنقلك مفاجأة القهقرة إلى عصر أبي نواس وكأنك تعيش معه ومع ندمائةِ في تلك الدار التي فيها الثمر جنيٌ ويابس وبعد أن سكروا تركوا بها آثاراً تدل على إقامتهم بها أربعة أيام ويوم الترحل الخامس. ويضيف الشاعر أبو نواس أنه حبس ندمائه فجدد لهم العهد بالصهباء لذلك الحجز ودارت عليهم الراح في كؤوس عسجدية أي من ذهب وأنها من صنع الفرس وقد حبتْها بأنواع التصاوير ففي قرارتها صورة ملك الفرس كسرى وفي جنباتها صور للفتيات الجميلات تحرثها فوارسُ ثم يوغل في الوصف فيصف مقادير ما دارت عليها الراح وما دار عليه الماء فللخمر ما زرت

عليها جيوب الفتيات وللماء ما دارت عليه القلانس، وهذا وصفٌ فنيٌ وصورةٌ من صور الإبداع ولحن من ألحان الشعر الحي وقد اختلف في تحليلها الأدباء والنقاد ولا يختلف إلا في شخصية تركت لها طابع في فن من الفنون حتى احتفوا بها وكتبوا عنها على صفحة التاريخ من الأدباء والنقاد كالجاحظ فقال إن هذا الشعر بعد مدحه له يطن إلى آخر وصفه التصويري وفئةٌ أخرى من الأدباء قالت إن أبا نواس صور مناظرَ شهدها ورئاها ماثلةٌ أمام عينية ورسمها في شعره وليست بشعر يعجب به إنما هي مناظر كتبها، ونحب أن نعلق على هذه الرؤية أنها غير دقيقة ولا ذوق فيها ولا معرفة بالحاسة الفنية التي تصل الأديب الناقد إلى أسرار البلاغة وما فيها من حس مرهف فني وهذه عبقرية يمنحها الله ويمن بها على عقول من يشاء من خلقه فيتمتعون بهذه العبقرية التي منحهم إياها خالقهم وقد بينا رؤيتنا في هذه القطعة النواسية وللقراء حرية الرأي في ذلك وأسال الله لي ولهم المدد والتوفيق.

تفسير الآية الكريمة أولم يروا:

نحبُ دائماً أن نتبارك بالقرآن الكريم هو النور الذي يضيء في القلوب ويفتح المسامع وفيه الهدى والشفاء للأجسام

والأرواح العطشى التي تشرأبُّ إلى رشفة من معين سلساله وكلما تلاه المرء حفت به الملائكةُ وإذا عمل بنصوصه ومشى على ضوء تعاليمه فالسعادة الأبدية في الدنيا والآخرة. وهنا ننقل تفسير هذه الآيات فالقرآن الكريم كله إعجاز وبلاغة لا يرقى لأفقها أبلغ البلغاء وأعظم العقول، ولو حاولوا ذوي البلاغة والعقول تطير في أفقه لسفوا وعادت فاشلة إلى منطق الهدر الذي لا معنى له وكأنها طفل صغير يتغتغ يريد تعلم النطق فقد حاول من غرته نفسه أن يجاري القرآن الكريم فترى ذلك البليغ يعود سافاً إلى كلمات لا تفهم ولا يقولها حتى الرجل أعي المنطق الذي لا يعرف من اللغة العربية حرفاً وهذه المعجزة القرآنية ليست صرفة من الخالق إنما هو إعجاز ذاتيٌّ في نفس القرآن، والذين قالوا بالصرفة هؤلاء أغبياء أسقطوا بلاغة القرآن وجعلوا عدم قدرتهم على مجاراته أن الله صرفهم، وبهذا الرأي أصبح القرآن لا فضل لمعجزته لأنه لا يحمل معجزة ذاتية إنما هو صرف من الله فقط وهذا الرأي لا نؤمن به وهو فاسد في ذاته لأنه معجزة الخاتم والبلغاء حينما يسمعون آياته حتى من المشركين تقشعر أبدانهم ويسجدون له بالرغم لا بالرضا، إنما للبلاغة الذاتية التي يحملها فقط.

ونريد هنا ان ننقل تفسير الآيات الكريمة من سوره يس التي ورد في فضلها الاحاديث وسنشيرُ إلى بعض فضلها من مجمع

البيان للطبرسي رحمة الله عليه (الجزء الخامس صفحة ٣٨ طبعة جديدة ومصححة ـ منشورات دار مكتبة الحياة)، ومن بعض الأحاديث روى أبو بصير عن أبي عبدالله عليه السلام قال إن لكل شيء قلباً وقلب القرآن يس، وعنه عن النبي صلى الله عليه وآله قال إن كان له بعدد من فيها حسنات، وروى حتى يمسي ومن قرأها في ليله قبل أن يمسي كان في نهاره من المحفوظين والمرزوقين حتى يمسي، ومن قرأها في ليله قبل ان ينام وكل به ألف ملك يحفظونه من كل آفة وإن مات في نوامها أدخل الله الجنة حضر غسله ثلاثون ألف ملك كلهم يستغفرون له ويشيعونه إلى قبره بالاستغفار له، فإذا أدخل لحده كانوا في جوف قبره يعبدون الله وثواب عبادتهم له وفسح له في قبره مد بصريه وآمن من ضغطة القبر ولم يزل له في قبره نور ساطع إلى عنان السماء إلى أن يخرجه الله من قبره، فإذا أخرجه لم تزل ملائكة الله معه يشيعونه ويحدثونه ويضحكون في وجهه ويبشرونه بكل خير حتى يجوزا به الصراط والميزان ويوقفوه من الله موقفاً لا يكون عند الله خلف أقرب منه إلا ملائكة الله المقربون وأنبياؤه المرسلون وهو مع النبيين واقف بين يدي الله لا يحزن ولا يهتم مع من يهتم ولا يجزع مع من يجزع ثم يقول له الرب تعالى اشفع عبده أشفعك في جميع ما تشفع وسلني عبدي أعطك جميع ما تسأل فيسأل فيعطي ويشفع ولا

يحاسب ولا يذل فيمن يذل ولا يبكت بخطيئة ولا بشيء من سوء عمله ويعطى كتاباً منشوراً فيقول الناس بأجمعهم سبحان الله ما كان لهذا العبد خطيئة واحدة ويكون من رفقاء محمد ﷺ، وروى محمد بن مسلم عن جعفر عليه السلام قال إن لرسول الله ﷺ اثني عشر اسماً خمسة منها في القرآن محمد واحد وعبد الله ويس ونون.

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُم مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا أَنْعَامًا فَهُمْ لَهَا مَالِكُونَ ﴿٧١﴾ وَذَلَّلْنَاهَا لَهُمْ فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ ﴿٧٢﴾ وَلَهُمْ فِيهَا مَنَافِعُ وَمَشَارِبُ أَفَلَا يَشْكُرُونَ ﴿٧٣﴾ وَاتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لَّعَلَّهُمْ يُنصَرُونَ ﴿٧٤﴾ لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَهُمْ وَهُمْ لَهُمْ جُندٌ مُّحْضَرُونَ ﴿٧٥﴾ فَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ إِنَّا نَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٧٦﴾﴾ صدق الله العظيم (سورة يس، الآيات: ٧١ ـ ٧٦).

في الشواذ قراءة الحسن والاعمش ركوبهم وقراءة عائشة وأُبي بن كعب ركوبتهم.

الحجة:

اما الركوب فمصدر، والكلام على حذف المضاف والتقدير فمنها ذو ركوبهم وهو الركوب هو المركوب ويجوز ان يكون التقدير فمن منافعها ركوبهم كما يقول الإنسان لغيره

من بركاتك وصول الخير إليّ على يدك وأما ركوبهم فهي المركوبة كالقتوبة والجلوبة والجزورة لما يقتب ويجلب ويجزر.

المعنى:

ثم عاد الكلام إلى ذكر الأدلة على التوحيد فقال سبحانه (أولم يروا) معناه أو لم يعلموا (انا خلقنا لهم) أي لمنافعهم (مما عملت أيدينا) أي مما ولينا خلقه بإبداعنا وانشائنا لم نشارك في خلقه ولم نخلقه بإعانة معين واليد في اللغة على اقسام منها الجارحة، ومنها النعمة القوة، ومنها تحقيق الاضافة يقال في معنى النعمة لفلان عندي يد بيضاء وبمعنى القدرة تلقى فلان قولي باليدين أي بالقوة والتقبل وبمعنى تحقيق الإضافة قول الشاعر:

دعوت لما نابني مسورا

فلبى فلبي يدي مسورا

وإنما ثناه لتحقيق المبالغة في الإضافة إلى مسور ويقولون هذا ما جنت يداك وهو المعنى في الآية، وإذا قال الواحد منا عملت هذا بيدي دل ذلك على انفراده بعمله من غير أن يكله إلى أحد، (أنعاماً) يعني الإبل والبقر والغنم، (فهم لها مالكون) أي ولو لم نخلقها لما ملكوها ولما ملكوها ولما انتفعوا بها وبألبانها وركوب ظهورها ولحومها، وقيل فهم لها

ضابطون قاهرون لم نخلقها وحشية نافرة منهم لا يقدرون على ضبطها فهي مسخّرة لهم، وهو قوله (وذللناها لهم) أي سخّرناها لهم حتى صارت منقادة، (فمنها ركوبهم ومنها يأكلون) قسم الأنعام بأن جعل منها ما يركب ومنها ما يركب ومنها ما يذبح فينتفع بلحمه ويؤكل. قال مقاتل الركوب الحمولة يعني الابل والبقر، (ولهم فيها منافع ومشارب) فمن منافعها لبس أصوافها وأشعارها وأوبارها وأكل لحومها وركب ظهورها إلى غير ذلك من أنواع المنافع الكثيرة فيها والمشارب من ألبانها (أفلا يشكرون) الله تعالى على هذه النعم ثم ذكر سبحانه جهلهم فقال (ونأخذُ من دون الله آلهة) يعبدونها (لعلهم ينصرون) أي لكي ينصرونهم ويدفعوا عنهم عذاب الله (لا يستطيعون نصرهم) يعني هذه الآلهة التي عبدوها لا تقدر على نصرهم والدفع عنهم، (وهم لهم جند محضرون) يعني أن هذه الآلهة معهم في النار محضرون لأن كل حزب مع ما عبده من الأوثان في النار فلا الجند يدفعون عنها الإحراق، ولا هي تدفع عنهم العذاب وهذا كما قال سبحانه إنكم وما تعبدون من دون الله حطب جهنم.. عن الجبائي.. وقيل معناه أن الكفار جند الأصنام يغضبون لهم ويحضرونهم في الدينا. عن قتادة أي يغضبون الآلهة في الدنيا وهي لا تسوق إليهم خيراً ولا تدفع عنهم شراً. قال الزجاج

ينصرون الأصنام وهي لا تستطيع نصرهم ثم عزى نبيه ﷺ
بأن قال (فلا يحزنك قولهم) في تكذيبك (إنا نعلم ما يسرون)
في ضمائرهم (وما يعلنون) بألسنتهم فنجازيهم على كل ذلك.

تفسير بعض الآيات من سورة الواقعة

إن سورة الواقعة ترعب الإنسان عندما يقرأها بتأمل وتدبر وهو يشاهد في قراءتها مشاهد ليوم القيامة تنسي الإنسان وتخيفه وترعبه إن كان لديه عقل أو سمع فهي مشاهد واقعية تجسدُ ذلك اليوم وتذهل كل مرضعةٌ عن مرضعها وتنبه الإنسان أن يفيق من غفلته ليرجع إلى ربه من قريب أو بعيد فيعمل صالحاً لنفسه لذلك اليوم حتى ينجيه ربه من عذاب أليم لا يطاق أما ترى لو أصاب الإنسان شرارة من نار الدنيا لفزع وملأ الدنيا صولات وجولات فكيف بشرارةٍ من شرر نار الاخرة كما وصفها القرآن الكريم إنها ترمي بشرر كالقصر جمالة صفر فنثبتُ هذه المشاهد ونشرح تفسيرها من المفسرين من مجمع البيان المجلد ٦ صفحة ١١٠ ـ ١١٤.

سورة الواقعة (١٦)

﴿إِذَا وَقَعَتِ ٱلْوَاقِعَةُ ﴿١﴾ لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا كَاذِبَةٌ ﴿٢﴾ خَافِضَةٌ رَّافِعَةٌ ﴿٣﴾ إِذَا رُجَّتِ ٱلْأَرْضُ رَجًّا ﴿٤﴾ وَبُسَّتِ ٱلْجِبَالُ بَسًّا ﴿٥﴾ فَكَانَتْ هَبَآءً مُّنۢبَثًّا ﴿٦﴾ وَكُنتُمْ

أَزْوَٰجًا ثَلَٰثَةً ﴿٧﴾ فَأَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ ﴿٨﴾ وَأَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ ﴿٩﴾ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ ﴿١٠﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلْمُقَرَّبُونَ ﴿١١﴾ فِى جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿١٢﴾ ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾ وَقَلِيلٌ مِّنَ ٱلْـَٔاخِرِينَ ﴿١٤﴾ عَلَىٰ سُرُرٍ مَّوْضُونَةٍ ﴿١٥﴾ مُّتَّكِـِٔينَ عَلَيْهَا مُتَقَٰبِلِينَ ﴿١٦﴾ ﴾

القراءة:

في الشواذ قراءة الحسن والثقفي وأبي حيوة خافضة رافعة بالنصب.

الحجة:

هذا منصوب على الحال قال ابن جني وقوله «ليس لوقعتها كاذبة» حال أخرى قبلها أي إذا وقعت الواقعة صادقة الوقعة خافضة رافعة فهذه ثلاثة أحوال ومثله مررت بزيد جالساً متكئاً ضاحكاً وإن شئت أن تأتي بأضعاف ذلك جاز وحسن كما أن لك أن تأتي للمبتدأ من الأخبار بما شئت فتقول زيد عالم جميل فارس كوفي بزاز ونحو ذلك ألا ترى أن الحال زيادة في الخبر وضرب منه؟

اللغة:

الكاذبة مصدر مثل العافية والعاقبة والرج التحريك باضطراب واهتزاز ومنه قولهم ارتج السهم عند خروجه من القوس وألبس الفت كما يبس السويق أي يلت قال الشاعر:

لا تخبزا خبزاً وبسا بسا

والبسيس السويق أو الدقيق يتخذ زاداً وبست أيضاً سيقت عن الزجاج قال الشاعر:

وانبس حبات الكثيب الأهيل

والهباء غبار كالشعاع في الرقة وكثيراً ما يخرج مع شعاع الشمس من الكوة النافذة والانبثاث افتراق الأجزاء الكثيرة في الجهات المختلفة والأزواج الأصناف التي بعضها مع بعض كما يقال للخفين زوجان والثلاثة الجماعة وأصله القطعة من قولهم ثل عرشه إذا قطع ملكه بهدم سريره والثلة القطعة من الناس والموضونة المنسوجة المتداخلة كصفة الدرع المضاعفة قال الأعشى:

ومن نسج داود موضونة

تساق إلى الحي عيراً فعيراً

ومنه وضين الناقة وهو البطان من السيور إذا نسج بعضه على بعض مضاعفا.

الإعراب:

﴿إِذَا وَقَعَتِ ٱلْوَاقِعَةُ﴾ ظرف من معنى ليس لأن التقدير لا يكون لوقعتها كاذبة وليس نفي الحال فلا يكون إذاً ظرفاً منه ويجوز أن يكون العامل في إذا محذوفاً لدلالة الموضع عليه كأنه قال

إذا وقعت الواقعة كذلك فاز المؤمنون وخسر الكافرون، وقال أبو علي تقديره فهي خافضة رافعة فأضمر المبتدأ مع الفاء وجعلها جواب إذا أي خفضت قوماً ورفعت قوماً إذ ذاك فـ«خافضة رافعة» خبر المبتدأ المحذوف وقوله «إذا رجت الأرض رجا» بدل من قوله «إذا وقعت الواقعة» ويجوز أن يكون ظرفاً لمَن يقع أي يقع في ذلك الوقت ويجوز أن يكون خبراً عن إذا الأولى ونظيره إذا تزورني إذا أزور زيدا أي وقت زيارتك إياي وقت زيارتي زيداً قال ابن جني ويجوز أن يفارق إذا الظرفية كقول لبيد:

حتى إذا ألقت يداً في كافر

واجن عورات الثغور ظلامها

وقوله سبحانه ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمۡ فِي ٱلۡفُلۡكِ﴾ فإذا مجرورة عند أبي الحسن بحتى وذلك يخرجها من الظرفية وأقول فعلى هذا لا يكون قوله «إذا» ظرفاً في الموضعين بل كل واحد منهما في موضع الرفع لكونهما مبتدأ وخبراً بخلاف ما ظنه بعض المجودين من محققي زماننا في النحو فإنه قال قال عثمان يعني ابن جني العامل في «إذا وقعت» قوله «إذا رجت» وهذا خطأ فاحش «فأصحاب الميمنة» رفع بالابتداء والتقدير فأصحاب الميمنة ما همأي أي شيء هم «وأصحاب المشأمة»

أي أي شيء هم وهذه اللفظة مجراة مجرى التعجب ومتكئين ومتقابلين نصب على الحال.

المعنى:

﴿إِذَا وَقَعَتِ ٱلْوَاقِعَةُ﴾ أي إذا قامت القيامة عن ابن عباس والواقعة اسم القيامة كالآزفة وغيرها والمعنى إذا حدثت الحادثة وهي الصيحة عند النفخة الأخيرة لقيام الساعة وقيل سميت بها لكثرة ما يقع فيها من الشدة أو لشدة وقعها وتقديره اذكروا إذا وقعت الواقعة وهذا حث على الاستعداد لها «ليس لوقعتها كاذبة» أي ليس لمجيئها وظهورها كذب ومعناه أنها تقع صدقاً وحقاً فليس فيها ولا في الإخبار عنها ووقوعها كذب وقيل معناه ليس لوقوعها قضية كاذبة أي ثبت وقوعها بالسمع والعقل «خافضة رافعة» أي تخفض ناساً وترفع آخرين عن ابن عباس وقيل تخفض أقواماً إلى النار وترفع أقواماً إلى الجنة عن الحسن والجبائي.

والمعنى الجامع للقولين أنها تخفض رجالاً كانوا في الدنيا مرتفعين وتجعلهم أذلة بإدخالهم النار وترفع رجالاً كانوا في الدنيا أذلة وتجعلهم أعزة بإدخالهم الجنة «إذا رجت الأرض رجا» أي حركت حركة شديدة وقيل زلزلت زلزالاً شديداً، عن ابن عباس وقتادة ومجاهد أي رجفت بإماتة من على ظهرها

من الأحياء وقيل معناه رجت بما فيها كما يرج الغربال بما فيه فيكون المراد ترج بإخراج من في بطنها من الموتى.

«وبست الجبال بسا» أي فتت فتاً عن ابن عباس ومجاهد ومقاتل وقيل معناه كسرت كسراً عن السدي عن سعيد بن المسيب وقيل قلعت من أصلها عن الحسن وقيل سيرت عن وجه الأرض تسييراً عن الكلبي وقيل بسطت بسطاً كالرمل والتراب عن ابن عطية وقيل جعلت كثيباً مهيلاً بعد أن كانت شامخة طويلة عن ابن كيسان.

«فكانت هباء منبثا» أي غباراً متفرقاً كالذي يرى في شعاع الشمس إذ دخل من الكوة ثم وصف سبحانه أحوال الناس بأن قال «وكنتم أزواجا ثلاثة» أي أصنافاً ثلاثة ثم فسرها فقال «فأصحاب الميمنة» يعني اليمين وهم الذين يعطون كتبهم بأيمانهم عن الضحاك والجبائي وقيل هم الذين يؤخذ بهم ذات اليمين إلى الجنة وقيل هم أصحاب اليمين والبركة على أنفسهم والثواب من الله سبحانه بما سعوا من الطاعة وهم التابعون بإحسان عن الحسن والربيع ثم عجب سبحانه رسوله من حالهم تفخيماً لشأنهم فقال «ما أصحاب الميمنة» أي أي شيء هم كما يقال هم ما هم. «وأصحاب المشأمة» وهم الذين يعطون كتبهم بشمالهم وقيل هم الذين يؤخذ بهم ذات الشمال إلى النار وقيل هم المشائيم على أنفسهم بما عملوا

من المعصية ثم عجب سبحانه رسوله من حالهم تفخيماً لشأنهم في العذاب فقال «ما أصحاب المشأمة».

ثم بين سبحانه الصنف الثالث فقال «والسابقون السابقون» أي والسابقون إلى اتباع الأنبياء الذين صاروا أئمة الهدى فهم السابقون إلى جزيل الثواب عند الله عن الجبائي وقيل معناه السابقون إلى طاعة الله وهم السابقون إلى رحمته والسابق إلى الخير إنما كان أفضل لأنه يقتدى به في الخير وسبق إلى أعلى المراتب قبل من يجيء بعده فلهذا يميز بين التابعين فعلى هذا يكون السابقون الثاني خبراً عن الأول ويجوز أن يكون الثاني تأكيداً للأول والخبر «أولئك المقربون» أي والسابقون إلى الطاعات يقربون إلى رحمة الله في أعلى المراتب وإلى جزيل ثواب الله في أعظم الكرامة ثم أخبر تعالى أين محلهم فقال «في جنات النعيم» لئلا يتوهم متوهم أن التقريب يخرجهم إلى دار أخرى فأعلم سبحانه أنهم مقربون من كرامة الله في الجنة لأن الجنة درجات ومنازل بعضها أرفع من بعض وقد قيل في السابقين إنهم السابقون إلى الإيمان عن مقاتل وعكرمة وقيل السابقون إلى الهجرة عن ابن عباس وقيل إلى الصلوات الخمس عن علي عليه السلام وقيل إلى الجهاد عن الضحاك وقيل إلى التوبة وأعمال البر عن سعيد بن جبير وقيل إلى كل ما دعا الله إليه عن ابن كيسان وهذا أولى لأنه يعم الجميع وكان عروة بن

الزبير يقول تقدموا تقدموا وعن أبي جعفر عليه السلام قال السابقون أربعة ابن آدم المقتول وسابق في أمة موسى عليه السلام وهو مؤمن آل فرعون وسابق في أمة عيسى عليه السلام وهو حبيب النجار والسابق في أمة محمد صلى الله عليه وآله وسلم علي بن أبي طالب عليه السلام «ثلة من الأولين» أي هم ثلة يعني جماعة كثيرة العدد من الأولين من الأمم الماضية «وقليل من الآخرين» من أمة محمد لأن من سبق إلى إجابة نبينا صلى الله عليه وآله وسلم قليل بالإضافة إلى من سبق إلى إجابة النبيين قبله عن جماعة من المفسرين وقيل معناه جماعة من أوائل هذه الأمة وقليل من أواخرهم ممن قرب حالهم من حال أولئك، قال مقاتل يعني سابقي الأمم وقليل من الآخرين من هذه الأمة «على سرر موضونة» أي منسوجة كما يوضن حلق الدرع فيدخل بعضها في بعض قال المفسرون منسوجة بقضبان الذهب مشبكة بالدر والجواهر «متكئين عليها» أي مستندين جالسين جلوس الملوك «متقابلين» أي متحاذين كل واحد منهم بإزاء الآخر وذلك أعظم في باب السرور والمعنى أن بعضهم ينظر إلى وجه بعض لا ينظر في قفاه لحسن معاشرتهم وتهذب أخلاقهم.

لست تدري

لــسـت تـدري ولا الــمــنــجـمُ يــدري

أي وقــت يــكــون فــيــه الــرحــيــلُ

هذا البيت من قصيدة له في ديوانه المخطوط اطياف وراء السديم ان الإنسان في سيره الدائب الحركي له شوطٌ تألقي قد يصلُ إلى قمةُ فيبوخ شوطه وقد لا يصلُ إلى القمةِ فيبوخ في اولهِا أو وسطها فتتحطم كأسه على صخرة الزمن العاتية التي يتحطم عليها أماني البشر المشبوبة التي تألقت وقد تدبل مفاجأة في ربيع حياتها ولم يكن يتوقع ما مر به من هذه الازمات الزمنية أو البلايا الكونية فهو لا يدري ولا المنجم ماذا ينزل به في هذه الثواني أو ما بعدها من دقائق تمر به ولا الوقت الذي سيرحل فيه ويغادر هذه الدنيا الدنية إلى دار البقاء، فالإنسان لا شك عنده في رحيله وإن جهل وقت الرحيل واشتغاله بالمال وطول الأمل يفوِّت عليه أعمال الخير فتفوته الفرص الذهبية التي يجب على الإنسان أن ينفقها فيما

يصلح دنياه وآخرته فإن الآخرة دار المقر والدنيا دار ممر فالمقر هو أهم منزلٍ يعطي كل ما يملكه من طاقة تهيئهُ للسكن فيه حتى يظفر بسعادة الراحتين والفوز بالنعيم وهذه الطريق تحتاج إلى مُفتاح ومفتاحها طاعة الله والبعد عن معصيته وتنفيذ أوامره وتجنب نواهيه وزواجره فهذه السعادة الخالدة التي لا تعادلها في أي ميزان أو قياس لا سعادة مثلها كما يتمتع صاحبها بلذةٍ روحانية ومعانٍ من معاني الروح يسمو بها إلى أفق قدسي فكأنه والجنة قد شاهدها والنار قد رئاها كما صورها سيد البلغاء والفصحاء وسيد الأوصياء الإمام علي بن أبي طالب بعد رسول الله في خطبته الوعظية لأحد أصحابه من الأتقياء حين قال له عظني وصف لي الأتقياء، فتثاقل الإمام عن موعظته لمعرفته به فوصف له الأتقياء وصفاً مختصراً فعاد همام وقال له صف لي الأتقياء فبدأ في خطبته يصف له الأتقياء فما أكمل الإمام خطبته التصويرية التي كأنك في الجنة تعيش فيها منعماً وكأنك تعيش في النار معذباً فعلى آخر حرف منها صعق همام صعقةً فمات وتعرفون عظمة صاحبها نورد مقطع منها لنختم به حديثنا ويكون ختامه مسكٍ (عظم الخالق في أنفسهم فصغر ما دونه في أعينهم، فهم والجنة كمن قد رآها فهم منعمون وهم والنار كمن قد رآها فهم فيها معذبون. قلوبهم محزونة، وشرورهم مأمونة. وأجسادهم نحيفة

وحاجاتهم خفيفة، وأنفسهم عفيفة) في كتابه نهج البلاغة (٣٩٦) طبع في مصر ومن أراد أن يقف على بقية هذه الخطبة العظيمة يرجع إلى كتاب نهج البلاغة ليقرأ النص كاملاً ليعرف هذا العظيم.

الأسى لا يكون بعد الفراق:

إلفُ هذي الحياة أوقع في الأنفس

إن الحِمام مرُ المذاقِ

فالأسى قبل فرقة الروح عجزٌ

والأسى لا يكون بعد الفراقِ

نريد أن نتحاور مع شاعر الإنسانية فنناقشه في هذه الفلسفة هل هي فلسفةٌ سفسطائية ام هي فلسفةُ حقيقية واقعية رسمها المتنبي في حروف طلع بها كفيلسوف من الفلاسفة الكبار كطلوع ديكارت وأُرسطو وافلاطون وغيرهم من الفلاسفة، ولا بد لنا من قبل ان ندخل في المناقشة في فلسفة المتنبي ان نشرح معنى هذين البيتين ونوضح صورتهما للقارئ في حرفٍ موجٍ واضح المعنى، يقول الشاعر الكبير عندما ولد الإنسان على هذا الكوكب وألِف العيش عليه ومكث فيه مدة زمنية طويلةٌ أو قصيرة وهذا الإلف المحبب لنفسه أوقع في نفسه ان الموت مر المذاق لا يطيقُ تجرع كأسه لأنه يجهل مصيره

فحين يتصور الموت عاش منغص العيش في كآبة خرساء وهذا الحزن قبل ان تفارق روحه الحياة عجزٌ لأنه لا يزال يتنسم نسيم الحياة ويشارك الاحياء عيشهم وبعد انتهائه من هذه الحياة لا يحسُ بالفراق فهو في كلا الحالتين قبل الموت أو بعده فهو لا يحسُ بمرارة الفراق وهو يعيش على هذا الكوكب وبعد فراقه هذه الدنيا لا يحس بمرارة الفراق. هذا الشرح التصوري تفسيرٌ لهذين البيتين وبعد شرحهما ندخل في نقاشنا في هذه الفلسفة وهل هذه الفلسفة كما قلنا سفسطائية اما حقيقة واقعية، إن هذه الفلسفة في رأيي تخالف الحقيقة لأن الإنسان يجهل مصيره هل هو مطيعٌ لمولاه أو عبدٌ آبقُ من مولاه وهو يجهل مصيره هل يمضي إلى جنةٌ عرضها السماوات والأرض أم إلى نار تتوقد فيها العصاة ترمي بشررٍ كالقصر كأنه جمالتٌ صفر. وللهو الإنسان وإغراقه في لذاته وشهواته تلهيه عن دار البقاء وتنسيه ذنوبه وعندما يحتضر يتذكر وأنى له الذكرى (المرسلات آية ٢٣) ويتمنى إذا خرج من هذه الدنيا ورأى ما رأى من العذاب أن يعود للدنيا لعله يعمل صالحاً فيكفر عن سيئاته التي اقترفها وهذه السيئات جعلت عنده الفراق مر المذاق من أجل ما اكتسبه من أعماله السيئة، ولو ردوا لعادوا، هذه مرئياتي وللقارئ حرية ما يرى.

الشمس وضحاها:

إن سيري في هذا الكتاب بعد أن اجتزت فصل الرحلة إلى مدينة الضباب وما فيها من آراء علمية وأدبية حيث كان أفق الزيارة محدوداً للعوامل الطبيعية والعائلية والنفسية والمرضية أرشدني ربي جل علاه تفضلٌ منه ومن ألطافهِ التي دائماً يفيضها على من أنعم عليه التي لا تعد ولا تحصى فتحَ لي قوةٌ ضوئية لألجَ منها فأتعلق بضوء هدى القرآن الكريم وشرح بعض الأشعار الحكمية لإتمام الفائدة للقراء لننقل تفسيرها حرفياً من تفسير الميزان للعلامة الكبير قدس الله روحه السيد محمد حسين الطباطبائي.

(بيان)

تذكر السورة أن فلاح الإنسان ـ وهو يعرف التقوى والفجور بتعريف إلهي وإلهام باطني ـ أن يزكي نفسه وينميها إنماء صالحاً بتحليتها بالتقى وتطهيرها من الفجور، والخيبة والحرمان من السعادة لمن يدسَّيها، ويستشهد لذلك بما جرى على ثمود من الاستئصال لما كذبوا رسولهم صالحاً وعقروا الناقة، وفي ذلك تعريض لأهل مكة، والسورة مكية بشهادة من سياقها.

قوله تعالى: ﴿وَٱلشَّمۡسِ وَضُحَىٰهَا﴾ في المفردات: الضحى

انبساط الشمس وامتداد النهار وسمي الوقت به انتهى. والضمير للشمس وفي الآية إقسام بالشمس وانبساط ضوئها على الارض.

قوله تعالى: ﴿وَٱلْقَمَرِ إِذَا تَلَىٰهَا﴾ عطف على الشمس والضمير لها وإقسام بالقمر حال كونه تالياً للشمس، والمراد بتلوه لها إن كان كسبه النور منها فالحال حال دائمة وإن كان طلوعه بعد غروبها فالإقسام به من حال كونه هلالاً إلى حال تبدره.

قوله تعالى: ﴿وَٱلنَّهَارِ إِذَا جَلَّىٰهَا﴾ التجلية الإظهار والإبراز، وضمير التأنيث للأرض، والمعنى وأقسم بالنهار إذا أظهر الأرض للأبصار.

وقيل: ضمير الفاعل في (جلاها) للنهار وضمير المفعول للشمس، والمراد الإقسام بحال إظهار النهار للشمس فإنها تنجلي وتظهر إذا انبسط النهار، وفيه أنه لا يلائم ما تقدمه فإن الشمس هي المظهرة للنهار دون العكس.

وقيل: الضمير المؤنث للدنيا، وقيل للظلمة، وقيل: ضمير الفاعل لله تعالى وضمير المفعول للشمس، والمعنى واقسم بالنهار إذا أظهر الله الشمس، وهي وجوه بعيدة.

وقوله تعالى: ﴿وَٱلَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰهَا﴾ أي يغطي الأرض،

فالضمير للأرض كما في (جلاها) وقيل: للشمس وهو بعيد فالليل لا يغطي الشمس وإنما يغطي الأرض وما عليها.

والتعبير عن غشيان الليل الأرض بالمضارع بخلاف تجلية النهار لها حيث قيل: ﴿وَٱلنَّهَارِ إِذَا جَلَّىٰهَا * وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَغۡشَىٰهَا﴾ للدلالة علي الحال ليكون فيه إيماء إلى غشيان الفجور الأرض في الزمن الحاضر الذي هو أوائل ظهور الدعوة الإسلامية لما تقدم أن بين هذه الاقسام وبين المقسم بها نوع اتصال وارتباط، هذا مضافاً إلى رعاية الفواصل.

قوله تعالى: ﴿وَٱلسَّمَآءِ وَمَا بَنَىٰهَا * وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا طَحَىٰهَا﴾ طحو الأرض ودحوها بسطها، و(ما) في (وما بناها) و(وما طحاها) موصولة، والذي بناها وطحاها هو الله تعالى والتعبير عنه تعالى بما دون من لإيثار الإبهام المفيد للتفخيم والتعجيب فالمعنى وأقسم بالسماء والشيء القوي العجيب الذي بناها وأقسم بالأرض والشيء القوي العجيب الذي بسطها.

وقيل: ما مصدرية والمعنى وأقسم بالسماء وبنائها والأرض وطحوها، والسياق ـ وفيه وقوله: (ونفس وما سواها فألهمها) الخ ـ لا يساعده.

قوله تعالى: ﴿وَنَفۡسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا﴾ أي وأقسم بنفس والشيء ذي

القدرة والعلم والحكمة الذي سواها ورتب خلقتها ونظم أعضاءها وعدّل بين قواها.

وتنكر (نفس) قيل: للتنكير، وقيل للتفخيم ولا يبعد أن يكون التنكير للإشارة إلى أن لها وصفاً وأن لها نبا.

والمراد بالنفس النفس الإنسانية مطلقاً وقيل: المراد بها نفس آدم عليه السلام ولا يلائمه السياق وخاصة قوله ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۞ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا﴾ بالاستخدام على أنه لا موجب للتخصيص

وقوله تعالى ﴿فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا﴾ الفجور ـ على ما ذكره الراغب ـ شق ستر الديانة فالنهي الإلهي عن فعل أو عن ترك حجاب مضروب دونه حائل بين الإنسان وبينه واقتراح المنهي عنه شق للستر وخرق للحجاب.

والتقوى ـ على ما ذكره الراغب ـ جعل النفس في وقاية مما يخاف، والمراد بها بقرينة المقابلة في الآية بينها وبين الفجور التجنب عن الفجور والتحرز عن المنافي وقد فسرت في الرواية بأنها الورع عن محارم الله.

والإلهام الإلقاء في الروع وهو إفاضته تعالى الصور العلمية من تصور أو تصدق على النفس.

..وتعليق الإلهام على عنواني فجور النفس وتقواها للدلالة

على أن المراد تعريفه تعالى للإنسان صفة فعلية من تقوى أو فجور وراء تعريفه متن الفعل بعنوانه الأولي المشترك بين أكل مال اليتيم الذي هو فجور وبين أكل مال نفسه الذي هو من التقوى، والمباشرة المشترك بين الزنى وهو الفجور والنكاح وهو من التقوى وبالجملة المراد أنه تعالى عرف الإنسان كون ما يأتي به فعل فجورا أو تقوى وميز له ما هو تقوى مما هو فجور.

وتفريع الإلهام على التسوية في قوله: (وما سواها فألهمها) الخ للاشارة إلى أن إلهام الفجور والتقوى وهو العقل العلمي من تكميل تسوية النفس فهو من نعوت خلقتها كما قال تعالى: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ﴾.

وإضافة الفجور والتقوى إلى ضمير النفس للاشارة إلى أن المراد بالفجور والتقوى الملهمين الفجور والتقوى المختصين بهذه النفس المذكورة وهي النفس الإنسانية ونفوس الجن على ما يظهر من الكتاب العزيز من كونهم مكلفين بالإيمان والعمل الصالح.

قوله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا * وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا﴾ الفلاح هو الظفر بالمطلوب وإدراك البغية، والخيبة وخلافه، والزكاة نمو النبات نمواً صالحاً ذا بركة والتزكية إنماؤه كذلك،

والتدسي ـ وهو من الدس بقلب إحدى السينين ياء ـ إدخال الشيء في الشيء بضرب من الإخفاء، والمراد بها بقرينة مقابلة الزكية: الإنماء على غير ما يقتضيه طبعها وركبت عليها نفسها.

والآية أعني قوله: ﴿وَقَدْ أَفْلَحَ﴾ الخ جواب القسم، وقوله: ﴿وَقَدْ خَابَ﴾ الخ معطوف عليه.

والتعبير بالتزكية والتدسي عن إصلاح النفس وإفسادها مبتن على ما يدل عليه قوله: ﴿فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا﴾ على أن من كمال النفس الإنسانية أنها ملهمة مميزة ـ بحسب فطرتها ـ للفجور من التقوى أي أن الدين وهو الإسلام لله فيما يريده فطري للنفس فتحلية النفس بالتقوى تزكية وإنماء صالح وتزويد لها بما يمدها في بقائها قال تعالى: ﴿وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَىٰ وَاتَّقُونِ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ﴾ وأمرها في الفجور على خلاف التقوى.

قوله تعالى: ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَاهَا﴾ الطغوى مصدر كالطغيان، والباء للسببية.

والآية وما يتلوها إلى آخر السورة استشهاد وتقرير لما تقدم من قوله ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا﴾ الخ.

وقوله تعالى: ﴿إِذِ انبَعَثَ أَشْقَاهَا﴾ ظرف لقوله: (كذبت) أو

لقوله (بطغواها) والمراد بأشقى ثمود هو الذي عقر الناقة واسمه على ما في الروايات قدار بن سالف وقد كان انبعاثه ببعث القوم كما تدل عليه الآيات التالية بما فيها من ضمائر الجمع.

قوله تعالى: ﴿فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ ٱللَّهِ نَاقَةَ ٱللَّهِ وَسُقْيَـٰهَا﴾ المراد برسول الله صالح عليه السلام نبي ثمود، وقوله (ناقة الله) منصوب على التحذير، وقوله: (وسقياها) معطوف عليه.

والمعنى: فقال لهم صالح برسالة من الله: احذروا ناقة الله وسقياها ولا تتعرضوا لها بقتلها أو منعها عن نوبتها في شرب الماء، وقد فصّل الله القصة في سورة هود وغيرها.

قوله تعالى: ﴿فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُم بِذَنۢبِهِمْ فَسَوَّىٰهَا﴾ العقر إصابة أصل الشيء ويطلق على نحر البعير والقتل والدمدمة على الشيء الاطباق عليه يقال دمدم عليه القبر أي أطبقه عليه والمراد شمولهم بعذاب يقطع دابرهم ويمحو أثرهم بسب ذنبهم.

وقوله (فسواها) الظاهر أن الضمير لثمود باعتبار أنهم قبيلة أي فسواها بالأرض أو هو تسوية بمعنى تسطيحها وإعفاء ما فيها من ارتفاع وانخفاض.

وقيل: الضمير للدمدمة المفهومة من قوله (فدمدم) والمعنى

فسوى الدمدمة بينهم فلم يفلت منهم قوي ولا ضعيف ولا كبير ولا صغير.

قوله تعالى: ﴿وَلَا يَخَافُ عُقْبَاهَا﴾ الضمير للدمدمة أو التسوية، والواو للاستئناف أو الحال.

والمعنى: ولا يخاف ربهم عاقبة الدمدمة عليهم وتسويتهم كما يخاف الملوك والاقوياء عاقبة عقاب أعدائهم وتبعته، لأن عواقب الامور هي ما يريده وعلى وفق ما يأذن فيه فالآية قريبة المعنى من قوله تعالى: ﴿لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ﴾.

وقيل: ضمير (لا يخاف) الأشقى، والمعنى ولا يخاف عاقر الناقة عقبى ما صنع بها.

وقيل: ضمير (لا يخاف) لصالح وضمير (عقباها) للدمدمة والمعنى ولا يخاف صالح عقبى الدمدمة عليهم لثقته بالنجاة وضعف الوجهين ظاهر.

وقد نقلنا تفسير هذه السورة الكريمة حرفياً من الميزان، والذي يقرأها بجد بإمعان وتأمل يصل إلى صور بلاغية وتصوير لتكوين الكون ونفس الإنسان وفيها من العبر ما يردع المرء عن الفجور وإني لعاجزٌ أن أتكلم عن هذه السورة وهذا المقام للأئمة المعصومين عليهم أفضل الصلاة والسلام لأن علمهم من علم جدهم ﷺ وعلم الرسول من الله.

ذكرُ الفتى عمره الثاني

ذكر الفتى عمره الثاني وحاجةٌ

ماقته وفضول العيش اشغالُ

هذا البيت للشاعر العملاق أبو الطيب المتنبي وفيه فلسفة الحياة، والفلسفة الواقعية التي استمدها الشاعر الكبير من القرآن الكريم ومن نهج البلاغة للإمام علي- عليه السلام وهذا يجسد الواقع ويعرضه صورةٌ ناطقه تكاد تبصرها كشريط امام عينيك لسير الإنسان الواقعي لا تتخطى خطاه مصداق هذا البيت، لأن الإنسان عمره في هذه الحياة محدودٌ مثمر بشوط الشباب المتألق وبعد هذا الشوط يبوخ هذا الوهج وتسكن حركته العنيفة فيعودُ محطم الاركان واهي القوى فيموت تدريجياً فلابد للإنسان من ساعة الرحيل، أعاننا الله على تلك السفرة وكفر عنا سيئات ما عملنا إنك أنت الغفور الرحيم.

فمادام الإنسان لابد له من الرحيل من هذه الدنيا فعليه ان يعمل صالحاً يرضي خالقهُ بأن لا يراه في نواهيه وزواجره وأن

يراه في أوامره مطيعاً لخالقه ورازقه حتى يفوز بالسعادتين سعادة الدنيا ودار البقاء التي هي دار المقر فيترك له ذكراً حسناً في الدنيا، لأن حاجته في هذه الحياة ما يقوتهُ وما زاد عن قوته أي عن ما يُقَوّم أوده فهو فضول وإشغالٌ وهذا الإشغال والفضول سيرحل عنه ويتركه لغيره وحسابه غداً عليه، أما لو أنفقه في سبيل الله لفاز فوزاً عظيماً حيث ادخره ليوم حاجته وفاقته، وهذا البيت تلخص مقولته حقيقة واقعية التي لا مفر عنها ولا محيص فأين المفر والناسُ نائمون، فإذا ماتوا استيقظوا من سباتهم وصحوا على الحقيقة المرة، وكم في الشعر من حكمةٌ تضيءُ للعقل وترشده الطريق المستقيمة التي لا عوج فيها، ونريد ان نختم هذا الحرف بكلمةٌ مضيئةٌ كضياء النهار في رائد الضحى بقول الإمام الحسن عليه السلام اعمل لدنياك كأنك تعيشُ أبداً واعمل لآخرتك كأنك تموت غداً ما اعظمها من حروف مضيئة للإنسان في جميع حركاته وسكناته وهذا دليل على ما قلنا إن الشاعر الكبير يقتبس من القرآن الكريم ومن ضوء آل البيت الطاهرين عليهم السلام وكفى بهم معلمين ومرشدين..

تمتع بالصبح:

إن للشاعر إيليا أبي ماضي قصيدةٌ اسمها «فلسفة الحياة» وهي قصيدةٌ من روائع الشعر الجيد الذي يصور ألم الحياة وما

يمرُ بها من صراعات وبلايا على الإنسان وفي قصيدة فلسف
الحياة فلسفةٌ واقعية وفلسفةٌ يمدها خيال الشعر وتصوره،
وسوف نحلل في هذا البحث شريحةً من أبياتها الواقعيا
وأخرى من أبياتها الخيالية كدراسة لهذه الشريحة لنقفَ مع
شاعرها ونناقشه ونحلل تلك الصور ونوضح الفلسفة الواقعيا
والخيالية التي يستمدها من آفاق شعري:

أيـــهـــذا الـــشـــاكـــي ومـــا بـــك داءٌ
كـيـف تـغـدو إذا غـدوتَ عَـلـيـلا

إن شـرَّ الـجُـنـاةِ فـي الأرض نـفـسٌ
تـتـوقـى، قـبـلَ الـرحـيـلِ الـرَّحـيـلا

وتـرى الـشـوكَ فـي الـورود وتَـعـمـى
أن تـرى فـوقـهـا الـنـدى إكـلـيـلا

هـو عـبءٌ عـلـى الـحـيـاةِ ثـقـيـلٌ
مـن يـظـنّ الـحـيـاةَ عـبـئـاً ثـقـيـلا

والـذي نفـسُـهُ بـغـيـرِ جـمـالٍ لا يـرى
فـي الـوجـود شـيـئـاً جـمـيـلا

لـيس أشـقـى مـمـن يـرى الـعـيـش مُـراً
ويـظـنُّ الـلـذات فـيـه فُـضـولا

فـتـمـتـع بـالـصـبـحِ مـا دُمـتَ فـيـه
لا تـخـف أن يـزول حـتـى يـزولا

واذا مـــا أظـــل رأســـك هـــم

قـصـر الـبـحـث فـيـه كـي لا يـطـولا

وقفةً أيها القارئ لتشاهد هذه الصور كشريط سنيمائي مجسداً امام عينيك فنخاطب الشاعر من وراء جدار التاريخ لو كان يسمعُ صوتي.

والخطاب لا يمنع من ان تمثل شخصاً تخاطبه امامك وهذا يسمى في البلاغة تجريداً أي تجرد من نفسك شخصاً تخاطبه فالشاعر يخاطب الشاكين وما أكثرهم، فالمرء في هذه الحياة لا يقنعُ بما رزقهُ ربه وأفاض عليه من نعمه فهو دائماً يحمل الشكوى والانين وما به من علةً من علل الحياة، فالشاعر يقول مخاطباً لهذا الشخص كيف لو غدوت عليلاً أنك ستصبح من شر الجناة في الأرض لأنك تتوقع الاصابةَ قبل وقوعها بك وتعمى عن الطبيعة الجميلة التي خلقها الله لك متعتة تتمتع بها وتفرحُ قلبك ونظرك وتتعامى عن جمال الندى فوق ثغر الورود متألقٌ بالطل وضوء الفجر في منظرٌ سحريٌ، وتتعامى عن هذا المنظر إلى الشوك فيصور الشاعر الشخص الذي تحولَ عن سلامة الذوق عن هذه الطبيعة الجميلة أنه عبءٌ ثقيلٌ على الحياة حيث جعل الحياة عبئاً ثقيلاً في تصوراته السوداوية ونسيَ وتعامى عما في الكون من آياتٌ ومصابيح في السماوات وجنات في الأرض كلها من سيب الله

وتفضله. والشاعر يعلل هذه الظاهرة النفسية لفقدان تلك النفس للجمال الطبيعي وحرمانها من جمال الوجود بما فيه من متعٌ وصورٌ وأحلام.

والشاعر يستمر في تعليله لهذه الظاهرة النفسية الغير الجميلة الحساسة فيصورها بقوله ليس أشقى من الذي يظن العيش حياة مرةٌ ولذات يحسبها فضول، وهنا نقف مع الشاعر في هذ البيت لنناقشه على بساط الواقع لا على اجنحة الخيال الشعرية فالعيش محفوف بمرارة البلايا والمصائب لا باللذات وما زاد عما يقوت الإنسان فهو إشغالٌ للمرء عن اكتساب المعارف والعلوم والاتصال بخالقه اتصالاً روحياً وهذه من الفلسفة الخيالية السفسطائية التي لا تتصلُ بالواقع.

ويعلل الشاعر بتعليلٍ آخر فرأيه أن قسماً من الناس في الحياة أناس عللوا الحياة فأحسنوا التعليل والحياة مبنية على أسرار دقيقة ونواميس إلهية لا تصل لها أفكار المخلوقين لأن هذه النواميس والاسرار صادرة من خالق حكيم كما تشير لها الآيات القرآنية حيث قال الله جل وعلا:

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَٰطِلًا ۚ ذَٰلِكَ ظَنُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنَ ٱلنَّارِ﴾ صدق الله العظيم.

فالتعليل من البشر عليلٌ ولا يصلُ إلى شيء من الحقيقة لأن هذه الاسرار من خالق الخلق وخالق الكون خالق كل شيء وكيف يعرف مخلوقٌ أسرار خالقه وأبسط شيءٍ يجهل معرفة نفسه فكيف يعرف غيرها وهذا من خيال الشاعر وفلسفته السفسطائية التي لا تمس الواقع من قريب أو بعيد، وينطلق الشاعر فيطلب من الإنسان ان يتمتع بجمال الصبح مادام فيه ولا يخاف ان يزول الصبح حتى تنقضي صبيحته، وأرى أن البيت مغلوطاً فالصبحُ لابد ان يزول ويغطي الحياة الليل وهو مثال السماء فوقنا والارض تحتنا وهذا تحصيل حاصل ورأيي أن البيت يُقرأ هكذا:

وتـمـتـع بـالـصـبـح مـا دمـت فـيـه

لا تـخـف أن يـزول حـتـى تـزولا

ومعناه تمتع في صبح عمرك أي مادمت في الدنيا حيٌ لا تخف أن يزول صبحك حتى أنت تزول من هذه الحياة اما الصبح في ذاته لا يزول حتى يأذن الله بنفخ السور ليوم البعث اما صبح الشخص فيزول بزواله والله أعلم بالحقيقة ولعل البيت يعطينا انطلاقه في قلة القيود وتمتع بالحياة بكل شيء بالمباحِ والغير المباحِ، وهذا إذاً كما يريد الشاعر لا نراه صحيحاً وإنما هو حياة البهائم برغم ما فيه من محظور من الذنوب والآثام ويختم هذا المقطع ببيت تسليةٌ:

وإذا مــــا أظــــل رأســـــك هـــمٌّ

قــصــر الــبــحــث فــيــه كــي لا يــطــولا

يريد الشاعر أن تغلق صفحات البحث حتى لا يطول عليك وأخلد للراحة ومعنى هذا البيت يأمر الإنسان بالعجز والخلود للكسل والموت في الحياة وهو حي.

تفسير سورة والضحى:

سرت في هذا الكتيب على منهجية بعد أن قصصت قصة المراحل العلاجية للعين وهي منهجيةٌ التبرك بتفسير بعض السور الكريمة من كتاب الله العزيز العليم التي لا تخفى عليه خافيةٌ لا في الأرض ولا في السماء، فنأتي بسورةٌ من القرآن الكريم مع تفسيرها من كتب التفاسير لنستفيد ويستفيد الذي يقرأ هذا الكتاب حتى يستنير من هذه المائدة الروحية وتفتح قلبه أنوارها عندما يقرأ القرآن الكريم بتدبر وبإمعان يحس نفسه بأجواء ملكوتية حتى لا يشعر بشيء من الماديات إلا بعظمةِ هذه الروحانية وهو يعيشُ بعيداً كل البعد عن هذه الماديات ويتغلغل في أفق المعنويات.

بسم الله الرحمنِ الرحيم

﴿وَٱلضُّحَىٰ ﴿١﴾ وَٱلَّيۡلِ إِذَا سَجَىٰ ﴿٢﴾ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ﴿٣﴾ وَلَلۡأٓخِرَةُ خَيۡرٞ لَّكَ مِنَ ٱلۡأُولَىٰ ﴿٤﴾ وَلَسَوۡفَ يُعۡطِيكَ رَبُّكَ فَتَرۡضَىٰٓ ﴿٥﴾ أَلَمۡ يَجِدۡكَ يَتِيمٗا

فَـَٔاوَىٰ ﴿٦﴾ وَوَجَدَكَ ضَآلًّا فَهَدَىٰ ﴿٧﴾ وَوَجَدَكَ عَآئِلًا فَأَغْنَىٰ ﴿٨﴾ فَأَمَّا ٱلْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ﴿٩﴾ وَأَمَّا ٱلسَّآئِلَ فَلَا تَنْهَرْ ﴿١٠﴾ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ﴿١١﴾﴾.

ولقد نقلنا التفسير من كتاب الميزان للعلامة السيد الطباطبائي مجلد ٢٠ صفحة ٣٥٦، ٣٥٧.

(بيان)

قيل: انقطع الوحي عن النبي ﷺ أياماً حتى قالوا: إن ربه ودعه فنزلت السورة فطيب الله بها نفسه، والسورة تحتمل المكية والمدنية.

قوله تعالى: ﴿وَٱلضُّحَىٰ * وَٱلَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ﴾ إقسام، والضحى ـ على ما في المفردات ـ انبساط الشمس وامتداد النهار وسمي الوقت به، وسجو الليل سكونه وهو غشيان ظلمته.

وقوله تعالى: ﴿مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ﴾ التوديع الترك، والقلى بكسر القاف البغض أو شدته، والآية جواب القسم، ومناسبة نور النهار وظلمة الليل لنزول الوحي وانقطاعه ظاهرة.

قوله تعالى: ﴿وَلَلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ ٱلْأُولَىٰ﴾ في معنى الترقي بالنسبة إلى ما تفيده الآية السابقة من كونه ﷺ على ما هو عليه من موقف الكرامة والعناية الإلهية كأنه قيل: أنت على ما كنت عليه من الفضل والرحمة ما دمت حياً في الدنيا وحياتك الآخرة خير لك من حياتك الدنيا.

قوله تعالى: ﴿وَلَسَوۡفَ يُعۡطِيكَ رَبُّكَ فَتَرۡضَىٰٓ﴾ تقرير وتثبيت لقوله ﴿وَلَلۡأٓخِرَةُ خَيۡرٞ لَّكَ مِنَ ٱلۡأُولَىٰ﴾ وقد اشتمل الوعد على عطاء مطلق يتبعه رضى مطلق.

وقيل: الآية ناظرة إلى الحياتين جميعاً دون الحياة الآخرة فقط.

وقوله تعالى: ﴿أَلَمۡ يَجِدۡكَ يَتِيمٗا فَـَٔاوَىٰ﴾ الآية وما يتلوها من الآيتين إشارة إلى بعض نعمه تعالى العظام عليه ﷺ فقد مات أبوه وهو في بطن أمه ثم ماتت أمه وهو ابن سنتين ثم مات جده الكفيل له وهو ابن ثمان سنين فكفله عمه ورباه.

وقيل: المراد باليتيم الوحيد الذي لا نظير له في الناس كما يقال: درٌ يتيم، والمعنى ألم يجدك وحيداً بين الناس فآوى الناس إليك وجمعهم حولك.

قوله تعالى: ﴿وَوَجَدَكَ ضَآلّٗا فَهَدَىٰ﴾ المراد بالضلال عدم الهداية والمراد بكونه ﷺ ضالاً حاله في نفسه مع قطع النظر عن هدايته تعالى فلا هدى له ﷺ ولا لأحد من الخلق إلا بالله سبحانه فقد كانت نفسه في نفسها ضالة وإن كانت الهداية الإلهية ملازمة لها منذ وجدت فالآية في معنى قوله تعالى: ﴿مَا كُنتَ تَدۡرِي مَا ٱلۡكِتَٰبُ وَلَا ٱلۡإِيمَٰنُ﴾ ومن هذا الباب قول موسى

على ما حكى الله عنه: (فعلتها إذاً وأنا من الضالين) أي لم أهتد بهدي الرسالة بعد.

ويقرب منه ما قيل: إن المراد بالضلال الذهاب من العلم كما في قوله: ﴿أَن تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَىٰ﴾ ويؤيده قوله: ﴿وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ﴾.

وقيل المعنى: وجدك ضالاً بين الناس لا يعرفون حقك فهداهم إليك ودلهم عليك.

وقيل: إنه إشارة إلى ضلاله في طريق مكة حينما كانت تجيء به حليمة بنت أبي ذؤيب من البدو إلى جده عبد المطلب على ما روي.

وقيل: إشارة إلى ما روي من ضلاله في شعاب مكة صغيراً.

وقيل: إشارة إلى ما روي من ضلاله في مسيره إلى الشام مع عمه أبي طالب في قافلة مسيرة غلام خديجة.

وقيل: غير ذلك وهي وجوه ضعيفة ظاهرة الضعف.

قوله تعالى: ﴿وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَىٰ﴾ العائل الفقير الذي لا مال له وقد كان ﷺ فقيراً لا مال له فأغناه الله بعد ما تزوج بخديجة بنت خويلد عليها السلام فوهبت له مالها وكان لها مال كثير، وقيل المراد بالإغناء استجابة دعوته.

وقوله تعالى: ﴿فَأَمَّا ٱلۡيَتِيمَ فَلَا تَقۡهَرۡ﴾ قال الراغب: القهر الغلبة والتذليل معاً ويستعمل في كل واحد منهما، انتهى.

قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا ٱلسَّآئِلَ فَلَا تَنۡهَرۡ﴾ النهر هو الزجر والرد بغلظة.

قولة تعالى: ﴿وَأَمَّا بِنِعۡمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثۡ﴾ التحدث بالنعمة ذكرها قولاً وإظهارها فعلاً وذلك شكرها، وهذه الاوامر عامة للناس وإن كانت موجهة إلى النبي ﷺ.

والآيات الثلاث متفرعة على الآيات الثلاث التي تسبقها وتذكر نعمه تعالى عليه كأنه قيل: فقد وجدت ما يجده اليتيم من ذلة اليتيم وانكساره فلا تقهر اليتيم باستذلاله في نفسه أو ماله ووجدت مرارة حاجة الضال إلى الهدى والعائل إلى الغنى فلا تزجر سائلاً يسألك رفع حاجته إلى هدى أو معاش، ووجدت ان ما عندك نعمة أنعمها عليك ربك بجوده وكرمه ورحمته فاشكر نعمته بالتحديث بها ولا تسترها.

أدرك تراثك:

إن للشعر دورٌ في الحياة ولعله منذ فجر الإنسان الأول واذا حللنا كلمة الشعر وصرفناها حسب موازين علم الصرف الذي أسس على قواعد علمية نرجع لها في علم الصرف فطبقنا القاعدة على كلمة شعر وأرجعناها إلى الأصل، فلفظ شعراً

مشتقَ من شعرَ يشعرُ شعراً شاعرٌ فشعرَ فعل ماضي ويشعرُ فعل مضارع وشعراً مصدرٌ وشاعرٌ اسم فاعل يدل على صفةٌ لذوي علم معين قائمٌ بنفسه ـ وقد تموت هذه الصفة وصاحبها على قيد الحياة أو قد تموت معه ولكن قد تكونُ أنتجت هذه الصفة خلوده ويدور مع الفلك كما تدور الشمس حتى يأذن الله بطي هذا الكوكب المسمى بالأرض حين تنطفئ الحياة بنفخة الصور في يوم الميعاد عندما يقضي الله بأمره فلا راد له وهناك فريق في الجنة وفريق في السعير فأصحاب الجنة هم الفائزون وأصحاب السعير هم الخاسرون ـ فنفهم من كلمة شعر أو شاعر هي من معنى الشعور وما بعد الشعور للمرء إلا الجنون، فالحياة هي صراعٌ مريرٌ في نفسِ كلٍّ إنسان يصارعها ما دام على قيد الحياة فإن غلب هواه عقلهِ فهو صريع هواه وأصبح من الخاسرين ذلك الخسران المبين وإن تغلب عقلهُ على هواه كان من الفائزين.

وبعد هذه التوطئة نفتحُ ما رمزنا له من عنوان:

أدرك تــراتــك أيــهــا الــمــوتــورُ

فــلــكــم بــكــل يــد دمٌ مــهــدورُ

عَـذُبـت دمـاؤكـمُ لـشـارب عَـلـهـا

وصــفــت فــلا رنــقٌ ولا تــكــديــرُ

ولسانها بك يا بن أحمد هاتفٌ

أفهكذا تغضي وأنت غيور

ما صارمٌ إلا وفي شفراته

نحر لآل محمدٍ منحورُ

ومقولة هذه الأبيات ترسمُ معلماً تاريخياً مراً ما مر على أحد من البشر مثلما مر على آل بيت الرسول وهم افضل البشر بعد جدهم النبي الخاتم ﷺ وكيف

لا قوا في هذه الدنيا الدنيئة التي لا تساوي عند المتقين جناح بعوضه وما الحياة الدنيا الا متاع الغرور وقد وصى الرسول طبقاً لما جاء في القرآن الكريم من ربه العظيم ﴿قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾ هذه الآيتان الكريمتان مكافئةٌ للرسول ﷺ عوض ما لاقى في دعوته من الرسالة من ألوان البلايا من الإهانات كالحصار والجوع والمقاطعة والقذف بالحجر وتأمروا على قتل الرسول وكان الفدائي الأول اخوه ووصيه ابن عمه علي بن أبي طالب عليه السلام حيث بات على فراشه ليلة هجرته من مكة إلى المدينة كل هذه البلايا التي تعرض لها نبي الرحمة في سبيل نشر دعوة الله المحقة لا يريد عليها جزاءً إلا ما أشار إليه القرآن العظيم، فهل وفينا إلى نبي الرحمة التي بعث رحمةٌ للعالمين ام عملنا عكس ما أمرنا، فالشاعر السيد جعفر الحلي في أبياته السابقة التي رسمناها

أعطى صورة مأساوية تعرضُ شرريطاً فيه تماثيل حزن ينطق بالآلام والأشجان في حرفٍ متفجرٍ كبراكين ناريّة يكاد المرء عندما يقرأها يتحول إلى قطعةٌ من ألم ودموع حتى لا يكادُ يحسُ بنفسه وحياته وهذه الأبيات من قصيدة طويلة للسيد جعفر الحلي ومن أراد أن يقرأها كاملة فليرجع إلى ديوانه، هذا ملخص أردنا شرحهُ أسال الله الأجر والتوفيق والإعانة من خالقي ومدبري ولإخواني المؤمنين والمؤمنات.

يريد العنا

يـريـدُ الـعـنـا دون الـغـنـى ولـه الـفـضـلُ

ويـمـنـعـنـا والـمـنـع مـنـه هـو الـبـدلُ

لـلـطـفٍ خـفـيٍ مـنـعـهُ وعـطـائـه يـنـوؤ

ويـكـبـو دونـه الـفـكـر والـعـقـلُ

هذان البيتان لسيدي الولد الإمام الشيخ علي أبو حسن الخنيزي.

هذان البيتان في منطوقهما ومفهومهما يوحدان الله سبحانه وتعالى ويعرفان العبد كيف التعلق بالله والتسليم له في كل افعاله لأن افعاله لا تصدر إلا عن حكمةٌ وفي صلاح الكون وسعادة العبد دنيا وآخرة وإن كان العبد يجهل صلاحه فإذا أصابه شرٌّ ملأ حياتهُ ضجيجاً وعويلاً فيحسن للعبد ان يرضى بالقضاء والقدر ولا يتبرم وان لا يظلم احداً من اخوانه في الدين أو البشرية حتى لا يلقى جزائه في الدنيا والآخرة العذاب المهين يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب

سليم، وإذا كان حكيماً تمسك بطاعة الله وصبر على ما يصيبه من أمراض يمتحن بها أو من ظلمٍ من أخيه فعاقبة الصبر خيرٌ له فإن الله سبحانه وتعالى يضاعف للصابرين أجورهم بغير حساب وفيها الصلاح والإصلاح، فإن الله لطيف بعباده ونريد نصور للقارئ معاني البيتين ونشرحهما يريدُ العنا دون الغنى وله الفضلُ أي يعطي عبده الصلاح والخير ويمنعه وهذا المنعُ هو البذل أي الإعطاء بسخاء فعطائه ومنعه كلها لألطاف خفيه تخفي أسرارها على العبد ويكبو وينوؤ دونه الفكر والعقل فعليك التسليمُ والخضوع لربك حتى تفوز برضاه وتجيء يوم الفزع الاكبر مطمئن القلب، هذه الحكمة الدقيقة بها يصل البشرُ ويعمر الكونُ ولولا هذه الالطاف لما رأيت على هذا الكوكب المسمى بالأرض من دابةٌ تمشي على الأرض والله هو الحكيم المتصرف في ملكه وافعاله لا تصدر عن عبث وإنما تصدر عن حكمةٍ وصلاح.

كم يسعدني

بسم الله الرحمن الرحيم

كم يسعدني وأغبط نفسي أن أتشرف بنقلي بعض التفسيرات لسورةٌ من سور القرآن العظيم الذي لا يستغني عنه كائنٌ يعيشُ على هذا الكوكب فهو نعمةٌ من نعم الله الكبرى واجب علينا الشكرُ للمنعم وما خلق لنا من عيونٌ وثمارٍ ونخيلٍ وعنبٍ ومن كل ما أنبتته الأرض بإذن الله ونتفكرُ في خلق السماوات والأرض وما يتفكر إلا أولو الألباب، ولكن الإنسان لا يتصور هذه النعم، فأكثر البشر غير شاكرين لهذه النعم التي تفضل بها خالقنا من سيبه على عبيده، ولذا نذكر هنا تفسير سورة هل أتاك حديث الغاشية تفسير الميزان للعلامة السيد محمد حسين الطباطبائي رحمه الله وقدس الله روحه مجلد ٢٠ صفحة ٣٠٨

﴿هَلۡ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلۡغَٰشِيَةِ ﴿١﴾ وُجُوهٞ يَوۡمَئِذٍ خَٰشِعَةٌ ﴿٢﴾ عَامِلَةٞ نَّاصِبَةٞ ﴿٣﴾ تَصۡلَىٰ نَارًا حَامِيَةٗ ﴿٤﴾ تُسۡقَىٰ مِنۡ عَيۡنٍ ءَانِيَةٖ ﴿٥﴾ لَّيۡسَ لَهُمۡ طَعَامٌ إِلَّا مِن ضَرِيعٖ

﴿٦﴾ لَّا يُسۡمِنُ وَلَا يُغۡنِي مِن جُوعٖ ﴿٧﴾ وُجُوهٞ يَوۡمَئِذٖ نَّاعِمَةٞ ﴿٨﴾ لِّسَعۡيِهَا رَاضِيَةٞ ﴿٩﴾ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٖ ﴿١٠﴾ لَّا تَسۡمَعُ فِيهَا لَٰغِيَةٗ ﴿١١﴾ فِيهَا عَيۡنٞ جَارِيَةٞ ﴿١٢﴾ فِيهَا سُرُرٞ مَّرۡفُوعَةٞ ﴿١٣﴾ وَأَكۡوَابٞ مَّوۡضُوعَةٞ ﴿١٤﴾ وَنَمَارِقُ مَصۡفُوفَةٞ ﴿١٥﴾ وَزَرَابِيُّ مَبۡثُوثَةٌ ﴿١٦﴾ أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلۡإِبِلِ كَيۡفَ خُلِقَتۡ ﴿١٧﴾ وَإِلَى ٱلسَّمَآءِ كَيۡفَ رُفِعَتۡ ﴿١٨﴾ وَإِلَى ٱلۡجِبَالِ كَيۡفَ نُصِبَتۡ ﴿١٩﴾ وَإِلَى ٱلۡأَرۡضِ كَيۡفَ سُطِحَتۡ ﴿٢٠﴾ فَذَكِّرۡ إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٞ ﴿٢١﴾ لَّسۡتَ عَلَيۡهِم بِمُصَيۡطِرٍ ﴿٢٢﴾ إِلَّا مَن تَوَلَّىٰ وَكَفَرَ ﴿٢٣﴾ فَيُعَذِّبُهُ ٱللَّهُ ٱلۡعَذَابَ ٱلۡأَكۡبَرَ ﴿٢٤﴾ إِنَّ إِلَيۡنَآ إِيَابَهُمۡ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيۡنَا حِسَابَهُم ﴿٢٦﴾ ﴾

بيان:

سورة إنذار وتبشير تصف الغاشية وهي يوم القيامة الذي يحيط بالناس تصفه بحال الناس فيه من حيث انقسامهم فريقين: السعداء والأشقياء واستقرارهم فيما أعد لهم من الجنة والنار وتنتهي إلى أمره ﷺ أن يذكر الناس بفنون من التدبير الربوبي في العالم الدالة على ربوبيته تعالى لهم ورجوعهم إليه لحساب أعمالهم.

والسورة مكية بشهادة سياق آياتها.

قوله تعالى: «هل أتاك حديث الغاشية» استفهام بداعي التفخيم والإعظام، والمراد بالغاشية يوم القيامة سميت بذلك لأنها تغشى الناس وتحيط بهم كما قال: ﴿وَحَشَرۡنَٰهُمۡ فَلَمۡ نُغَادِرۡ

﴿مِنۡهُمۡ أَحَدٗا﴾ (الكهف: ٤٧)، أو لأنها تغشى الناس بأهوالها بغتة كما قيل، أو لأنها تغشى وجوه الكفار بالعذاب.

قوله تعالى: ﴿وُجُوهٞ يَوۡمَئِذٍ خَٰشِعَةٌ﴾ أي مذللة بالغم والعذاب يغشاها، والخشوع إنما هو لأرباب الوجوه وإنما نسب إلى الوجوه لأن الخشوع والمذلة يظهر فيها.

قوله تعالى: ﴿عَامِلَةٞ نَّاصِبَةٞ﴾ النصب التعب و«عاملة» خبر بعد خبر لوجوه، وكذا قوله: «ناصبة» و«تصلى» و«تسقى» و«ليس لهم» والمراد من عملها ونصبها بقرينة مقابلتهما في صفة أهل الجنة الآتية بقوله: «لسعيها راضية» عملها في الدنيا ونصبها في الآخرة فإن الإنسان إنما يعمل ما يعمل في الدنيا ليسعد به ويظفر بالمطلوب لكن عملهم خبط باطل لا ينفعهم شيئا كما قال تعالى: ﴿وَقَدِمۡنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُواْ مِنۡ عَمَلٖ فَجَعَلۡنَٰهُ هَبَآءٗ مَّنثُورًا﴾ (الفرقان: ٢٣) فلا يعود إليهم من عملهم إلا النصب والتعب بخلاف أهل الجنة فإنهم لسعيهم الذي سعوه في الدنيا راضون لما ساقهم إلى الجنة والراحة.

وقيل: المراد أنها عاملة في النار ناصبة فيها فهي تعالج أنواع العذاب الذي تعذب به وتتعب لذلك.

وقيل: المراد أنها عاملة في الدنيا بالمعاصي ناصبة في النار يوم القيامة.

قوله تعالى: ﴿تَصْلَىٰ نَارًا حَامِيَةً﴾ أي تلزم ناراً في نهاية الحرارة.

قوله تعالى: ﴿تُسْقَىٰ مِنْ عَيْنٍ ءَانِيَةٍ﴾ أي حارة بالغة في حرارتها.

قوله تعالى: «ليس لهم طعام إلا من ضريع لا يسمن ولا يغني من جوع» قيل: الضريع نوع من الشوك يقال له: الشبرق وأهل الحجاز يسمونه الضريع إذا يبس وهو أخبث طعام وأبشعه لا ترعاه دابة، ولعل تسمية ما في النار به لمجرد المشابهة شكلاً وخاصة.

قوله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاعِمَةٌ﴾ من النعومة فيكون كناية عن البهجة والسرور الظاهر على البشرة كما قال: ﴿تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ ٱلنَّعِيمِ﴾ (المطففين: ٢٤)، أو من النعمة أي متنعمة. قيل: ولم يعطف على قوله: «وجوه يومئذ خاشعة» إشارة إلى كمال البينونة بين حالي الفريقين.

قوله تعالى: ﴿لِّسَعْيِهَا رَاضِيَةٌ﴾ اللام للتقوية، والمراد بالسعي سعيها في الدنيا بالعمل الصالح، والمعنى رضيت سعيها وهو عملها الصالح حيث جوزيت به جزاءً حسناً.

قوله تعالى: ﴿فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ﴾ ـ إلى قوله ـ ﴿وَزَرَابِيُّ مَبْثُوثَةٌ﴾ المراد بعلوها ارتفاع درجاتها وشرفها وجلالتها وغزارة عيشها

فإن فيها حياة لا موت معها، ولذة لا ألم يشوبها وسروراً لا غم ولا حزن يداخله لهم فيها فوق ما يشاؤون.

وقوله: ﴿لَّا تَسْمَعُ فِيهَا لَٰغِيَةً﴾ أي لا تسمع تلك الوجوه في الجنة كلمة ساقطة لا فائدة فيها.

وقوله: ﴿فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ﴾ المراد بالعين جنسها فقد عدّ تعالى فيها عيوناً في كلامه كالسلسبيل والشراب الطهور وغيرهما.

وقوله: ﴿فِيهَا سُرُرٌ مَّرْفُوعَةٌ﴾ السرر جمع سرير وفي ارتفاعها جلالة القاعد عليها، ﴿وَأَكْوَابٌ مَّوْضُوعَةٌ﴾ الأكواب جمع كوب وهو الإبريق لا خرطوم له ولا عروة يتخذ فيه الشراب ﴿وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ﴾ النمارق جمع نمرقة وهي الوسادة وكونها مصفوفة وضعها في المجلس بحيث يتصل بعضها ببعض على هيئة المجالس الفاخرة في الدنيا ﴿وَزَرَابِيُّ مَبْثُوثَةٌ﴾ الزرابي جمع زربية مثلثة الزاي وهي البساط الفاخر وبثها بسطها للقعود عليها.

قوله تعالى: ﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ﴾ بعد ما فرغ من وصف الغاشية وبيان حال الفريقين، المؤمنين والكفار عقبه بإشارة إجمالية إلى التدبير ربوبيته الذي يفصح عن ربوبيته تعالى المقتضية لوجوب عبادته ولازم ذلك حساب الأعمال وجزاء المؤمن بإيمانه والكافر بكفره والظرف الذي فيه ذلك هو الغاشية.

وقد دعاهم أولا أن ينظروا إلى الإبل كيف خلقت؟ وكيف صور الله سبحانه أرضاً عادمة للحياة فاقدة للشعور بهذه الصورة العجيبة في أعضائها وقواها وأفاعيلها فسخرها لهم ينتفعون من ركوبها وحملها ولحمها وضرعها وجلدها ووبرها حتى بولها وبعرتها فهل هذا كله توافق اتفاقي غير مطلوب بحياله؟

وتخصيص الإبل بالذكر من جهة أن السورة مكية وأول من تتلى عليهم الأعراب واتخاذ الآبال من أركان عيشتهم. قوله تعالى: ﴿وَإِلَى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ رُفِعَتْ﴾ وزينت بالشمس والقمر وسائر النجوم الزواهر بما فيها من المنافع لأهل الأرض وقد جعل دونها الهواء الذي يضطر إليه الحيوان في تنفسه.

قوله تعالى: ﴿وَإِلَى ٱلْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ﴾ وهي أوتاد الأرض المانعة من مورها ومخازن الماء التي تتفجر منها العيون والأنهار ومحافظ للمعادن.

قوله تعالى: ﴿وَإِلَى ٱلْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ﴾ أي بسطت وسويت فصلحت لسكنى الإنسان وسهل فيها النقل والانتقال وأغلب التصرفات الصناعية التي للإنسان.

فهذه تدبيرات كلية مستندة إليه تعالى بلا ريب فيه فهو رب السماء والأرض ما بينهما فهو رب العالم الإنساني يجب

عليهم أن يتخذوه ربا ويوحدوه ويعبدوه وأمامهم الغاشية وهو يوم الحساب والجزاء.

قوله تعالى: ﴿فَذَكِّرْ إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٌ﴾ تفريع على ما تقدم والمعنى إذا كان الله سبحانه هو ربهم لا رب سواه وأمامهم يوم الحساب والجزاء لمن آمن منهم أو كفر فذكرهم بذلك.

وقوله: ﴿إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٌ﴾ بيان أن وظيفته ـ وهو رسولٌ ـ التذكرة رجاء أن يستجيبوا ويؤمنوا من غير إكراه وإلجاء.

قوله تعالى: ﴿لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ﴾ المصيطر ـ وأصله المسيطر ـ المتسلط، والجملة بيان وتفسير لقوله: ﴿إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٌ﴾.

قوله تعالى: ﴿إِلَّا مَن تَوَلَّىٰ وَكَفَرَ﴾ استثناء من المفعول المحذوف لقوله السابق: «فذكر» والتقدير فذكر الناس إلا من تولى منهم عن التذكرة وكفر إذ تذكرته لغو لا فائدة فيها، ومعلوم أن التولي والكفر إنما يكون بعد التذكرة فالمنفي بالاستثناء هو التذكرة بعد التذكرة كأنه قيل: ذكرهم وأدم التذكرة إلا لمن ذكرته فتولى عنها وكفر، فليس عليك إدامة تذكرته بل أعرض عنه فيعذبه الله العذاب الأكبر.

فقوله: «فذكر ـ إلى أن قال ـ إلا من تولى وكفر فيعذبه الله العذاب الأكبر» في معنى قوله: «فذكر إن نفعت الذكرى ـ إلى

أن قال ـ ويتجنبها الأشقى الذي يصلى النار الكبرى» (الأعلى: ١٢) وقد تقدم بيانه.

وقيل: الاستثناء من ضمير «عليهم» في قوله: ﴿لَّسۡتَ عَلَيۡهِم بِمُصَيۡطِرٍ﴾ والمعنى لست عليهم بمتسلط إلا على من تولى منهم عن التذكرة وأقام على الكفر فسيسلطك الله عليه ويأمرك بالجهاد فتقاتله فتقتله.

وقيل: الاستثناء منقطع والمعنى لست عليهم بمتسلط لكن من تولى وكفر منهم يعذبه الله العذاب الأكبر، وما قدمناه من الوجه أرجح وأقرب.

قوله تعالى: ﴿فَيُعَذِّبُهُ ٱللَّهُ ٱلۡعَذَابَ ٱلۡأَكۡبَرَ﴾ هو عذاب جهنم فالآية كما تقدم محاذية لقوله في سورة الأعلى ﴿ٱلَّذِى يَصۡلَى ٱلنَّارَ ٱلۡكُبۡرَىٰ﴾.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ إِلَيۡنَآ إِيَابَهُمۡ﴾ الإياب الرجوع و«إلينا» خبر إن وإنما قدم للتأكيد ولرعاية الفواصل دون الحصر إذ لا قائل برجوع الناس إلى غير الله سبحانه والآية في مقام التعليل للتعذيب المذكور في الآية السابقة.

قوله تعالى: ﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيۡنَا حِسَابَهُم﴾ الكلام فيه كالكلام في الآية السابقة.

بحث روائي:

في المجمع، وقال أبو عبدالله عليه السلام: كل ناصب وإن تعبد واجتهد يصير إلى هذه الآية «عاملة ناصبة تصلى نارا حامية».

أقول: ورواه في ثواب الأعمال، مسندا ولفظه: كل ناصب وإن تعبد واجتهد يصير إلى هذه الغاية ﴿عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ ❁ تَصْلَىٰ نَارًا حَامِيَةً﴾.

وفيه، عن ابن عباس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: الضريع شيء في النار يشبه الشوك أمر من الصبر وأنتن من الجيفة وأشد حراً من النار سماه الله الضريع.

وفي تفسير القمي: في قوله تعالى: ﴿لَّا تَسْمَعُ فِيهَا لَاغِيَةً﴾ قال: الهزل والكذب.

وفيه: في قوله تعالى: ﴿لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ﴾ قال: بحافظ ولا كاتب عليهم.

وفي الدر المنثور، أخرج ابن أبي شيبة وأحمد وعبد بن حميد ومسلم والترمذي والنسائي وابن ماجة وابن جرير والحاكم وابن مردويه والبيهقي في الأسماء والصفات عن جابر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا: لا إله إلا الله فإذا قالوها عصموا مني دماءهم

وأموالهم إلا بحقها وحسابهم على الله ثم قرأ ﴿فَذَكِّرْ إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٌ * لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ﴾.

أقول: لا دلالة في الرواية على كون الاستثناء من ضمير «عليهم» وهو ظاهر.

وفيه، وفي رواية أبي الجارود عن أبي جعفر عليه السلام: في قوله تعالى: ﴿إِلَّا مَن تَوَلَّىٰ وَكَفَرَ﴾ يريد من لم يتعظ ولم يصدقك وجحد ربوبيتي وكفر نعمتي ﴿فَيُعَذِّبُهُ ٱللَّهُ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَكْبَرَ﴾ يريد الغليظ الشديد الدائم ﴿إِنَّ إِلَيْنَآ إِيَابَهُمْ﴾ يريد مصيرهم ﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُم﴾ يريد جزاءهم.

وفي النهج: وسئل عليه السلام: كيف يحاسب الله الخلق على كثرتهم؟ قال: كما يرزقهم على كثرتهم. قيل: فكيف يحاسبهم ولا يرونه؟ قال: كما يرزقهم ولا يرونه.

وفيه، قال الصادق عليه السلام: كل أمة يحاسبها إمام زمانها، ويعرف الأئمة أولياءهم وأعداءهم بسيماهم وهو قوله: ﴿وَعَلَى ٱلْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسِيمَٰهُمْ﴾ الحديث.

أقول: قد تقدم توضيح معنى الحديث في تفسير الآية من سورة الأعراف، وروي هذا المعنى في البصائر، عن الصادق عليه السلام مسنداً وفي الكافي، عن الباقر والكاظم عليهما السلام وفي الفقيه، عن الهادي عليه السلام في الزيارة الجامعة.

آفةُ الأفُول

كلُّ نجمٍ إلى الأفول ولكنْ
آفةُ النجم أن يَخافَ الأفولا
غايةُ الورد في الرياضِ ذبولٌ
كنْ حكيماً واسبِقْ إليه الذُّبولا
واذا ما وجَدتَ في الأرض ظِلاّ
فتفيأ به إلى أن يحولا
وتوقّعْ إذا السماءُ اكفهرت
مطراً في السهول يحيي السهولا
قل لقومٍ يستنزفون المآقي
هل شفيتمْ مع البكاء غليلا
ما أتينا إلى الحياة لنشقى
فأريحوا أهل العقول العقولا
كلُّ من يجمعُ الهمومَ عليه
أخذتهُ الهمومُ أخذاً وبيلا

كـنُّ هـزاراً فـي عـشـه يـتـغـنـى

ومـع الـكـبـل لا يـبـالـي الـكـبـولا

لا غـرابـاً يـطـارد الـدود فـي الارض

وبـومـاً فـي الـلـيـل يـبـكـي الـطـلـولا

كـن غـديـراً يـسـيـر فـي الأرض رقـراقـاً

فـيـسـقـي مـن جـانـبـيـه الـحـقـولا

وقفةٌ معي أيها القارئ العزيز نستعرض مقطعاً من مقاطع قصيدة فلسفة الحياة للشاعر ابا ماضي وقد سبق ان عرضنا مقطعاً منها ودرسناه وأعطينا عنه صورةً كمرآة تموج عليها الصور والظلال وتشفُ عن ما وراء الحرف، ونريد هنا ان نتحاور مع أبي ماضي ونعرض هذا المقطع والدرس والتحليل فنبدأ معه التحاور: كل نجمٍ ذاهب إلى الافُول فهذا لابد ان ينطفئ هذا الضوء قصرت الحياة أم طالت ولكن المشكلة تكمنُ في مخافة انطفاء الضوء قبل ان ينطفئ ويخشى الافول قبل الافول وقد يعجّل هذا الخوف بعوامل امراض نفسيه إما تتركه في قلق نفسي أو تعجّل برحيله، وبصفتي مسلم قرآني أؤمن بأن لكل أجلٍ كتاب لا يتقدمه ولا يتأخر لحكمة تخفى على العبد لألطاف من خالقه حجبها عنه حتى يتمتع بهذه الحياة في طاعة خالقه ورازقه أو في عصيانه ويفعل الله ما يشاءُ وبيده الإثباتُ حيث قال الله تعالى:

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿يَمۡحُواْ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثۡبِتُۖ وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلۡكِتَٰبِ﴾.

ويضرب الشاعر مثلاً في ذبول الورد في الرياض الغناء فيطلب من المرء ان يتمتع بحياته ولا يسبق ذبوله أي يوم تسكن حركته ويصبح جثةً هامدة.

ويعود الشاعر ويصبح انتهازياً بيقورياً فيخاطب قرّاءَهُ عندما يتاح له متعةٌ في الحياة فينتهز الفرصة ولا يتركها قبل ان تفلت منه.

أما بيت الشاعر الرابع من هذا المقطع فهو يشبه قول ابن الشارع السماء فوقنا والارض تحتنا فهو بيت لا صورة شعريه فيه وإنما حكايةٌ تحمل لفظاً لا يزيد عن الواقع المبتذل بين ابناء الشوارع.

ويصور الذين ينزفون الدموع عندما يصابُ ببلايا أو مصائب من مصائب الدنيا وينتقدهم في بكائهم ونوحهم وتناسى الشاعر القلوب الرقيقة والعواطف الحساسة أنها تتأثر بالأحداث التي تصاب بها، ولكنها تخففُ عن نفسها اذا لجأت إلى وصفة من وصفات القرآن الكريم إنا لله وإنا إليه راجعون، لكن المتنبي في هذا المزمار عندما يعالج ظاهرةً من الظواهر النفسية كان أدقُّ وأصوب من أبي ماضي وإن كان أبي ماضي اقتبس المعنى من المتنبي فاعرف الفرق بينهما.

والشاعر أبي ماضي يبدي رأيه عن غاية المراء في هذه الحياة فيصور أن المرء لم يأتي الحياة ليشقى ويخاطب أهل العقول أن يعطلوا عقولهم وهذا غير صحيح لأن المرء بأصغريه عقله ولسانه كما عرفه سيد البلغاء والأوصياء الإمام علي عليه السلام، فإذا جرد منهما فلا قيمة له. فبالعقل عبَدَ المرء ربه وعمر حياته فالعقل هو الإمام الباطني المسيطر على المرء فإن غلب عقله هواه كان من السعداء وإن غلب هواه عقله كان من الأشقياء.

ونختم هذا المقطع بتوصيةٌ من الشاعر فيها صورة زخم وهو يطلب من كل إنسان لا يجمع الهموم عليه لئلا يكون فريسةٌ للهموم.

ويضرب له أمثالاً كالهزار يتغنى على الغصن غير مبالٍ بالقيود من الصياد ولا يكون كالغراب الذي يطارد الديدان وفي الليل يبكي الطلول بل يكون كريماً سخياً على أهله ومجتمعه كالغدير يسقي من كفيه إخوانه كما يسقي الغدير من جنبيه الحقول.

لا أهل ولا وطن

بما التعلل لا أهل ولا وطن
ولا نديم ولا كأسٌ ولا سكنُ
أريد من زمني ذا أن يبلغني
ما ليس يبلغه من نفسه الزمنُ
لا تلق دهرك إلا غير مكترث
مادام يصحبُ فيه روحك البدن
فما يدوم سرور ما سررت به
ولا يرد عليكَ الفائت الحزن
مما أضر بأهل العشق أنهم هووا
وما عرفوا الدنيا وما فطنوا
تفنى عيونهم دمعاً وأنفسهم
في إثر كل قبيح وجهه حسنُ
تحملوا حملتكم كلُ ناجيةٍ
فكلَ بينٍ عليَّ اليومَ مؤتمنُ

ما في هوادجكم من مهجتي عوضٌ
إن مت شوقاً ولا فيها لها ثمن

يا من نعيت على بعد بمجلسه
كل بما زعم الناعون مرتهن

كم قد قُتلت وكم قد مت عندكم
ثم انتفضت فزال القبر والكفن

قد كان شاهد دفني قبل قولهم
جماعةٌ ثم ماتوا قبل من دفنوا

ما كل ما يتمنى المرءُ يدركهُ
تجري الرياح بما لا تشتهى السفنُ

رايتكم لا يصون العرض جاركم
ولا يدرٌ على مرعاكم اللبنُ

جزاءُ كل قريب منكم مللُ
وحظ كل محب منكمُ ضغنُ

وتغضبون على من نال رفدكمُ
حتى يعاقبهُ التنغيص والمننُ

فغادر الهجرُ ما بيني وبينكم
يهماء تكذب فيها العين والاذن

مع المتنبي

وقفةٌ أيها القارئ العزيز مع شاعر الإنسانية الذي سجل خلجات النفوس وضرب للحياة امثالاً فيها صورٌ وعبر ونقف مع الشاعر العملاق شاعر الإنسانية في قصيدةٍ مأساوية فيها صورٌ من ألم الحياة وقسوتها على العباقرة وعبرٌ للبشر فاسمعهُ كيف يصور مأساته يجسدها في بيان الناطق بأحداث الحياة.

فهو يصور حياته يعيشُ بلا أهلٍ ولا وطنٍ ولا نديمٍ ولا كأسٍ ولا سكن فبماذا يتعلل وكل مقومات الحياة مفقودة منه كل هذه يفقدها ويعيشُ في غربةٌ قاسية، فإذا امتد رواق الليل على جوه الملبد بالهموم ازداد كآبة ووحشة فليس لديه ما يعللهُ ويزيل آلامه أي لا شيء يسليه ويخفف عنه أطيافَ حسرات تتلبدُ في جو نفسه وتغيمُ على عينيه ويتعالى المتنبي ذو النفس الكبيرة عن هذه الأحداث والحسرات إلى أبعد حدود الرفعة فيطلب من زمنه ان يبلغهُ ما لا يبلغه الزمن من نفسه.

ويرسل لنفسه وللبشر مثلاً يخفف ويلات الاحزان في

صورة مثاليه ونصيحة صادقة فيطلب من كل شخصٍ حزين لا يلقى الزمن غير مكترثٍ بالأحداث ما دام هو حي على قيد الحياة. ويصور لك ان السرور غير دائم وإن كل بلاءٍ نزل بك وأفقدك حبيباً لا يرده حزنك فلا بدّ من التسليم والصبر حتى تثاب عليه.

وإن العاشقين ذابو كما تذوب الشموع في سبيل عشقهمُ ولو عرفوا الدنيا وفطنوا لها لما احترقوا في بوتقةِ لهيب العشق.

ويكمل الصورة وهو في مخاطبة العاشقين ويوجه لهم اللوم لأنهم يفنون عيونهم في الدمع الذي يسكبونه على فراقِ أحبتهم ويفنون أنفسهم على أناس ترى حسن الظاهر في صورهم وقبيح باطنهم فهي مضيعةٌ من العمر، أو يفسر قوله بمعنى آخر يقصد الدنيا فهي ظاهرها حسن وباطنها قبيح وقد كان لأبي نواس تصويراً رائعاً بز فيه المتنبي في تصويره الدنيا:

إذا امتحن الدنيا لبيب تكشفت

له عن عدوٍ في ثياب صديقِ

وبعد أن خلصَ المتنبي من صورةِ وصف العاشقين يخاطبهم بجملة هجائية انهم أبعدت احبابهم عنهم عوامل

البعد ولم يفوا له وفي هذا البيت تعريض بهم وأنه راضٍ بحكم الله ولا يحزن على فراقهم.

ويعود ويخاطب أحبابه بأن ليس له روحٌ تعشقهم وتفنى في حبهم ولا هي محمولة معهم في هوادجهم من شوقٍ لهم وأنها ليست فانية في حبهم فليس لها بدله عوضٌ ولا ثمنٍ

وهذا التعريضُ بأمير سيف الدولة الحمداني وقد نعيَ المتنبي له بمجلسه على بعد منه لا تشمتوا بهذا النعي فكل ناعٍ مرتهن بيومه فلا شماتة ولا فرحَ.

فأخد يسخرُ على الناعين له فيقول لهم ساخرٌ لقد قتلت في وهمكم عدة مرات فمتُ منه عدة مرات ثم انتفضت انتفاضة عملاقة فزال عني القبرُ والكفن.

ويستمر في سخريته على الناعين له فالذين نعوه شاهد دفنهم ولم يشاهدوا دفنه فتصور من هذه السخرية التي يسخر منهم من الجماعة التي شاهدوا دفنه في الخيال ولكنهم دفنوا قبل دفنه واقعٌ.

ويستمر في سخريته فليس كل ما يتمناه المرء يبلغه ويراه ولكن الزمن يعاكسه فلا يبلغه أمنيته كرياح عندما تعاكس السفن في مجراها مثلاً حياً واقعياً يضربه للناس حتى يعيه العوامُ فضلٌ عن المفكرين.

والمتنبي هجى بعض ممن مدحهم بعد مفارقته لهم لأن المتنبي يرى أن إذا الشخص استطاع ان لا يفارقه حبيبه وأجبره على الفراق بوضع عقبات في طريقه فالراحل الممدوح لا المادح وهذا البيت دليل على ماقلناه:

إذا ترحلت عن قوم وقد قدروا

أن لا تفارقهم فالراحلون هم

وقد يكون الفراق على موج من الزعل فالشاعر ينفس عن آلام تجول في نفسه فيصبه لهيبٌ على من مدحه سابقاً إلا سيف الدولة عرض به بإشارةٍ أدبيةٌ بعيدةٍ:

كمثلي رأيتكم لا يصون العرض جاركم

ولا يدرُ على مرعاكم اللبن

وبعد الفراق طلب منه سيف الدولة بالعودة إلى حلب فمدحه بقصيدةٍ مطلعها:

فهمتُ الكتاب أبر الكتب

فسمعٌ وطوعٌ لأمرِ أمير العرب

وفي هذه القصيدة يشير فيها أنه لم يظفر بشخص كسيف الدولة كما تشير له القصيدة:

ومن ركب الثور بعد الجواد

أنكر أضلافه والغبب

وفي القصيدة النونية التي مررنا بصور مقاطعها قبل هذه القصيدة البائية تعرضت بسيف الدولة:

رأيتكم لا يصون العرض جاركم، أي أنكم اجبرتموني على فراقكم، حيث لم تحموني من الحساد ولم ترعو لي حرمة وجف نبعكم لي لذلك اضطررت على الفراق والابتعاد عنكم.

ويستمر المتنبي في عتابه المر لسيف الدولة في صورة جسدها في المقطع الأخير حتى يختمها بألم صارخ أن الفراق فرق بينهما فهو تفصله مهمة وصحارى حتى يكذب الشخص سمعه وعينه من تلك الصحارى الملتهبة المبطنة بأشباح الجن وخيالات العفاريت وبأصوات مفزعةٌ يطرب منها ويرجفُ السائر في تلك الصحارى.

صحب الناس

صحبِ الناس قبلنا ذا الزمانا
وعناهم من شأنه ما عنانا
وتولوا بغصةٍ كلهم منه
وإن سر بعضهم أحيانا
ربما تحسن الصنيع لياليه
ولكن تكدر الأحسانا
وكأنا لم يرض فينا بريب الدهر
حتى أعانه من أعانا
كلما أنبت الزمان قناةً
ركب المرءُ في القناة سنانا
ومراد النفوس أصغر من أن
نتعادى فيه وأن نتفاني
غير أن الفتى يلاقي المنايا
كالحات ولا يلاقي الهوانا

ولـو أن الـحـيـاة تـبـقـى لـحـيٍّ

لـعـددنـا أضـلـنـا الـشـجـعـانـا

وإذا لـم يـكـن مـن الـمـوت بـدٌّ

فـمـن الـعـجـز أن تـكـون جـبـانـا

كـل مـا لـم يـكـن مـن الـصـعـب

في الأنـفـس سـهـل فـيـهـا إذا هـو كـان

دائماً نشيرُ وندلل أن المتنبي يقتبصُ ويتصيد معاني شعره من كتاب نهج البلاغة من أفصح الفصحى وأبلغ البلغاء بعد رسول الله ﷺ في هذه الحياة فهو تلميذهُ وربيبه وابن عمه، فكان البليغ الحكيم فهو في قمة الحكمة والبلاغة كما وصف كلامه سلام الله عليه في كلامه (ينحط عني السيل ولا يرقى إليّ الطير) وهو كذلك كما قال فجاء المتنبي بعده فصار يشرب من كوُس الإمام الشفافة ومن نهر عزب فبهر الناس حتى قيل فيه تلك الكلمة الخالدة جاء المتنبي وملاء الدنيا وشغل الناس ونحنُ أمام قطعةُ له أو لوحةٌ من لوحات الفن فيها صورٌ من الابداع ووصفٌ من الحكم والعبر وكأنه استوحى هذه القصيدة من سماء نهج البلغة فوفق فيها كل التوفيق فسمعه كيف يبدئ بحكمته الفلسفية فنحنُ نصحب هذا الزمان أي نصاحبه طول حياتنا كما صحبه الذين مرُ بهذه الحياة وهم مهتمين بشؤونه وشؤون من فيه أي اهتمُ بهذه

الأمور والأفضل لهم ألا يهتموا بهذه القشور التي لا تعود عليهم بعائدة من خير، ورحلَ عنه بغصةٌ أي بحزن وشجاء، تحولت إلى غصصٌ في حلوقهم قبل ان يفارقُ هذا الزمان وان سر بعضٌ يومٌ من الأيام ولكنه يعود بأضعاف الاحزان فالحياة هي سلسةُ ألمٌ والآخرةُ دار البقاء والخلود والنعيم لمن عمل صالحٌ وهو مؤمنٌ.

والمتنبي يفسرُ ما قصده في البيت الثاني بالبيت الثالث فيوصف الزمن قد يحسنُ على نزرةٌ وجاء بحرف ربما لتقليل ومع هذه القلة لا يأمن الدهر ان يختم إحسانه بأيام القدار والعناء.

وهنا يثب المتنبي وثبةً فيصف فالزمان لم يرده المصائب والريب التي تمرُ على بعض البشر أو كل البشر حتى أعانه أعداء الإنسانية في قصوته وريبه.

كُـلَّـمَـا أَنْـبـتَ الـزمـانُ قـنـاةً

رَكَّـبَ الـمـرءُ فـي الـقـنـاةِ سـنـانـا

وهذا البيت سبق لي ان شرحتهُ وخالفت فيه بعد شراح له في دوان المتنبي وسأنقل شرحه السابق نصاً من نظرة تأملية من كتابي من ذاكرت التاريخ لا يزال مخطوطٌ. وتعليقي أو بالأحرى مخالفتي لشراح ديوان المتنبي في هذا البيت حيث

كان شرحهم بالنص وبالحرف الواحد كما يلي: القناة: عود الرماح والسنان زجه الذي يطعن به. يقول: إذا انتدب الزمان للإساءة بما جبل عليه صارت عداوة العادي مدداً لقصده نحوك، فجعل «القناة» مثلاً لما في طبع الزمان وجعل «السنان» مثلاً للعداوة، وعبارة ابن جني ونقلها الخطيب التبريزي: الزمان إذا أنبت قناة إنما ينبتها بالطبع ولا يشعر لأي شيء تصلح فيتكلف بنو آدم اتخاذ القناة توصلاً إلى هلاك النفوس، فالزمان يفعل ولا يشعر ما يراد به (ص ٣٧١، ٣٧٢) من المجلد الثاني الجزء الرابع شرح الأستاذ عبد الرحمن البرقوقي طبع دار الكتاب العربي لبنان.

ومفهوم هذا البيت لديَّ مغاير لمفهوم هذا الشرح التاريخي الذي مر عليه ردحٌ من الزمن ولعل الزمن يفسر لنا بعض الغوامض والذي أقرأه من وراءِ هذه الصورة التي يؤلف منها هذا البيت حسب ما أخذ فهمي من هذه الأحرف التي تترجم ما وراء الكلمات من معاني.

إنَّ الإنسان في هذه الحياة يتجدد، ويتطور مع الحياة فهو يواكبها في سيرها المغذ الطويل، فالمثل (الاختراع وليد الحاجة)، والشاعر يشير إلى هذه الصورة وهذا المثل الذي لا يزال يواكب الإنسان في تطوره العلمي والفكري، فكلما مر الزمن بمتطلباته وإحساسه المُلِّحُ بقضايا المرء التي يعيش بها

ويرفه عن نفسه في هذه الحياة الفانية فعندما ينبت الزمان حاجةً ملحة يحتاجها المرء يخترع لها الإنسان ما يسد تلك الفجوة، ويستغني بها عن ذلك النقص، وبشرح أوضح كلما أنبت الزمان فراغاً ملئ ذلك الفراغ فكر الإنسان بشيء جديد وكلما تولدَّ في الزمن نقص في حاجة البشر أكمل الإنسان ذلك النقص من تفكيره واختراعاته فيضيف له ما يسد به حاجة الإنسان من سلمٍ أو حرب أو راحة أو شقاء، فتأمل معي:

كُـلَّـمَـا أَنْـبـتَ الـزمـانُ قـنـاةً

رَكَّـبَ الـمـرءُ فـي الـقـنـاةِ سـنـانـا

أي أن الزمن ينبتُ الفجوات أو الشجر التي منها يُركِّب المرء ما يستعين به على تغطية حاجاته في هذه الدنيا.

هذا ما وصل إليه فهمي من هذه القراءة ومفهوم هذه المقولة في هذا البيت المشار إليه، ولا أدَّعي أنني أصبتُ دنيا الواقع ولكنَّ للمفكر حرية الرأي، وما يلهمه خالقه من هذه النعمة التي تفضل عليه فميزه على سائر المخلوقات الكونية بالعقل، والعقل هو من صنع الله ومن تفضله على هذه البشرية.

﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ﴾.

ويهون على البشرية التطاحن والتعادي من أجل حطام دنيٌ

لا تبقى ولا يبقى صاحبها فمراد النفوس أكبر من يتعادى فيها الأخ مع أخيه أو يتفانى لا في موقف واحد عندما يلاقي الشخص الهوان أي الذل، فلعيش يعود مريراً ويختار الفتى ان يلاقي المنايا كالحات ولا يلقى الهوانا، وأخذ الشاعر العملاق يدرب امثالاً في موت البطل الشجاع بالعز لا بالهوان كميتة الجبان الرعديد، لأن الحياة لا تبقى لحيّ لو كانت تبقى لعددنا اضلنا الشجعان فإذا البد من الموت فالعاجزُ هو الجبان الخائر ويختم المتنبي هذه القطعة الفنية المأساوية الفنية لم يلحق شاعرها كثيرة من الشعراء القدامى والذين في عاصر المتنبي كثر شعرهم قصروه على المدح والفخر ورثاء والهجاء بينما هذه القطعة هي احاسيس وألم جسدها المتنبي في كل حرف يصور ما ورائه من معانٌ ويختمها بخاتمة فيها زخمٌ وبلغةٌ قلَ مثلها وبحكمٌ فكل صعبٌ هو سهلٌ عندما يقع في الانفس أي صعب قبل ان يقع في الانفس فإذا وقع في الانفس اصبح سهلٌ في تلك النفس تنهض به وتتحمله وهذه من الحكم البليغة.

حتام نحنُ

حتام نحنُ نسارِي النجمَ في الظلمِ

ومـا سَـراهُ عـلـى خـفٍ ولا قـدمِ

ولا يـحـسُ بـأجـفـانٍ يـحـسُ بـهـا

فـقْـد الـرقـادِ غـريـبٌ بـاتَ لـم يـنـمِ

تـسـودُ الـشـمـسُ منـا بيضَ أوجـهـنَا

ولا تـسـودُ بـيـضَ الـعـذرِ والـلـمـمِ

وكـانَ حـالـهـماَ في الـحـكـمِ واحـدةً

لـو احـتـكـمـنَـا مـنَ الـدنـيـا إلـى حـكـمِ

ونـتـركُ الـمـاءَ لا يـنـفـكُّ مـن سـفـرٍ

مـا سـارَ فـي الـغـيـمِ منـهُ سـار في الأدمِ

لا أبـغـضُ الـعـيـسَ لـكـنـي وقـيـتُ بـهـا

قلبي من الحزنِ أو جسمي من السقمِ

طـردتُ مـن مـصـرَ أيـديـهَا بـأرجـلـهَا

حـتـى مـرقـنَ بـنـا مـن جـوشَ والـعـلـمِ

يـبـرى لـهــنَّ نــعــامُ الـدوِّ مــســرجــةً
تـعـارضُ الـجـدلَ الـمـرخـاةَ بـالـلـجـمِ

ونعودُ لسهراتنا مع الشاعر العملاق حكيم الشعراء أبو الطيب المتنبي الذي اقتبس حكمتهُ من سماء نهج البلاغة الذي هو في ذروة الفكر والادب وصاحبه أفصح الفصحاء لا أحد يصلُ لهذه الافق وهو يجيء بعد القرآن وبعد كلام الرسول خاتم الأنبياء ﷺ، فالذي يقرأه في تدبر وتأمل يخرج من قراءته بهذه النتيجة فنعود لسهرتنا مع المتنبي وندوتنا الليلة مع مقطع قصيدة حتام نحن فنخاطبه من وراء جدار التاريخ ان يتحدث لنا أو نحادثه أو نناقشه في مقطع من قصيدة حتام نحن.

فنفتتح سهرتنا فنخاطب المتنبي فنقول له كنت تقطع الصحارى الملتهبة تحت أشعة الشمس نهاراً ويأكلك البرد ليلاً وصورتها تصويراً رهيباً مخيفاً في أواخر هذا المقطع، ولكننا نبدأ بقولك كيف نساير النجم في الليل المظلم والنجمُ لا يسير على قدمٍ كالبشر ولا على خفٍ كالإبل فلا نستطيع مسايرته ولا نلحق به، والنجم لا يكل ولا يمل، وأوضح هذا المعنى في البيتَ الثاني وأريد أن أعلق على هذا الرأي فنجم لم يزل ولا يزال علامة السير على ضوئه في البر والبحر وفي الجو والآية الكريمة تشير إلى ذلك (علامة وبالنجم هم يهتدون)

والنجمُ ليس له جفنٌ يحس بسهر الليل وطوله وعناءه ويتألمُ لفقد الرقاد والغربة تزيده عناءً على عناء فهو لا ينامُ ولا يؤثر عليه طول السهر والسير.

فالشمس الملتهبة تحول وجوههم إلى سواد دامس وليس لها تأثيرٌ على تسويد العذار وتلوينهما لانهما ابيضان، وأشار المتنبي إلى حكمة خالق الشمس لأن الشمس تسود الوجه فقط ولا تجعل الشعر اسوداً ولو تحاكمنا لحكمٍ من اهل الدنيا لحكم بتسويد الوجه والشعر ولكن الشمس تتحرك وتسير بأوامر إلهية عن حكمةٍ ودقه لا تبلغ أسرارها.

وهذا البيت يشيرُ إلى السير في الصحارى لأنها يبيسٌ لا ماء فيها فالماء إما في السحابِ فتملأ منها الأواني أو في القرب المحمولة على ظهور الإبل. ويقول المتنبي إن الإبل هي سفن الصحراء في ذلك العصر فسيري عليها ليس بغضٌ مني وإنما أسير عليها لمنافع لأنها تقي جسمي من السقم أو تفرحُ قلبي من الحزن لأن السفر فيه فوائدٌ كثر. ويصف المتنبي خروجه من مصر عندما ضرب عليه كافور سوراً من المراقبة حتى لا يخرج من مصر خشية من هجاء المتنبي له، لأن هجاءه سلاحٍ فتاك ولو ظفر به لكان حكمه القتل فهو يصف نجاتهُ ونجاحها فعبر عنها بالمروق كما يمرق السهم من راميه وكيف سير الإبل وحثيثهُ لها وسرعتها فوصف ايديها

وأرجلها في حدة السير حتى خرج عن طريق العلم والظاهر أن آخر حدود مصر البرية المتاخمة لصحراء ليبيا ولا زال يصف السير فيصف كيف تتبارى الخيل والابل في السير وكانا يسيرا جنباً إلى جنب إلى آخر وصفه للخيل والإبل.

لا تشيب بشيبه

وفي الجسمِ نفس لا تشيب بشيبه

ولو أن ما في الوجه منه حرابُ

لها ظُفُرٌ إن كل ظفرٌ أعِدهُ

ونابَ اذا لم يبق في الفم نابُ

يُغَيرُ مني الدهر ما شاء غيرها

وأبلغ أقصى العُمر وهي كعابُ

وإني لنجم تهتدي صحبتي به

إذا حال من دون النجوم سحابُ

غنيّ عن الأوطان لا يستخفُّني

الى بلد سافرت عنه أيابُ

وعن ذملان العِيسِ إنْ سامَحتْ بهِ

وإلا ففي أكوارهن عقابُ

وأصْدى فلا أُبْدي إلى الماء حاجةً

وللشمس فوق اليعملات لعابُ

وللسرّ مني موضعٌ لا يناله
نديم ولا يُفضي إليه شرابُ
وللخَوْد مني ساعة ثم بيننا
فلاة إلى غير اللقاء تجابُ
وما العشق إلاّ غرّةٌ وطماعةٌ
يعرض قلب نفسه فيصابُ

ونعود لنسهر مع المتنبي لقد اطلنا معه الثمر والحديث ولكنه حديث لا يمل ولا يسأم منه لأن حديث المتنبي أكثر ما يكون في اول قصيدته يصور فيها خلجات النفوس وبعضاً من أسرار الحياة ولو قصر شعره على المدح أو الهجاء لما كان المتنبي كما هو اليوم يتنفس معنا الأوكسجين ويعيش معنا، فندخل محراب شعره فهو يصف نفسه في جسم يهرمُ ويشيب ويضعف، فروحه لا تشيبُ برغم علامات الضعف والوهن التي بدت حرابها على خطوط قسمات وجهه.

ويعتدُ بنفسه عندما وهن جسمه فيقول إن لروحه لها ضُفرٌ أي أنياب يستطيع استعمالها إذا خلا فمه من كل ناب.

فمهما قسى عليه الدهرُ فهو يستطيعُ يغير منه كل شيءٍ الا روحه فيبلغ من العمرُ أقصاه ولكن روحه لا تزالُ شابةٌ كاعبةٌ.

ويفخر بنفسه حتى يصفُ عندما يغطي السحاب النجوم فهو

نجم يضيء الطرق لأصحابه ويهتدون به في سيرهم بدل النجوم.

ويبدو له رأي في الأوطان لا ينسجمُ مع طبيعة الإنسان الأول فهو لا يحن لوطنه الأول الذي هو اول من لاصق جسمه ترابه فكل وطنٍ يذهب له فهو يعتبره وطناً له ولا يحنُ إلى إيابه فجميع الاوطان هي وطنه.

كما في وصفه ملخص البيت الذملان ضرب من سيرالابل فهو يقول ان حصلت له الابلُ سار عليها واستقر في الكور على ظهرها أي الهودج الذي يستريح داخلها الراكب من قرّ الصحراء وحرها واذا لم تحصل له الابل فغير محتاج لها مثل طير العقاب يجوب الصحارى والقفار بدون أي واسطة للسير وهذا الرأي هو أقرب لسخف من الشعر وإني لأعجبُ من الشاعر العملاق الكبير كيف ضمن بيته هذا المعنى ولكن الإنسان ناقص ومعرض للخطأ.

ويصف الشاعر العملاق الكبير صبره عندما يأخذ منه العطش مأخذه وهو على ظهر الإبل في ظل الظهيرة القائظة ولعاب الشمسُ يغطيه ويغطي الابل التي يسير عليها وهو ظمآنٌ لا يحاول أن يشرب قطرة من الماء ليرتوي بها من ظمأه حذراً من قطاع الطريق أو من آفات الصحارى.

ويعود المتنبي فيصف نفسِه أنه يتمتع بأخلاق فاضلة بحيث لا يبيح بأسرار أصدقائه وإخوانه حتى لندمانه الذين يشربون معه الكأس برغم تأثير الكأس وسريانها.

وإن الخود الفتاة لها منه ساعة يتمتع بها ثم يسافر عنها من فلاة إلى فلاة أخرى إلى لقاء ممدوحة لا التي تركها وقد أشيع وأذيع عنه في التاريخ أنه ليس بغزلٍ وإنما هو معزاتٌ يعيشُ على متن الاسفار بعيداً عن الخود وهذا يترجمُ ما كتبه عنه بعض المؤرخين.

سورة والنازعات

بسم الله الرحمن الرحيم

هذه سورة والنازعات نقلنا تفسيرها من الميزان حرفياً للعلامة الطباطبائي رحمه الله وقدس الله روحه، المجلد رقم ٢٠ صفحه (١٩٥ إلى ٢١٧).

﴿وَٱلنَّٰزِعَٰتِ غَرۡقٗا (١) وَٱلنَّٰشِطَٰتِ نَشۡطٗا (٢) وَٱلسَّٰبِحَٰتِ سَبۡحٗا (٣) فَٱلسَّٰبِقَٰتِ سَبۡقٗا (٤) فَٱلۡمُدَبِّرَٰتِ أَمۡرٗا (٥) يَوۡمَ تَرۡجُفُ ٱلرَّاجِفَةُ (٦) تَتۡبَعُهَا ٱلرَّادِفَةُ (٧) قُلُوبٞ يَوۡمَئِذٖ وَاجِفَةٌ (٨) أَبۡصَٰرُهَا خَٰشِعَةٞ (٩) يَقُولُونَ أَءِنَّا لَمَرۡدُودُونَ فِي ٱلۡحَافِرَةِ (١٠) أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمٗا نَّخِرَةٗ (١١) قَالُواْ تِلۡكَ إِذٗا كَرَّةٌ خَاسِرَةٞ (١٢) فَإِنَّمَا هِيَ زَجۡرَةٞ وَٰحِدَةٞ (١٣) فَإِذَا هُم بِٱلسَّاهِرَةِ (١٤) هَلۡ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ (١٥) إِذۡ نَادَىٰهُ رَبُّهُۥ بِٱلۡوَادِ ٱلۡمُقَدَّسِ طُوًى (١٦) ٱذۡهَبۡ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ (١٧) فَقُلۡ هَل لَّكَ إِلَىٰٓ أَن تَزَكَّىٰ (١٨) وَأَهۡدِيَكَ إِلَىٰ رَبِّكَ فَتَخۡشَىٰ (١٩) فَأَرَىٰهُ ٱلۡأٓيَةَ ٱلۡكُبۡرَىٰ (٢٠) فَكَذَّبَ وَعَصَىٰ (٢١) ثُمَّ أَدۡبَرَ يَسۡعَىٰ (٢٢) فَحَشَرَ فَنَادَىٰ (٢٣) فَقَالَ أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلۡأَعۡلَىٰ (٢٤) فَأَخَذَهُ ٱللَّهُ نَكَالَ ٱلۡأٓخِرَةِ وَٱلۡأُولَىٰٓ (٢٥) إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبۡرَةٗ لِّمَن يَخۡشَىٰٓ (٢٦) ءَأَنتُمۡ أَشَدُّ خَلۡقًا أَمِ ٱلسَّمَآءُۚ بَنَىٰهَا (٢٧) رَفَعَ سَمۡكَهَا فَسَوَّىٰهَا (٢٨) وَأَغۡطَشَ لَيۡلَهَا وَأَخۡرَجَ ضُحَىٰهَا (٢٩) وَٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ

ذَٰلِكَ دَحَىٰهَآ ﴿٣٠﴾ أَخْرَجَ مِنْهَا مَآءَهَا وَمَرْعَىٰهَا ﴿٣١﴾ وَٱلْجِبَالَ أَرْسَىٰهَا ﴿٣٢﴾ مَتَٰعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَٰمِكُمْ ﴿٣٣﴾ فَإِذَا جَآءَتِ ٱلطَّآمَّةُ ٱلْكُبْرَىٰ ﴿٣٤﴾ يَوْمَ يَتَذَكَّرُ ٱلْإِنسَٰنُ مَا سَعَىٰ ﴿٣٥﴾ وَبُرِّزَتِ ٱلْجَحِيمُ لِمَن يَرَىٰ ﴿٣٦﴾ فَأَمَّا مَن طَغَىٰ ﴿٣٧﴾ وَءَاثَرَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿٣٨﴾ فَإِنَّ ٱلْجَحِيمَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٣٩﴾ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٤١﴾ ﴾.

بيان:

في السورة أخبار مؤكدة بوقوع البعث والقيامة، واحتجاج عليه من طريق التدبير الربوبي المنتج أن الناس سينقسمون يومئذ طائفتين أصحاب الجنة وأصحاب الجحيم وتختتم السورة بالإشارة إلى سؤالهم النبي ﷺ عن وقت قيام الساعة والجواب عنه.

والسورة مكية بشهادة سياق آياتها.

قوله تعالى: ﴿وَٱلنَّٰزِعَٰتِ غَرْقًا * وَٱلنَّٰشِطَٰتِ نَشْطًا * وَٱلسَّٰبِحَٰتِ سَبْحًا * فَٱلسَّٰبِقَٰتِ سَبْقًا * فَٱلْمُدَبِّرَٰتِ أَمْرًا﴾ اختلف المفسرون في تفسير هذه الآيات الخمس اختلافاً عجيباً مع اتفاقهم على أنها إقسام، وقول أكثرهم بأن جواب القسم محذوف، والتقدير أقسم بكذا وكذا لتبعثن.

فقوله: ﴿وَٱلنَّٰزِعَٰتِ غَرْقًا﴾ قيل: المراد بها ملائكة الموت تنزع الأرواح من الأجساد، و«غرقا» مصدر مؤكد بحذف الزوائد أي إغراقاً وتشديداً في النزع.

وقيل: المراد بها الملائكة الذين ينزعون أرواح الكفار من أجسادهم بشدة، وقيل: هو الموت ينزع الأرواح من الأبدان نزعاً بالغاً.

وقيل: المراد بها النجوم تنزع من أفق لتغيب في أفق أي تطلع من مطالعها لتغرب في مغاربها، وقيل: المراد بها القسي تنزع بالسهم أي تمد بجذب وترها إغراقاً في المد فالإقسام بقسي المجاهدين في سبيل الله أو بالمجاهدين أنفسهم، وقيل: المراد بها الوحش تنزع إلى الكلإ.

وقوله: ﴿وَٱلنَّٰشِطَٰتِ نَشۡطًا﴾ النشط الجذب والخروج والإخراج برفق وسهولة وحل العقدة، قيل: المراد بها الملائكة الذين يخرجون الأرواح من الأجساد، وقيل المراد بها خصوص الملائكة يخرجون أرواح المؤمنين من أجسادهم برفق وسهولة، كما أن المراد بالنازعات غرقاً الملائكة الذين ينزعون أرواح الكفار من أجسادهم.

وقيل: هم الملائكة الذين ينشطون أرواح الكفار من أجسادهم، وقيل: المراد بها أرواح المؤمنين أنفسهم، وقيل: هي النجوم تنشط وتذهب من أفق إلى أفق، وقيل: هي السهام تنشط من قسيها في الغزوات، وقيل: هو الموت ينشط ويخرج الأرواح من الأجساد، وقيل: هي الوحش تنشط من قطر إلى قطر.

وقوله: ﴿وَٱلسَّٰبِحَٰتِ سَبۡحٗا﴾ قيل: المراد بها الملائكة تقبض الأرواح فتسرع بروح المؤمن إلى الجنة وبروح الكافر إلى النار، والسبح الإسراع في الحركة كما يقال للفرس سابح إذا أسرع في جريه، وقيل: المراد بها الملائكة يقبضون أرواح المؤمنين يسلونها من الأبدان سلاً رفيقاً ثم يدعونها حتى يستريح كالسابح بالشيء في الماء يرمي، وقيل: هي الملائكة ينزلون من السماء مسرعين، وقيل: هي النجوم تسبح في فلكها كما قال تعالى: ﴿وَكُلّٞ فِي فَلَكٖ يَسۡبَحُونَ﴾.

وقيل: هي خيل الغزاة تسبح في عدوها وتسرع، وقيل: هي المنايا تسبح في نفوس الحيوان، وقيل: هي السفن تسبح في المياه، وقيل: السحاب، وقيل: دواب البحر.

وقوله: ﴿فَٱلسَّٰبِقَٰتِ سَبۡقٗا﴾ قيل المراد بها مطلق الملائكة لأنها سبقت ابن آدم بالخير والإيمان والعمل الصالح، وقيل ملائكة الموت تسبق بروح المؤمن إلى الجنة وبروح الكافر إلى النار، وقيل الملائكة القابضون لروح المؤمن تسبق بها إلى الجنة، وقيل، ملائكة الوحي تسبق الشياطين بالوحي إلى الأنبياء، وقيل أرواح المؤمنين تسبق إلى الملائكة التي يقبضونها شوقاً إلى لقاء الله سبحانه، وقيل هي النجوم تسبق بعضها بعضاً في السير، وقيل هي خيل الغزاة تسبق بعضها بعضاً في الحرب، وقيل هي المنايا تسبق الآمال.

وقوله: ﴿فَٱلْمُدَبِّرَٰتِ أَمْرًا﴾ قيل: المراد بها مطلق الملائكة المدبرين للأمور، كذا فسر الأكثرون حتى ادّعى بعضهم اتفاق المفسرين عليه، وقيل المراد بها الملائكة الأربعة المدبرون لأمور الدنيا: جبرائيل وميكائيل وعزرائيل وإسرافيل، فجبرائيل يدبر أمر الرياح والجنود والوحي، وميكائيل يدبر أمر القطر والنبات، وعزرائيل موكل بقبض الأرواح، وإسرافيل يتنزل بالأمر عليهم وهو صاحب الصور، وقيل: إنها الأفلاك يقع فيها أمر الله فيجري بها القضاء في الدنيا.

وهناك قول بأن الإقسام في الآيات بمضاف محذوف والتقدير ورب النازعات نزعاً إلخ.

وأنت خبير بأن سياق الآيات الخمس سياق واحد متصل متشابه الأجزاء لا يلائم كثيراً من هذه الأقوال القاضية باختلاف المعاني المقسم بها ككون المراد بالنازعات الملائكة القابضين لأرواح الكفار، وبالناشطات الوحش، وبالسابحات السفن، وبالسابقات المنايا تسبق الآمال وبالمدبرات الأفلاك. مضافاً إلى أن كثيراً منها لا دليل عليها من جهة السياق إلا مجرد صلاحية اللفظ بحسب اللغة للاستعمال فيه أعم من الحقيقة والمجاز.

على أن كثيراً منها لا تناسب سياق آيات السورة التي تذكر يوم البعث وتحتج على وقوعه على ما تقدم في سورة

المرسلات من حديث المناسبة بين ما في كلامه تعالى من الإقسام وجوابه.

والذي يمكن أن يقال ـ والله أعلم ـ أن ما في هذه الآيات من الأوصاف المقسم بها يقبل الانطباق على صفات الملائكة في امتثالها للأوامر الصادرة عليهم من ساحة العزة المتعلقة بتدبير أمور هذا العالم المشهود ثم قيامهم بالتدبير بإذن الله.

والآيات شديدة الشبه سياقاً بآيات مفتتح سورة الصافات: ﴿وَالصَّافَّاتِ صَفًّا * فَالزَّاجِرَاتِ زَجْرًا * فَالتَّالِيَاتِ ذِكْرًا﴾ وآيات مفتتح سورة المرسلات: ﴿وَالْمُرْسَلَاتِ عُرْفًا * فَالْعَاصِفَاتِ عَصْفًا * وَالنَّاشِرَاتِ نَشْرًا * فَالْفَارِقَاتِ فَرْقًا * فَالْمُلْقِيَاتِ ذِكْرًا﴾ وهي تصف الملائكة في امتثالهم لأمر الله غير أنها تصف ملائكة الوحي، والآيات في مفتتح هذه السورة تصف مطلق الملائكة في تدبيرهم أمر العالم بإذن الله.

ثم إن أظهر الصفات المذكورة في هذه الآيات الخمس في الانطباق على الملائكة قوله: ﴿فَالْمُدَبِّرَاتِ أَمْرًا﴾ وقد أطلق التدبير ولم يقيد بشيء دون شيء فالمراد به التدبير العالمي بإطلاقه، وقوله «أمرا» تمييز أو مفعول به للمدبرات ومطلق التدبير شأن مطلق الملائكة فالمراد بالمدبرات مطلق الملائكة.

وإذ كان قوله: ﴿فَالْمُدَبِّرَاتِ أَمْرًا﴾ مفتتحا بفاء التفريع الدالة على تفرع صفة التدبير على صفة السبق، وكذا قوله:

﴿فَٱلسَّٰبِقَٰتِ سَبۡقًا﴾ مقرونا بفاء التفريع الدالة على تفرع السبق على السبح دل ذلك على مجانسة المعاني المرادة بالآيات الثلاث: ﴿وَٱلسَّٰبِحَٰتِ سَبۡحًا * فَٱلسَّٰبِقَٰتِ سَبۡقًا * فَٱلۡمُدَبِّرَٰتِ أَمۡرًا﴾ فمدلولها أنهم يدبرون الأمر بعدما سبقوا إليه ويسبقون إليه بعدما سبحوا أي أسرعوا إليه عند النزول فالمراد بالسابحات والسابقات هم المدبرات من الملائكة باعتبار نزولهم إلى ما أمروا بتدبيره.

فالآيات الثلاث في معنى قوله تعالى: ﴿لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٌ مِّنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَمِنۡ خَلۡفِهِۦ يَحۡفَظُونَهُۥ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِۗ﴾ (الرعد: ١١) على ما تقدم من توضيح معناه فالملائكة ينزلون على الأشياء وقد تجمعت عليها الأسباب وتنازعت فيها وجوداً وعدماً وبقاءً وزوالاً وفي مختلف أحوالها فما قضاه الله فيها من الأمر وأبرم قضاءه أسرع إليه الملك المأمور به ـ بما عين له من المقام ـ وسبق غيره وتمم السبب الذي يقتضيه فكان ما أراده الله فافهم ذلك.

وإذا كان المراد بالآيات الثلاث الإشارة إلى إسراع الملائكة في النزول على ما أمروا به من أمر وسبقهم إليه وتدبيره تعين حمل قوله: ﴿وَٱلنَّٰزِعَٰتِ غَرۡقًا * وَٱلنَّٰشِطَٰتِ نَشۡطًا﴾ على انتزاعهم وخروجهم من موقف الخطاب إلى ما أمروا به فنزعهم غرقاً شروعهم في النزول نحو المطلوب بشدة وجد، ونشطهم خروجهم من موقفهم نحوه كما أن سبحهم إسراعهم

إليه بعد الخروج ويتعقب ذلك سبقهم إليه وتدبير الأمر بإذن الله.

فالآيات الخمس أقسام بما يتلبس به الملائكة من الصفات عندما يؤمرون بتدبير أمر من أمور هذا العالم المشهود من حين يأخذون في النزول إليه إلى تمام التدبير.

وفيها إشارة إلى نظام التدبير الملكوتي عند حدوث الحوادث كما أن الآيات التالية أعني قوله: «هل أتاك» إلخ إشارة إلى التدبير الربوبي الظاهر في هذا العالم.

وفي التدبير الملكوتي حجة على البعث والجزاء كما أن في التدبير الدنيوي المشهود حجة عليه على ما سيوافيك إن شاء الله بيانه.

هذا ما يعطيه التدبر في سياق الآيات الكريمة ويؤيده بعض التأييد ما سيأتي من الأخبار في البحث الروائي الآتي إن شاء الله.

كلام في أن الملائكة وسائط في التدبير:

الملائكة وسائط بينه تعالى وبين الأشياء بدءاً وعوداً على ما يعطيه القرآن الكريم بمعنى أنهم أسباب للحوادث فوق الأسباب المادية في العالم المشهود قبل حلول الموت والانتقال إلى نشأة الآخرة وبعده.

أما في العود أعني حال ظهور آيات الموت وقبض الروح وإجراء السؤال وثواب القبر وعذابه وإماتة الكل بنفخ الصور وإحيائهم بذلك والحشر وإعطاء الكتاب ووضع الموازين والحساب والسوق إلى الجنة والنار فوساطتهم فيها غني عن البيان، والآيات الدالة على ذلك كثيرة لا حاجة إلى إيرادها، والأخبار المأثورة فيها عن النبي ﷺ وأئمة أهل البيت عليهم السلام فوق حد الإحصاء.

وكذا وساطتهم في مرحلة التشريع من النزول بالوحي ودفع الشياطين عن المداخلة فيه وتسديد النبي وتأييد المؤمنين وتطهيرهم بالاستغفار.

وأما وساطتهم في تدبير الأمور في هذه النشأة فيدل عليها ما في مفتتح هذه السورة من إطلاق قوله: ﴿وَٱلنَّٰزِعَٰتِ غَرۡقٗا * وَٱلنَّٰشِطَٰتِ نَشۡطٗا * وَٱلسَّٰبِحَٰتِ سَبۡحٗا * فَٱلسَّٰبِقَٰتِ سَبۡقٗا * فَٱلۡمُدَبِّرَٰتِ أَمۡرٗا﴾ بما تقدم من البيان.

وكذا قوله تعالى: ﴿جَاعِلِ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا أُوْلِيٓ أَجۡنِحَةٖ مَّثۡنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَۚ﴾ (فاطر: ١) الظاهر بإطلاقه ـ على ما تقدم من تفسيره ـ في أنهم خلقوا وشأنهم أن يتوسطوا بينه تعالى وبين خلقه ويرسلوا لإنفاذ أمره الذي يستفاد من قوله تعالى في صفتهم: ﴿بَلۡ عِبَادٞ مُّكۡرَمُونَ ٢٦ لَا يَسۡبِقُونَهُۥ بِٱلۡقَوۡلِ وَهُم بِأَمۡرِهِۦ يَعۡمَلُونَ ٢٧﴾ (الأنبياء: ٢٧)، وقوله: ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوۡقِهِمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ﴾ (النحل: ٥٠) وفي جعل الجناح لهم إشارة ذلك.

فلا شغل للملائكة إلا التوسط بينه تعالى وبين خلقه بإنفاذ أمره فيهم وليس ذلك على سبيل الاتفاق بأن يجري الله سبحانه أمرا بأيديهم ثم يجري مثله لا بتوسيطهم فلا اختلاف ولا تخلف في سنته تعالى: ﴿إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ (هود: ٥٦)، وقال ﴿فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَحْوِيلًا﴾ (فاطر: ٤٣).

ومن الوساطة كون بعضهم فوق بعض مقاماً وأمر العالي منهم السافل بشيء من التدبير فإنه في الحقيقة توسط من المتبوع بينه تعالى وبين تابعه في إيصال أمر الله تعالى كتوسط ملك الموت في أمر بعض أعوانه بقبض روح من الأرواح، قال تعالى حاكياً عن الملائكة: ﴿وَمَا مِنَّآ إِلَّا لَهُۥ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ﴾ (الصافات: ١٦٤)، وقال: ﴿مُّطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ﴾ (التكوير: ٢١)، وقال: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ قَالُوا۟ مَاذَا﴾ (سبأ: ٢٣)، و لا ينافي هذا الذي ذكر من توسطهم بينه تعالى وبين الحوادث أعني كونهم أسباباً تستند إليها الحوادث استناد الحوادث إلى أسبابها القريبة المادية فإن السببية طولية لا عرضية أي إن السبب القريب سبب للحادث والسبب البعيد سبب للسبب.

كما لا ينافي توسطهم واستناد الحوادث إليهم استناد الحوادث إليه تعالى وكونه هو السبب الوحيد لها جميعاً على ما يقتضيه توحيد الربوبية فإن السببية طولية كما سمعت لا

عرضية ولا يزيد استناد الحوادث إلى الملائكة استنادها إلى أسبابها الطبيعية القريبة وقد صدق القرآن الكريم استناد الحوادث إلى الحوادث الطبيعية كما صدق استنادها إلى الملائكة.

وليس لشيء من الأسباب استقلال قباله تعالى حتى ينقطع عنه فيمنع ذلك استناد ما استند إليه إلى الله سبحانه على ما يقول به الوثنية من تفويضه تعالى تدبير الأمر إلى الملائكة المقربين فالتوحيد القرآني ينفي الاستقلال عن كل شيء من كل جهة: لا يملكون لأنفسهم نفعاً ولا ضراً ولا موتاً ولا حياةً ولا نشوراً.

فمثل الأشياء في استنادها إلى أسبابها المترتبة القريبة والبعيدة وانتهائها إلى الله سبحانه بوجه بعيد كمثل الكتابة يكتبها الإنسان بيده وبالقلم فللكتابة استناد إلى القلم ثم إلى اليد التي توسلت إلى الكتابة بالقلم، وإلى الإنسان الذي توسل إليها باليد وبالقلم، والسبب بحقيقة معناه هو الإنسان المستقل بالسببية من غير أن ينافي سببيته استناد الكتابة بوجه إلى اليد وإلى القلم.

ولا منافاة أيضاً بين ما تقدم أن شأن الملائكة هو التوسط في التدبير وبين ما يظهر من كلامه تعالى أن بعضهم أو جميعهم مداومون على عبادته تعالى وتسبيحه والسجود له

كقوله: ﴿وَمَنْ عِندَهُۥ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ ۝١٩ يُسَبِّحُونَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ ۝٢٠﴾ (الأنبياء: ٢٠)، وقوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَيُسَبِّحُونَهُۥ وَلَهُۥ يَسْجُدُونَ﴾ (الأعراف: ٢٠٦).

وذلك لجواز أن تكون عبادتهم وسجودهم وتسبيحهم عين عملهم في التدبير وامتثالهم الأمر الصادر عن ساحة العزة بالتوسط كما ربما يومىء إليه قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ مِن دَآبَّةٍ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾ (النحل: ٤٩).

قوله تعالى: «يوم ترجف الراجفة تتبعها الرادفة» فسرت الراجفة بالصيحة العظيمة التي فيها تردد واضطراب والرادفة بالمتأخرة التابعة، وعليه تنطبق الآيتان على نفختي الصور التي يدل عليهما قوله تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ﴾ (الزمر: ٦٨).

وقيل: الراجفة بمعنى المحركة تحريكاً شديداً ـ فإن الرجف يستعمل لازماً بمعنى التحرك الشديد، ومتَعديا بمعنى التحريك الشديد ـ والمراد بها أيضاً النفخة الأولى المحركة للأرض والجبال، وبالرادفة النفخة الثانية المتأخرة عن الأولى.

وقيل: المراد بالراجفة الأرض وبالرادفة السماوات والكواكب التي ترجف وتضطرب وتنشق، وتتلاشى والوجهان لا يخلوان من بعد ولا سيما الأخير.

والأنسب بالسياق على أي حال كون قوله: ﴿يَوْمَ تَرْجُفُ﴾ إلخ ظرفاً لجواب القسم المحذوف للدلالة على فخامته وبلوغه الغاية في الشدة وهو لتبعثن، وقيل: إن «يوم» منصوب على معنى قلوب يومئذ واجفة يوم ترجف الراجفة، ولا يخلو من بعد.

قوله تعالى: ﴿قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ * أَبْصَـٰرُهَا خَـٰشِعَةٌ﴾ تنكير «قلوب» للتنويع وهو مبتدأ خبره «واجفة» والوجيف الاضطراب، و«يومئذ» ظرف متعلق بواجفة والجملة استئناف مبين لصفة اليوم.

وقوله: ﴿أَبْصَـٰرُهَا خَـٰشِعَةٌ﴾ ضمير «أبصارها» للقلوب ونسبة الأبصار وإضافتها إلى القلوب لمكان أن المراد بالقلوب في أمثال هذه المواضع التي تضاف إليها الصفات الإدراكية كالعلم والخوف والرجاء وما يشبهها هي النفوس، وقد تقدمت الإشارة إليها.

ونسبة الخشوع إلى الأبصار وهو من أحوال القلب إنما هي لظهور أثره الدال عليه في الأبصار أقوى من سائر الأعضاء.

قوله تعالى: ﴿يَقُولُونَ أَءِنَّا لَمَرْدُودُونَ فِي ٱلْحَافِرَةِ﴾ إخبار وحكاية

لقولهم في الدنيا استبعاداً منهم لوقوع البعث والجزاء وإشارة إلى أن هؤلاء الذين لقلوبهم وجيف ولأبصارهم خشوع يوم القيامة هم الذين ينكرون البعث وهم في الدنيا ويقولون كذا وكذا.

والحافرة على ما قيل ـ أول الشيء ومبتداه، والاستفهام للإنكار استبعاداً، والمعنى يقول: هؤلاء أإنا لمردودون بعد الموت إلى حالتنا الأولى وهي الحياة.

وقيل: الحافرة بمعنى المحفورة وهي أرض القبر، والمعنى أنرد من قبورنا بعد موتنا أحياء، وهو كما ترى.

وقيل: الآية تخبر عن اعترافهم بالبعث يوم القيامة، والكلام كلامهم بعد الإحياء والاستفهام للاستغراب كأنهم لما بعثوا وشاهدوا ما شاهدوا يستغربون ما شاهدوا فيستفهمون عن الرد إلى الحياة بعد الموت.

وهو معنى حسن لو لم يخالف ظاهر السياق.

قوله تعالى: ﴿أَءِذَا كُنَّا عِظَـٰمًا نَّخِرَةً﴾ تكرار للاستفهام لتأكيد الاستبعاد فلو كانت الحياة بعد الموت مستبعدة فهي مع فرض نخر العظام وتفتت الأجزاء أشد استبعاداً، والنخر بفتحتين البلى والتفتت يقال: نخر العظم ينخر نخراً فهو ناخر ونخر.

قوله تعالى: ﴿قَالُوا۟ تِلْكَ إِذًا كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ﴾ الإشارة بتلك إلى

معنى الرجعة المفهوم من قوله ﴿أَءِنَّا لَمَرْدُودُونَ فِى ٱلْحَافِرَةِ﴾ والكرة الرجعة والعطفة، وعد الكرة خاسرة إما مجاز والخاسر بالحقيقة صاحبها، أو الخاسرة بمعنى ذات خسران، والمعنى قالوا: تلك الرجعة ـ وهي الرجعة إلى الحياة بعد الموت ـ رجعة متلبسة بالخسران.

الإنسان غير باقٍ

نُعِدّ المَشرَفيّة والعوالي
وتَقْتُلُنا المَنُونُ بِلا قِتالِ
ونرْتَبِطُ السّوابِقَ مُقرَباتٍ
وما يُنْجينَ مِنْ خبَبِ اللّيالي
ومَنْ لم يَعشَقِ الدّنيا قَديماً
ولكِنْ لا سَبيلَ إلى الوِصالِ
رَماني الدّهرُ بالأرزاءِ حتى
فؤادي في غِشاءٍ مِنْ نِبالِ
فَصِرْتُ إذا أصابَتْني سهامٌ
تكَسّرَتِ النّصالُ على النّصالِ
وهانَ فَما أبالي بالرّزايا
لأنّي ما انْتَفَعتُ بأنْ أُبالي
وهذا أوّلُ النّاعينَ طُرّاً
لأوّلِ مَيْتَةٍ في ذا الجَلالِ

كـأنّ الـمَـوْتَ لـم يَـفْـجَـعْ بـنَـفْـسٍ

ولـم يَـخْـطُـرْ لـمَـخـلُـوقٍ بِـبـالِ

ونعود يا قارئي مرة أخرى لنتحدث من وراء القرون مع شاعر الإنسانية ابي الطيب المتنبي الذي يشاركنا الحياةَ فكأنهُ يعيش معنا لكثرة ما يتردد شعره على الالسن ونتمثل به في آلامنا وافراحنا وهذا الفضل فيه لسيد الوصيين وإمام المتقيين الإمام علي بن أبي طالب فقد عاش المتنبي في ظلال نهج البلاغة يتفيأ تحت ظلال شجرة الحكمة ويشربُ من ينبوع البلاغة الصافية التي لا بلاغة يفوقها إلا القرآن الكريم وخاتم الأنبياء رسول الله ﷺ، والمتنبي الحكيم الذي يضرب الأمثال الواقعية الحكمية البليغة فنبدأ معه الندوة الفكرية لنتحدث عن الامثال الحكمية والخلجات النفسية في مقطع من قصيدة:

يقول المتنبي أننا نعد السيوف والرماح لنقاتل بها الاعداء ولكنها لا تفيدنا عندما تفاجئنا المنايا وتقتلنا بدون قتال منا وهذه حكمة فيها عبر لمن اعتبر.

كما اننا نعد السوابق أي الخيول الكريمة على ابوابنا ولا نسمح بها للرعي ونتصرف فيها نعمةٌ من الله لنا لقضاء حاجتنا أو قتالنا الأعداء ولكنها لا تقينا ولا تنجينا من صروف الليالي وبلائها.

وانظر كيف يحلل المتنبي نوازع النفوس عشقهم للدنيا والعشق للدنيا ليس بحادث وإنه قديم منذُ أوجد الله سبحانه وتعالى الإنسان الأول على هذا الكوكب المسمى بالأرض وهو عشيقُ هذه الدنيا الفانية وقد توصله ويوصلها ولكن هذا الوصف لا يطول ولا يدوم وقد تموت ثلة من البشرية وهي ظامئة لأنها لم تصل لأمانيها بهذه الدنيا.

وضرب المتنبي مثالاً حياً ليؤيد به رؤيته لعشاق الدنيا فيمثل نصيب العاشق من حبيبه كنصيب من تمتع بحبيبه في النوم فاستيقظ فإذا الحلم كضباب بددته الريح ففر من يده ذلك الخيال، وحياة البشر كلها كلمحة ضوء تفتح عينك ثم لا تراها فتخبو حياتنا وأعمارنا وليس الباقي إلا الله وحده لا شريك له.

ثم يعود المتنبي فيشكوا شكاة مؤلمةٌ مفجعه حيث تراكمت عليه مصائب الدهر فرمته بالفجائع فلم تترك منه موضع إلا أصابته حتى صيرت فؤاده في غلاف من سهام فصار إذا أُصيب بسهمٍ تكسرت النصال على النصال، هذه صورةٌ رائعة في قمة البلاغة والتصوير.

والمتنبي يصف تجربته المريرة حتى هانت عليه مصائب الدهر فانتفع منها وعرف أن الحذر لا يقيه من مصائبه فانتفع لأنه لا يبالي بالمبالاة.

وهنا يختم هذا المقطع بلحن حزين فيمن ينعاه وهي المرأة الجلية مثل التي في رأيه جلبلة عظيمة في النساء حتى قال لو إن النساء كمثل هذه المرأة لفضلت النساء على الرجال، حتى اذهل الناس في مدحها فكأنهم ما خلقوا ليموتوا ولم يخطر الموت في آفاق انفسهم وهذه من المبالغة السخيفة لأن البشر يشاهد في كل صبح ومساء احباب له يسبقونه إلى المقابر ولكن الشاعر قد يبلغ به الخيال فيجنح في الآفاق أو يسف إلى السفح.

الليالي شكول

ليالِيَ بعد الظاعنين شكولُ طِوالٌ
ولـيـلُ الـعـاشـقـيـنَ طـويـلُ
يـبـن لـيَ الـبـدرَ الـذي لا أريـدهُ
وَيُـخـفـيـن بـدراً مـا إلـيـه سـبـيـلُ
ومـا عـشـتُ مـن بـعـد الأحـبـةِ سـلـوةً
وَلَـكِـنـنـي لـلـنّـائـبـاتِ حـمـولُ
وأن رحـيـلاً واحـداً حـال بـيـنَـنَـا
وَفي المَوت منْ بعد الرّحيلِ رحيلُ
إذا كـان شـم الـرَّوح أدنـى إلـيـكُـمُ
فَـلا بَـرِحَـتْـنـي رَوْضَـةٌ وقـبُـولُ
وَمـا شَـرَقـي بـالـمـاءِ إلا تـذكـراً
لـمَـاءٍ بـهِ أهْـلُ الـحَـبـيـبِ نُـزُولُ
يحرمه لمعُ الأسنةَ فوقه

ونعود ونتحاور مع الشاعر العملاق الكبير المتنبي في مقطع

من قصيدة وهذا الشاعر يرسم الحياة في صورةٍ متحركةٍ يجسد فيها خلجات الإنسان وخطراته حتى كأنكَ تشاهد ما يمرُ عليه في ويلاته وبلائه ويفتتح هذه القصيدة بأن لياليه طوال بعد ان ابتعد احبابه عنه فتتشكل له تلك الليالي بألوان أطياف الحزن المخيفة لأن ليالي العاشق مضطربة فالعاشقُ هو مسمر الاجفان مسهد كالنجوم على مجمر الهجر والحرمان فهي تسفر له تلك الليالي عن بدر السماء وهو لا يريده وتخفي عنه بدراً ليس له سبيلٌ في لقياه.

ويعلل شاعرنا الكبير بقائه بعد فراق أحبابه أنه لم يسليهم ولم يتناساهم ولكنه حمول وصبور لتلك المصائب والبلايا.

والمتنبي يوغل في التصوير فيصور ان الفراق هو رحيل واحدٌ مؤمل فيه اللقاء مادام الإنسان يعيشُ على هذا الكوكب ولكنه يغشى ان يسبب هذا الرحيل رحيل الموت الذي لا لقاء فيه إلا يوم يبعث الله تعالى الخلائق من القبور.

ويتسلى المتنبي شاعرنا الكبير ببقيا من روحهم وراحتهم ذكرى يتمتع بها فلا برحت هذه الروضة المعطار تمدهُ بالعطر ليعيش به بقية عمره.

ونقف نناقش الشاعر العملاق الكبير بعد أن نشرح بيته وهو يقول كل ماشرب الماء غص به لأنه يتذكر الماء الذي ضربوا

حوله احبابه اطنابهم وهذا معنىً ركيك وما ربط الماء الذي يشربه للماء الذي ضرب حوله احبابه اطنابهم لأنهم سوف يرحلون إلى ماءٍ آخر إنما تعلقه بنفس الاحباب اينما حلوا أو رحلُوا ويسمح لي امير الشعراء هذا النقذ.

ويصور لنا المتنبي امتناع الوصل لأحبائه في القرب والبعد لأن ابطال احبته احاطوا ذلك الماء بالرماح فلا سبيل للورود له لأنه محظور على الوراد وهذا تقليد جامد لا معنى له لأنه اقتفى آثار الشعراء الجاهليين وطالما رددوا هذا المعنى في أشعارهم، ويصور شاعرنا الكبير بعد جهده وتعبه من سيره في الليل والنهار في تلك الصحارى الملتهبة بوهج الشمس فيناجي النجوم السائرات ليلاً اما عندكم صباحاً ينبثق والقي العنان فاستريح في ظله فتنفض اجفاني السهرَ والوجد والحزن.

تفسير سورة والليل إذا يغشى

﴿وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَغۡشَىٰ (١) وَٱلنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ (٢) وَمَا خَلَقَ ٱلذَّكَرَ وَٱلۡأُنثَىٰٓ (٣) إِنَّ سَعۡيَكُمۡ لَشَتَّىٰ (٤) فَأَمَّا مَنۡ أَعۡطَىٰ وَٱتَّقَىٰ (٥) وَصَدَّقَ بِٱلۡحُسۡنَىٰ (٦) فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلۡيُسۡرَىٰ (٧) وَأَمَّا مَنۢ بَخِلَ وَٱسۡتَغۡنَىٰ (٨) وَكَذَّبَ بِٱلۡحُسۡنَىٰ (٩) فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلۡعُسۡرَىٰ (١٠) وَمَا يُغۡنِي عَنۡهُ مَالُهُۥٓ إِذَا تَرَدَّىٰٓ (١١) إِنَّ عَلَيۡنَا لَلۡهُدَىٰ (١٢) وَإِنَّ لَنَا لَلۡأٓخِرَةَ وَٱلۡأُولَىٰ (١٣) فَأَنذَرۡتُكُمۡ نَارٗا تَلَظَّىٰ (١٤) لَا يَصۡلَىٰهَآ إِلَّا ٱلۡأَشۡقَى (١٥) ٱلَّذِي كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ (١٦) وَسَيُجَنَّبُهَا ٱلۡأَتۡقَى (١٧) ٱلَّذِي يُؤۡتِي مَالَهُۥ يَتَزَكَّىٰ (١٨) وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ مِن نِّعۡمَةٖ تُجۡزَىٰٓ (١٩) إِلَّا ٱبۡتِغَآءَ وَجۡهِ رَبِّهِ ٱلۡأَعۡلَىٰ (٢٠) وَلَسَوۡفَ يَرۡضَىٰ (٢١)﴾

بيان:

غرض السورة الإنذار وتسلك إليه بالإشارة إلى اختلاف مساعي الناس وأن منهم من أنفق واتقى وصدق بالحسنى فسيمكنه الله من حياة خالدة سعيدة ومنهم من بخل واستغنى وكذب بالحسنى فسيسلك الله به إلى شقاء العاقبة، وفي السورة اهتمام وعناية خاصة بأمر الإنفاق المالي.

والسورة تحتمل المكية والمدنية بحسب سياقها.

قوله تعالى: ﴿وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَغۡشَىٰ﴾ إقسام بالليل إذا يغشى النهار على حد قوله تعالى: ﴿يُغۡشِي ٱلَّيۡلَ ٱلنَّهَارَ﴾ (الأعراف: ٥٤)، ويحتمل أن يكون المراد غشيانه الأرض أو الشمس.

قوله تعالى: ﴿وَٱلنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ﴾ عطف على الليل، والتجلي ظهور الشيء بعد خفائه، والتعبير عن صفة الليل بالمضارع وعن صفة النهار بالماضي حيث قيل: «يغشى» و«تجلى» تقدم فيه وجه في تفسير أول السورة السابقة.

قوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقَ ٱلذَّكَرَ وَٱلۡأُنثَىٰٓ﴾ عطف على الليل كسابقه، و«ما» موصولة والمراد به الله سبحانه وإنما عبر بما، دون من، إيثاراً للإبهام المشعر بالتعظيم والتفخيم والمعنى وأقسم بالشيء العجيب الذي أوجد الذكر والأنثى المختلفين على كونهما من نوع واحد.

وقيل: ما مصدرية والمعنى وأقسم بخلق الذكر والأنثى وهو ضعيف.

والمراد بالذكر والأنثى مطلق الذكر والأنثى أينما تحققا، وقيل: الذكر والأنثى من الإنسان، وقيل: المراد بهما آدم وزوجته حواء، وأوجه الوجوه أولها.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ سَعۡيَكُمۡ لَشَتَّىٰ﴾ السعي هو المشي السريع،

والمراد به العمل من حيث يهتم به، وهو في معنى الجمع، وشتى جمع شتيت بمعنى المتفرق كمرضى جمع مريض.

والجملة جواب القسم والمعنى أقسم بهذه المتفرقات خلقاً وأثراً أن مساعيكم لمتفرقات في نفسها وآثارها فمنها إعطاء وتقوى وتصديق ولها أثر خاص بها، ومنها بخل واستغناء وتكذيب ولها أثر خاص بها.

قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ ۝٥ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ ۝٦ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَىٰ﴾ تفصيل تفرق مساعيهم واختلاف آثارها.

والمراد بالإعطاء إنفاق المال لوجه الله بقرينة مقابلته للبخل الظاهر في الإمساك عن إنفاق المال وقوله بعد: ﴿وَمَا يُغْنِي عَنْهُ مَالُهُ إِذَا تَرَدَّىٰ﴾.

وقوله: «واتقى» كالمفسر للإعطاء يفيد أن المراد هو الإعطاء على سبيل التقوى الدينية.

وقوله: ﴿وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ﴾ الحسنى صفة قائمة مقام الموصوف والظاهر أن التقدير بالعدة الحسنى وهي ما وعد الله من الثواب على الإنفاق لوجهه الكريم وهو تصديق البعث والإيمان به ولازمه الإيمان بوحدانيته تعالى في الربوبية والألوهية، وكذا الإيمان بالرسالة فإنها طريق بلوغ وعده تعالى للثواب.

ومحصل الآيتين أن يكون مؤمناً بالله ورسوله واليوم الآخر وينفق المال لوجه الله وابتغاء ثوابه الذي وعده بلسان رسوله.

وقوله: ﴿فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَىٰ﴾ التيسير التهيئة والإعداد واليسرى الخصلة التي فيها يسر من غير عسر، وتوصيفها باليسر بنوع من التجوز فالمراد من تيسيره لليسرى توفيقه للأعمال الصالحة بتسهيلها عليه من غير تعسير أو جعله مستعداً للحياة السعيدة عند ربه ودخول الجنة بسبب الأعمال الصالحة التي يأتي بها، والوجه الثاني أقرب وأوضح انطباقاً على ما هو المعهود من مواعد القرآن.

قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَىٰ * وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَىٰ * فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَىٰ * وَمَا يُغْنِي عَنْهُ مَالُهُ إِذَا تَرَدَّىٰ﴾ البخل مقابل الإعطاء، والاستغناء طلب الغنى والثروة بالإمساك والجمع، والمراد بالتكذيب بالحسنى الكفر بالعدة الحسنى وثواب الله الذي بلغه الأنبياء والرسل ويرجع إلى إنكار البعث.

والمراد بتيسيره للعسرى خذلانه بعدم توفيقه للأعمال الصالحة، بتثقيلها عليه وعدم شرح صدره للإيمان أو إعداده للعذاب.

وقوله: ﴿وَمَا يُغْنِي عَنْهُ مَالُهُ إِذَا تَرَدَّىٰ﴾ التردي هو السقوط من مكان عال ويطلق على الهلاك فالمراد سقوطه في حفرة القبر أو في جهنم أو هلاكه.

و«ما» استفهامية أو نافية أي أيّ شيء يغنيه ماله إذا مات وهلك أو ليس يغني عنه ماله إذا مات وهلك.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَىٰ * وَإِنَّ لَنَا لَلْآخِرَةَ وَالْأُولَىٰ﴾ تعليل لما تقدم من حديث تيسيره لليسرى وللعسرى أو الإخبار به بأوجز بيان، محصله أنا إنما نفعل هذا التيسير أو نبين هذا البيان لأنه من الهدى والهدى علينا لا يزاحمنا في ذلك شيء ولا يمنعنا عنه مانع.

فقوله: ﴿إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَىٰ﴾ يفيد أن هدى الناس مما قضى سبحانه به وأوجبه على نفسه بمقتضى الحكمة وذلك أنه خلقهم ليعبدوه كما قال: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ (الذاريات: ٥٦)، فجعل عبادته غاية لخلقهم وجعلها صراطا مستقيما إليه كما قال: ﴿إِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَٰذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ﴾ (آل عمران: ٥١)، وقال: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٢﴾ صِرَاطِ اللَّهِ ﴿٥٢﴾ ﴾ (الشورى: ٥٣)، وقضى على نفسه أن يبين لهم سبيله ويهديهم إليه بمعنى إراءة الطريق سواء سلكوها أم تركوها كما قال: ﴿وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ وَمِنْهَا جَائِرٌ﴾ (النحل: ٩)، وقال: ﴿وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ﴾ (الأحزاب: ٤)، وقال: ﴿إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ * إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾ (الإنسان: ٣)، ولا ينافي ذلك قيام غيره تعالى بأمر هذا المعنى من الهدى بإذنه كالأنبياء كما قال

تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسْتَقِيمٖ﴾ (الشورى: ٥٢)، وقال: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِيۖ﴾ (يوسف: ١٠٨).

وقد تقدم لهذه المسألة بيان عقلي في مباحث النبوة في الجزء الثاني من الكتاب.

هذا في الهداية بمعنى إراءة الطريق وأما الهداية بمعنى الإيصال إلى المطلوب ـ والمطلوب في المقام الآثار الحسنة التي تترتب على الاهتداء بهدى الله والتلبس بالعبودية كالحياة الطيبة المعجلة في الدنيا والحياة السعيدة الأبدية في الآخرة ـ فمن البين أنه من قبيل الصنع والإيجاد الذي يختص به تعالى فهو مما قضى به الله وأوجبه على نفسه وسجله بوعده الحق قال تعالى: ﴿فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ﴾ (طه: ١٢٣)، وقال: ﴿وَمَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ﴾ (النحل: ٩٧)، وقال: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٖ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًاۖ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقًّاۚ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ قِيلًا﴾ (النساء: ١٢٢).

ولا ينافي انتساب هذا المعنى من الهداية إليه تعالى بنحو الأصالة انتسابه إلى غيره تعالى بنحو التبع بتخلل الأسباب بينه تعالى وبين ما ينسب إليه من الأثر بإذنه.

ومعنى الآية ـ إن كان المراد بالهدى إراءة الطريق ـ أنا إنما نبين لكم ما نبين لأنه من إراءة طريق العبودية وإراءة الطريق علينا، وإن كان المراد به الإيصال إلى المطلوب أنا إنما نيسر هؤلاء لليسرى من الأعمال الصالحة أو من الحياة السهلة الأبدية ودخول الجنة لأنه من إيصال الأشياء إلى غاياتها وعلينا ذلك.

وأما التيسير للعسرى فهو مما يتوقف عليه التيسير لليسرى ﴿لِيَمِيزَ ٱللَّهُ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ وَيَجْعَلَ ٱلْخَبِيثَ بَعْضَهُۥ عَلَىٰ بَعْضٍ فَيَرْكُمَهُۥ جَمِيعًا فَيَجْعَلَهُۥ فِى جَهَنَّمَ﴾ (الأنفال: ٣٧)، وقد قال سبحانه في القرآن الذي هو هدى للعالمين: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا﴾ (الإسراء: ٨٢).

ويمكن أن يكون المراد به مطلق الهداية أعم من الهداية التكوينية الحقيقية والتشريعية الاعتبارية ـ على ما هو ظاهر إطلاق اللفظ ـ فله تعالى الهداية الحقيقية كما قال: ﴿ٱلَّذِىٓ أَعْطَىٰ كُلَّ شَىْءٍ خَلْقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ﴾ (طه: ٥٠)، والهداية الاعتبارية كما قال: ﴿إِنَّا هَدَيْنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾ (الإنسان: ٣).

وقوله: ﴿وَإِنَّ لَنَا لَلْءَاخِرَةَ وَٱلْأُولَىٰ﴾ أي عالم البدء وعالم العود فكل ما يصدق عليه أنه شيء فهو مملوك له تعالى بحقيقة الملك الذي هو قيام وجوده بربه القيوم ويتفرع عليه الملك الاعتباري الذي من آثاره جواز التصرفات.

فهو تعالى يملك كل شيء من كل جهة فلا يملك شيء منه شيئاً فلا معارض يعارضه ولا مانع يمنعه ولا شيء يغلبه كما قال: ﴿وَٱللَّهُ يَحۡكُمُ لَا مُعَقِّبَ لِحُكۡمِهِۦۚ﴾ (الرعد: ٤١)، وقال: ﴿وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمۡرِهِۦ﴾ (يوسف: ٢١)، وقال: ﴿وَيَفۡعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ﴾ (إبراهيم: ٢٧).

قوله تعالى: ﴿فَأَنذَرۡتُكُمۡ نَارٗا تَلَظَّىٰ * لَا يَصۡلَىٰهَآ إِلَّا ٱلۡأَشۡقَى * ٱلَّذِي كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ﴾ تفريع على ما تقدم أي إذا كان الهدى علينا فأنذرتكم نار جهنم وبذلك يوجه ما في قوله: «فأنذرتكم» من الالتفات عن التكلم مع الغير إلى التكلم وحده أي إذا كان الهدى مقضية محتومة فالمنذر بالأصالة هو الله وإن كان بلسان رسوله.

وتلظى النار تلهبها وتوهجها، والمراد بالنار التي تتلظى جهنم كما قال تعالى: ﴿كَلَّآۖ إِنَّهَا لَظَىٰ﴾ (المعارج: ١٥).

والمراد بالأشقى مطلق الكافر الذي يكفر بالتكذيب والتولي فإنه أشقى من سائر من شقي في دنياه فمن ابتلي في بدنه شقي ومن أصيب في ماله أو ولده مثلاً شقي ومن خسر في أمر آخرته شقي والشقي في أمر آخرته أشقى من غيره لكون شقوته أبدية لا مطمع في التخلص منها بخلاف الشقوة في شأن من شؤون الدنيا فإنها مقطوعة لا محالة مرجوة الزوال عاجلاً.

فالمراد بالأشقى هو الكافر المكذب بالدعوة الحقة

المعرض عنها على ما يدل عليه توصيفه بقوله: ﴿ٱلَّذِى كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ﴾ ويؤيده إطلاق الإنذار، وأما الأشقى بمعنى أشقى الناس كلهم فمما لا يساعد عليه السياق البتة.

والمراد بصلي النار اتباعها ولزومها فيفيد معنى الخلود وهو مما قضى الله به في حق الكافر، قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَـٰتِنَآ أُوْلَـٰٓئِكَ أَصْحَـٰبُ ٱلنَّارِ هُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ﴾ (البقرة: ٣٩).

وبذلك يندفع ما قيل: إن قوله: «لا يصلاها إلا الأشقى» ينفي عذاب النار عن فساق المؤمنين على ما هو لازم القصر في الآية، وجه الاندفاع أن الآية إنما تنفي عن غير الكافر الخلود فيها دون أصل الدخول.

قوله تعالى: ﴿وَسَيُجَنَّبُهَا ٱلْأَتْقَى * ٱلَّذِى يُؤْتِى مَالَهُۥ يَتَزَكَّىٰ * وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰٓ﴾ التجنيب التبعيد، وضمير «سيجنبها» للنار، والمعنى سيبعد عن النار الأتقى.

والمراد بالأتقى من هو أتقى من غيره ممن يتقي المخاطر فهناك من يتقي ضيعة النفوس كالموت والقتل ومن يتقي فساد الأموال ومن يتقي العدم والفقر فيمسك عن بذل المال وهكذا ومنهم من يتقي الله فيبذل المال، وأتقى هؤلاء الطوائف من يتقي الله فيبذل المال لوجهه وإن شئت فقل يتقي خسران الآخرة فيتزكى بالإعطاء.

فالمفضل عليه للأتقى هو من لا يتقي بإعطاء المال وإن

اتقى سائر المخاطر الدنيوية أو اتقى الله بسائر الأعمال الصالحة.

فالآية عامة بحسب مدلولها غير خاصة ويدل عليه توصيف الأتقى بقوله: «الذي يؤتي ماله» إلخ وهو وصف عام وكذا ما يتلوه، ولا ينافي ذلك كون الآيات أو جميع السورة نازلة لسبب خاص كما ورد في أسباب النزول.

وأما إطلاق المفضل عليه بحيث يشمل جميع الناس من طالح أو صالح ولازمه انحصار المفضل في واحد مطلقاً أو واحد في كل عصر، ويكون المعنى وسيجنبها من هو أتقى الناس كلهم وكذا المعنى في نظيره: لا يصلاها إلا أشقى الناس كلهم فلا يساعد عليه سياق آيات صدر السورة، وكذا الإنذار العام الذي في قوله: ﴿فَأَنذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّىٰ﴾ فلا معنى لأن يقال: أنذرتكم جميعاً ناراً لا يخلد فيها إلا واحد منكم جميعاً ولا ينجو منها إلا واحد منكم جميعاً.

وقوله: ﴿ٱلَّذِى يُؤْتِى مَالَهُۥ يَتَزَكَّىٰ﴾ صفة للأتقى أي الذي يعطي وينفق ماله يطلب بذلك أن ينمو نماءً صالحاً.

وقوله: ﴿وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰٓ﴾ تقرير لمضمون الآية السابقة أي ليس لأحد عنده من نعمة تجزى تلك النعمة بما يؤتيه من المال وتكافأ وإنما يؤتيه لوجه الله ويؤيد هذا المعنى تعقيبه بقوله: ﴿إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِ ٱلْأَعْلَىٰ﴾.

فالتقدير من نعمة تجزى به، وإنما حذف الظرف رعاية للفواصل، ويندفع بذلك ما قيل: إن بناء «تجزى» للمفعول لأن القصد ليس لفاعل معين.

قوله تعالى: ﴿إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ استثناء منقطع والمعنى ولكنه يؤتي ماله طلبا لوجه ربه الأعلى وقد تقدم كلام في معنى وجه الله تعالى وفي معنى الاسم الأعلى.

قوله تعالى: ﴿وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ﴾ أي ولسوف يرضى هذا الأتقى بما يؤتيه ربه الأعلى من الأجر الجزيل والجزاء الحسن الجميل.

وفي ذكر صفتي الرب والأعلى إشعار بأن ما يؤتاه من الجزاء أنعم الجزاء وأعلاه وهو المناسب لربوبيته تعالى وعلوه، ومن هنا يظهر وجه الالتفات في الآية السابقة في قوله: «وجه ربه الأعلى» من سياق التكلم وحده إلى الغيبة بالإشارة إلى الوصفين: ربه الأعلى.

بحث روائي:

في الكافي، بإسناده عن محمد بن مسلم قال: قلت لأبي جعفر عليه السلام: قول الله عز وجل ﴿وَٱلَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ﴾ ﴿وَٱلنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ﴾ وما أشبه ذلك؟ فقال: إن لله عز وجل أن يقسم من خلقه بما شاء، وليس لخلقه أن يقسموا إلا به. أقول: ورواه في الفقيه، بإسناده عن علي بن مهزيار عن أبي جعفر الثاني عليه السلام.

وفي تفسير القمي: في قوله تعالى: ﴿وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَغۡشَىٰ﴾ قال: حين يغشى النهار وهو قسم.

وعن الحميري في قرب الإسناد، عن أحمد بن محمد عن أحمد بن محمد بن أبي نصر عن أبي الحسن الرضا عليه السلام قال: سمعته يقول: في تفسير ﴿وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَغۡشَىٰ﴾ إن رجلا كان لرجل في حائطه نخلة فكان يضر به فشكى ذلك إلى رسول الله صلى الله عليه وآله فدعاه فقال: أعطني نخلتك بنخلة في الجنة فأبى فسمع ذلك رجل من الأنصار يكنى أبا الدحداح فجاء إلى صاحب النخلة فقال: بعني نخلتك بحائطي فباعه فجاءه إلى رسول الله صلى الله عليه وآله فقال: يا رسول الله قد اشتريت نخلة فلان بحائطي فقال رسول الله: لك بدلها نخلة في الجنة. فأنزل الله تعالى على نبيه ﴿وَمَا خَلَقَ ٱلذَّكَرَ وَٱلۡأُنثَىٰٓ * إِنَّ سَعۡيَكُمۡ لَشَتَّىٰ * فَأَمَّا مَنۡ أَعۡطَىٰ﴾ يعني النخلة ﴿وَٱتَّقَىٰ (٥) وَصَدَّقَ بِٱلۡحُسۡنَىٰ (٦)﴾ هو ما عند رسول الله صلى الله عليه وآله فسنيسره لليسرى إلى قوله تردى. أقول: ورواه القمي في تفسيره، مرسلاً مضمراً، وقوله: الزوجين تفسير منه عليه السلام للذكر والأنثى.

وفي تفسير القمي،: في قوله تعالى: ﴿وَسَيُجَنَّبُهَا ٱلۡأَتۡقَى﴾ قال: أبو الدحداح.

أقول: هذا ما من طرق الشيعة عن أئمة أهل البيت عليهم السلام.

وروى الطبرسي في مجمع البيان، القصة عن الواحدي

بإسناده عن عكرمة عن ابن عباس وفيه أن الأنصاري ساوم صاحب النخلة في نخلة في نخلته ثم اشتراها منه بأربعين نخلة ثم وهبها للنبي ﷺ فوهبها النبي لصاحب الدار، ثم روى الطبرسي عن عطاء أن اسم الرجل أبو الدحداح:، وروى السيوطي في الدر المنثور، القصة عن ابن أبي حاتم عن ابن عباس وضعفه.

وقد ورد من طرق أهل السنة أن السورة نزلت في أبي بكر قال الرازي في التفسير الكبير، : أجمع المفسرون منا على أن المراد منه ـ يعني من الأتقى ـ أبو بكر، واعلم أن الشيعة بأسرهم ينكرون هذه الرواية، ويقولون إنما نزلت في حق علي بن أبي طالب والدليل عليه قوله تعالى: ﴿وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمْ رَٰكِعُونَ﴾ فقوله: ﴿ٱلْأَتْقَى ﴿١٧﴾ ٱلَّذِى يُؤْتِى مَالَهُۥ يَتَزَكَّىٰ ﴿١٨﴾﴾ إشارة إلى ما في تلك الآية من قوله: ﴿وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمْ رَٰكِعُونَ﴾ ثم أخذ الأتقى بمعنى أفضل الخلق أي أتقى الناس جميعاً وقد تقدم الكلام فيه.

أما ما نسب إلى الشيعة بأسرهم من القول فالمعتمد عليه من طرقهم صحيح الحميري المتقدم وما في معناه من الروايات الدالة على نزولها في أبي الدحداح الأنصاري.

نعم ورد في رواية ضعيفة عن البرقي عن إسماعيل بن مهران عن أيمن بن محرز عن أبي بصير عن أبي عبدالله عليه السلام

وفيها، وأما قوله: ﴿وَسَيُجَنَّبُهَا ٱلْأَتْقَى﴾ قال رسول الله ﷺ ومن تبعه، و﴿ٱلَّذِى يُؤْتِى مَالَهُۥ يَتَزَكَّىٰ﴾ قال: ذاك أمير المؤمنين عليه السلام وهو قوله: ﴿وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمْ رَٰكِعُونَ﴾ وقوله: ﴿وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰٓ﴾ فهو رسول الله الذي ليس لأحد عنده من نعمة تجزى ونعمته جارية على جميع الخلق ﷺ.

والرواية على ضعف سندها من قبيل الجري والتطبيق دون التفسير ومن واضح الدليل عليه تطبيقه الموصوف على رسول الله ﷺ والوصف على علي عليه السلام ثم الآية التالية على النبي ﷺ ولو كانت من التفسير لفسد بذلك النظم قطعاً.

هذا لو كانت الواو في قوله: ﴿ٱلَّذِى يُؤْتِى مَالَهُۥ يَتَزَكَّىٰ﴾ من الرواية ولو فرضت من الآية كانت الرواية من روايات التحريف المردودة.

وعن الحميري عن أحمد بن محمد عن أحمد بن محمد بن أبي نصر عن أبي الحسن الرضا عليه السلام قال، قلت: قول الله تبارك وتعالى ﴿إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَىٰ﴾ قال: إن الله يهدي من يشاء ويضل من يشاء. فقلت له: أصلحك الله إن قوماً من أصحابنا يزعمون أن المعرفة مكتسبة وأنهم إن ينظروا من وجه النظر أدركوه. فأنكر ذلك وقال: ما لهؤلاء القوم لا يكتسبون الخير لأنفسهم؟ ليس أحد من الناس إلا ويجب أن يكون خيراً ممن هو خير منه هؤلاء بنو هاشم موضعهم موضعهم وقرابتهم

قرابتهم وهم أحق بهذا الأمر منكم أفترى أنهم لا ينظرون لأنفسهم؟ وقد عرفتم ولم يعرفوا.

قال أبو جعفر: لو استطاع الناس لأحبونا.

أقول: أما الهداية ـ والمراد بها الإيصال إلى المطلوب ـ فهي لله تعالى لأنها من شؤون الربوبية، وأما الإضلال والمراد به الإضلال على سبيل المجازاة دون الإضلال الابتدائي الذي لا يضاف إليه تعالى فهو الله أيضاً لكونه إمساكاً عن إنزال الرحمة وعدما للهداية وإذا كانت الهداية له فالإمساك عنه أيضاً منسوب إليه تعالى.

كلنا جوٍ يا رسولُ

مَـالَـنـا كُـلُّـنَـا جـوٍ يـا رسـولُ
أنَـا أهْـوَى وقَـلـبُـكَ الـمَـتْـبُـولُ
كُـلّـماَ عـادَ مَـن بَـعَـثْـتُ إلَـيْـهَـا
غَـارَ مـنّـى وَخـانَ فِـيـمَـا يَـقُـولُ
أفْسَـدَتْ بَيْـنَنـاَ الأمَـانَـاتِ عيـناَهَـا
وَخَـانَـتْ قُـلُـوبَـهُـنَّ الـعُـقُـولُ
تَشتَكى ما اُشتكَيتُ مِن ألِم الشّوْقِ
إلَـيـهـا وَالـشّـوْقُ حَـيـثُ الـنُّـحـولُ
وَإذا خـامَـرَ الـهَـوَى قَـلـبَ صَـبٍّ
فَـعَـلَـيْـهِ لِـكْـلَّ عَـيـنٍ دَلِـيـلُ
زَوِّدينَـا مـن حُسـنِ وَجْـهِكِ مـا دا مَ
فَـحُـسـنُ الـوُجـوهِ حَـالٌ تـحُـولُ
وَصِـلِـينَـاَ نَـصِـلْـكِ فـي هَـذِهِ الـدّنـيَـا
فـإن الـمُـقَـامَ فـيـهـاَ قَـلـيـل

مَـنْ رَآهَـا بـعَـيْـنِـهـا شَـاقَـهُ الـقُـطّـا

نُ فـيـهَـا كـمَـا تَـشُـوقُ الـحُـمُـولُ

إن تَـرَيْـنـى أدِمْـتُ بَـعْـدَ بَـيَـاضٍ

فـحـمـيـدٌ مـن الـقـنـاةِ الـذبـولُ

صـحـبـتـنـى عـلـى الـفـلاة فـتـاةٌ

غـادةُ الـلـونِ عـنـدهـا الـتـبـديـلُ

نعود مرةً أخرى لنتحاور مع المتنبي وما أحلى الحوار مع من ملأ الدنيا وشغل الناس فهذا الشاعر العملاق دائماً يبث شكواه من الناس ومن الدهر في اشعاره حتى تمنى ان يقول قصيدةً ليس فيها شكوى ولا عتاب، وهنا في هذا المقطع في هذه القصيدة يتهم رسوله لحبيبته عندما بانت له نظرةٌ من الحبيبة صار الرسولُ متبولاً وكله جوٍ يشارك المتنبي في ألم الحب والمقاساة فهل هذا مصادفة أو هيَ شكاة مريرةٌ من المتنبي.

وهو يكرر هذه الشكوى من جميع رسله حسب قوله أي رسولٌ يذهبُ لها يغار منه أي من حبهِ لها ويخونه في رسالته، ولا زال رسول المتنبي سهام عين حبيبته وحبها تذهل الرسول فيخون الامانةَ وينسى الذي ذهب من أجله.

ولا تزال الصورة تتحرك مع الرسول للحبيبة فالصورة الاتهامية تتحرك كمرآة تعكسُ ما ألم بهذه الرسل والرسل

يشكون مما يشتكي منه المتنبي ودليل على ذلك الذهول الذي أصابهم وبدى على خطوط أوجهم فهو علامةٌ واضحةٌ على حبهم لها.

ويؤكد ما يعتقدُ الشاعر في رسوله أنه خالط قلوبهم حب الحبيبة فظهر عليهم تغيرهم وتشتيت بالهم.

والمتنبي التفت لفتة تتصل بحبيبتهِ يخاطبها بلا واسطه طالباً منها ان تزوده بنظرةٍ يتمتع بها من وجهها الجميل الفتان مادامت في ميعة الشباب قبل الكبر الذي يعفّي على تلك الصور الجميلة ويمشي عليه الهرم فيخددها ويشوهها وهذه صلة منها ويكافئها بصلةٍ منه لأن المقام في هذه الدنيا ضلٌ قصيرٌ زائلُ.

وهذه القصة التي صورها الشاعر إنما هي خيالية لا واقعية ثم يعود المتنبي إلى طبيعته الحكمية ويقول من عرف الدنيا كمعرفته رق للباقين وبكى على الماضين فهذه تذكرةٌ في هذه الدنيا الفانية وبالآخرة الباقية.

وأخذ المتنبي يصفُ حياته الطبيعية التي صورها في شكوى يبثها في حرفه فهو لطول اسفاره في صحراء ملتهبة لقد بدلت لونه وصبغته باللون الأسمر وهذا ليس بالعجيب لأن عود الغصن يكون يبيس ونهايته للزوال وهو يعطي مثلاً طبيعياً في

الصحراء في فعلها في الغصون لأن صاحبتهُ في تلك الصحراء فتاة ويعني بها الشمس التي تصحبه وفي كل يوم تعودُ فتاة بكرٌ إلا أنها تتجدد بقدرة الله فهي لا تزال فتاة بكراً في ميعة الشباب لا يؤثر عليها تكرار الليل والنهار فأما المتنبي يؤثر عليه تكرار الزمن لأنه بشر تلون وجهه الشمس بأشعتها الملتهبة في الصحراء إلى سمرة وهذه من صورة من صور رحلاته وتجواله.

وداع

ودع الـصـبـرَ مـحـبٌّ ودعـك

ذائـعـاً مـن سـره مـا اسـتـودعـك

يـقـرعُ الـسـن عـلـى أن لـم يـكـن

زادَ فـي تـلـك الـخـطـى إذ شـيـعـك

يـا أخـا الـبـدر سـنـاءٌ وسـنـىً

حـفـظَ الله زمـانـاً أطـلـعـك

إن يـطـل بـعـدك لـيـلـي فـلَـكَـم

بـتُ أشـكـو قـصـر الـلـيـل مـعـك

وقفة معي أيها القارىء لنتأمل في أسرار هذه الصورة السيمفونية من المعاني والبلاغة فهذا غزلٌ قلَّ أن ترى مثله ففيه من الرقة والتصوير لذلك القلب المتبول المملوء بشوق يطول ليله ليل الهجر المرير ويقصرُ عندما يبيت معه حبيبه ولاحظ هذا التصوير بعد ان وصف حبيبه بالجمال والحسن في ضياء البدر وسناه وكيف هذا التعبير السحري جفظ الله

زمان اطلعك وكيف افتتح مقطعه أنه ودع الصبرَ ساعة توديعه حبيبه وان جميع الأسرار التي محتفظ بها أذاعها لأنه فقد صبره وهذا المقطع الذي لا يتجاوز على الأربعة الأبيات في صورته البلاغية السحرية اعطانا من معانٍ لا تعطيها قصيدةٌ ذات أبيات متعددة كثر، وهذه القطعة للشاعر ابن زيدون في عشيقته وحبيبته ولاده بنت المستكفي الأموي أحد ملوك الاندلس غير أن مدة ملكه لا تتجاوز بعض الاشهر والأيام لأنني لا أتذكرِ، فإن الذكريات لم تحتفظ بالمدة الزمنية لملكه، ونرجع إلى قصة حب ابن زيدون وولادة بنت المستكفي فقد قسى الدهرُ على ابن زيدون لأن أعدائه حسدوه لمكانته الادبية وموقعه السياسي والوزاري فنسج حوله وكادوه ففصل من الوزارة وأودع السجن ثم اطلق ونفي إلى اشبيليه بالأندلس حتى انتهى من الحياة ولم يرجع لقرطبة فعاش في لهفةٌ ومات بحسرة المسعر محروماً من حبيبته، وهذه القطعة تمثل مرحلة من أيام حياته الملتهبة بالهجر ويضرب مثالاً مثال اليائس بلقاء حبيبته:

فقد نكونُ ولا نغشى تفرقنا

واليوم نحنُ ولا يرجى تلاقينا

إن الزمان الذي كان يضحكهما قد عاد لهما يبكيهما ففي الحقيقةِ يُبكي ابن زيدون لأن الحبَ من قلبٍ واحد هو قلب

ابن زيدون وهذه اكبرُ مصيبةٌ يتعرضُ لها المرء في هذه الدنيا وتضاعف عليه البلايا اذا كان لم يبادله حبيبه الحبَ وقد كتبت عن ابن زيدون في كتابي تأملات المطبوع في مطبعة دار روافد للطباعة والنشر في بيروت ـ لبنان عام ١٤٣٦هـ الموافق ٢٠١٥م.

لست تدري

لست تدري ولا المنجم يدري

أي وقتٍ يكون فيه الرحيلُ

لا.. ولا الطب والطبيبُ عليمٌ

أي داءٍ يداوى منه العليلُ

عجز الطب عن شفاء مريضٍ

وغدا عاجزاً وحارت عقولُ

لم يُشَّخِص داء امرئٍ قد تسـ

ـاوى في مريضٍ طبيبُنا والجهولُ

حار فيه طبيبهُ وهو في المشرط ميتاً

تنزُ منه الجروحُ

كل يومٍ ضحيةٌ لطبيبٍ

تتوارى أخطائه والشروحُ

رغم ما جدَّ في الحياة من العلم

يشفُّ به الضّنى والقروحُ

فيرى باطن الفتى مثل مرآةٍ
تساوى خَفيُّها والوضوحُ
وتراها تلوحُ في شاشة التلفاز
سطراً كما يلوح الصباحُ

***

إنما المرءُ في الحياةِ كظلٍ
يتلاشى في لحظةٍ فيزولُ
أو خيالٌ يمرُّ في هذه الدنيا
كلمْحاتِ شعلةٍ فتحولُ
إنما هذه الحياة كحرفٍ
من كتاب الأكوان فيه شكولُ

هذه قصيدةٌ كتبتها عند تأثراتي من بعض المرضى الذين مروا ببلايا وأحداث مرضيه عجز الطب عنها ونحن من بعض الذين قاسوْ هذه البلايا، منهم الوالدة التي هي أثمن كنز في الحياة لا أجد عوضاً عنها، والزوج الحنون، وأخي رسول، ولو عددت الاحباب لضاق هذا الطرس ولكنه لابد من التسليم والرضى بقضاء الله وقدره واللجوء إلى حصن حصين إلى كلمةٍ إنا لله وإنا إليه راجعون ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، وهي دواءٌ وبلسمٌ لكل جرحٍ يصاب به الإنسان في حياته فهي شفاءٌ عندما يلجأ المرءُ للآية الكريمة ويكررها

بإخلاص إلى ربه يفيقُ على صحو شفاءٍ، والقصيدة نقلتها من ديوان اطياف وراء السديم ولا يزال مخطوطاً وسنبحثها بنظرةٍ تحليلية موجزة فلنبدأ بالتحليل.

هذه القصيدة تصور حياة الإنسان وعدم علمه وجهله وهو لا يملك لنفسه ضراً ولا نفعاً ولا حياةً ولا موتاً ولا نشوراً ويجهلُ أي يوم أو ساعة يرحل فيها يتساوى معه المنجم والطبيب في معرفة ساعة الرحيل وأي أرض يكون منها رحيله وقبره وإن الطب عجز عن شفاء مريض فضلاً عن معرفة دائه برغم تطور العلم وما جد منه من اجهزة تشف للأطباء ما وراء الخفى كالمعدة والكلى وأمثالهما وتصورها أمام عينيك، وبرغم هذا التطور والأجهزة التقنية يموت ذلك الطبيب الحدق في علمه كما يموت الراعي في معزه وكم ضحيةٌ يواري أخطاء الطبيب التراب إنما حياة الإنسان كظل يمرُ في هذه الحياة أو كحلمٌ يفر من جفن نائم عندما يستيقظ من نومه فالكون حروف من كتاب لونت صفحاته أحداث ومصائب شكول فعليه أن يؤمن بربه ويستعد ويتزود من هذه الدنيا بزاد التقوى لحياة البقاء فهنيئاً للمتقين.

النهر الطروب

لا . لن أضيق بعالم الأحداث صدرا

سأظلُ كالنهر الطروب، يضاحكُ الانوارَ ثغرا

يسقي الصحارى والحقول فينبتُ الأحلام زهرا

أنا في العواصف كالجبال، تكون للأحداث قبرا

أنا كالمراهم للجروح، أسيلُ فوق الجرح: عطرا

والليل إن أرخى الظلامَ، طلعتُ في الظلماء بدرا

والصبرُ مفتاح الحياة، وما يُطيقُ الناس صبرا

ورسمتُ أحلام الشباب، تجسدت في الدهر سطرا

ومسحت آلامَ الفقير، فصارتِ الآلامُ تبرا

والفكرُ ما يبني الحياة وكان فيها العلم فكرا

ان الحياة خواطرٌ، فيها يمرُّ المرءُ ذكرى

هذه قصيدةٌ قلتها في تاريخ ١٩٨٩/٣/٢٧م وقد نشرت بديوان مدينة الدراري المطبوع بعام ١٤١٤هـ ١٩٩٣م مطابع

الرضا الدمام الذي يصور القطيف تحت اسم مدينة الدراري ماضٍ وحاضراً وأنا لا أكتب الشعر إلا من تأثرات نفسيه وهذه التأثرات هي التي توحي القصيدة تصورها وتجسدها وعندما تقرأني في أي ديوان من دواويني التسعة المطبوعين تجد ما أقول لك حقيقةٌ، وهذه القصيدة النهر الطروب تمثل صورةً من واقع حياتي المبطنة بالضبابِ وكلما ضببت افقها طلع عليها فجرٌ أو هبات عليه رياح فبددت ذلك الضباب وصفى جوها وهذا من فضل ربي وألطافه علي ونعطي عن هذه القصيدة لمحة موجزة وفي اعتقادي ان صورها ومعانيها لا تحتاجُ لشرح أو توضيح.

الشاعر يصور عالم الأحداث فهو لا يضيق بها بل ضاحكها كما يضاحك النهر الأنوار بالبسماتِ وهو كالنهر يسقي الصحارى والحقول فينبت الأحلام زهراً، وهذه الصورة هي مثل حيٌ لعدم تأثره ورضاءه بالقضاء والقدر لأن الله سبحانه وتعالى لا يجري فعلاً على العبد إلا في صالحه، وكذلك الصورة التي تمثل الصبر في بلايا الحياة وما يلاقيه الإنسان فيها، وبعد أن أكمل الصورةَ بالبيت السادس طلب من المرء ان يتمسك بالصبر ولكن الصبر مرٌ ولا يتجرعه الإنسان ولا يطيقه، ثم يختم الصورة إذا المرءُ تجرع الصبر نجح في حياته بمددٍ من خالقه فيزرع احلام الشباب ويجسدها

في الحياةِ سطرٌ من الحقيقة وإذا تفضل عليه ربه وفقه للسعادة بعون منه، ويصور العلم افكاراً في كتبٍ تقرأ بعده وإنما المرءُ ذكرى جميلةٌ بعد حياته إن عمل خيراً يكون عاقبته السعادة أو ذكرى يكون عاقبته الشقاء.

سورة النصر

هذه السورة جاءت بوعد من الله إلى الرسول ﷺ تبشره بفتح مكة وهزيمة قريش فبهزيمة قريش اندك صرح الشرك والطغيان وتعد هذه السورة من ملاحم القرآن الغيبية لأنها بشرت الرسول قبل أن يقع فتح مكة وقد وقع في السنة الثامنة من الهجرة ونحن هنا ننقل تفسير هذه السورة المباركة من تفسير الميزان للعلامة السيد محمد حسين الطباطبائي رحمه الله وقدس الله روحه، مجلد ٢٠ صفحة ٤٣٦ إلى ٤٤٣.

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ ۝١ وَرَأَيۡتَ ٱلنَّاسَ يَدۡخُلُونَ فِي دِينِ ٱللَّهِ أَفۡوَاجٗا ۝٢ فَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ وَٱسۡتَغۡفِرۡهُۚ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابَۢا ۝٣﴾

بيان:

وعد له ﷺ بالنصر والفتح وأنه سيرى الناس يدخلون في الإسلام فوجاً بعد فوج وأمره بالتسبيح حينئذ والتحميد

والاستغفار، والسورة مدنية نزلت بعد صلح الحديبية وقبل فتح مكة على ما سنستظهر.

قوله تعالى: ﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ﴾ ظهور (إذا) المصدرة بها الآية في الاستقبال يستدعي أن يكون مضمون الآية إخباراً بتحقق أمر لم يتحقق بعد، وإذا كان المخبر به هو النصر والفتح وذلك مما تقر به عين النبي ﷺ فهو وعد جميل وبشرى له ﷺ ويكون من ملاحم القرآن الكريم.

وليس المراد بالنصر والفتح جنسهما حتى يصدقا على جميع المواقف التي أيد الله فيها نبيه ﷺ على أعدائه وأظهر دينه على دينهم كما حروبه ومغازيه وإيمان الأنصار وأهل اليمن كما قيل إذ لا يلائمه قوله بعد: ﴿وَرَأَيۡتَ ٱلنَّاسَ يَدۡخُلُونَ فِي دِينِ ٱللَّهِ أَفۡوَاجٗا﴾ وليس المراد بذلك أيضاً صلح الحديبية الذي سماه الله تعالى فتحاً إذ قال ﴿إِنَّا فَتَحۡنَا لَكَ فَتۡحٗا مُّبِينٗا﴾ لعدم انطباق عليه النصر والفتح المذكوران في الآية هو فتح مكة الذي هو أم فتوحاته ﷺ في زمن حياته والنصر الباهر الذي انهدم به بنيان الشرك في جزيرة العرب.

ويؤيده وعد النصر الذي في الآيات النازلة في الحديبية ﴿إِنَّا فَتَحۡنَا لَكَ فَتۡحٗا مُّبِينٗا * لِّيَغۡفِرَ لَكُم * وَيُتِمَّ نِعۡمَتَهُۥ عَلَيۡكَ وَيَهۡدِيَكَ صِرَٰطٗا مُّسۡتَقِيمٗا﴾ وينصر عزيز يرتبط بفتح الحديبية وهو نصره

تعالى نبيه ﷺ على قريش حتى فتح مكة بعد مضي سنتين من فتح الحديبية.

وهذا الذي ذُكر أقرب من حمل الآية على إجابة أهل اليمن الدعوة الحقة ودخولهم في الإسلام من غير قتال، فالأقرب على الاعتبار كون المراد بالنصر والفتح نصره تعالى نبيه ﷺ على قريش وفتح مكة، وأن تكون السورة نازلة بعد صلح الحديبية ونزول سورة الفتح وقبل فتح مكة.

قوله تعالى: ﴿وَرَأَيْتَ ٱلنَّاسَ يَدْخُلُونَ فِى دِينِ ٱللَّهِ أَفْوَاجًا﴾ قال الراغب الفوج الجماعة المارة المسرعة، وجمعه أفواج. انتهى. فمعنى دخول الناس في دين الله افواج. انتهى. فمعنى دخول الناس في دين الله أفواجاً دخولهم فيه جماعة بعد جماعة، والمراد بدين الله الإسلام قال تعالى: ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ﴾.

قوله تعالى: ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَٱسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابًۢا﴾ لما كان هذا النصر والفتح إذلالاً منه تعالى للشرك وإعزازاً للتوحيد وبعبارة أخرى إبطالاً للباطل وإحقاقاً للحق ناسب من نعمة ـ الثناء عليه تعالى وحمده فلذلك أمره ﷺ بقوله: ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ﴾.

وههنا وجه آخر يوجه به الأمر بالتسبيح والتحميد

والاستغفار جميعاً وهو أن للرب تعالى على عبده أن يذكره بصفات كماله ويذكر نفسه بما له من النقص والحاجة كان في هذا الفتح فراغه ﷺ من جل ما كان عليه من السعي في إماطة الباطل وقطع دابر الفساد أمر أن يذكره عنده ذلك بجلاله وهو التسبيح وجماله وهو التحميد وأن يذكره بنقص نفسه وحاجته إلى ربه وهو طلب المغفرة ومعناه فيه ﷺ وهو مغفور سؤال إدامة المغفرة فإن الحاجة إلى المغفرة بقاء كالحاجة إليها حدوثاً فافهم ذلك، وبذلك يتم شكره لربه تعالى وقد تقدم كلام في معنى مغفرة الذنب في الأبحاث السابقة وقوله (إنه كان تواباً) تعليل للأمر بالاستغفار لا يخلو من تشويق وتأكيد.

الخاتمة

هذه الصفحات رسمتها وكانت العوامل السببية لكتابتي هذه الصفحات رحلتي العلاجية إلى المملكة المتحدة من أجل عيني التي ترسمُ مناظر الحياة وخلجات الإنسان عندما تظهر أحرفٌ يقرأها البصير على خطوط وجهه فيعرف أسرار ذلك الشخص كما يشاهد بسماته على ثغره أو دمعاته في جفونه وكان في معيتي هذه الرحلة ابني الدكتور وديع وزوجي صديقة علوي المشقاب فأدرت فصول هذه الرحلة في هذه الصفحات ورسمتُ العوامل والفوارق بينها وبين الرحلة السابقة التي أعطيت عنها صورة مجسدة في كتابي أيام في لندن المطبوع في دار المحجة البيضاء لبنان تاريخ ١٤٣٤هـ / ٢٠١٣م ولم أقتصر بهذه الصفحات على أيام الرحلة وما في صفحات أيامها من صور أدرتها على مطالب علمية وأدبية وفقهية بل أضفت لهذه الرحلة بعض التفاسير القرآنية من آيات كريمة أو صور عظيمة للتبرك بها وهذا من فضل ربي الذي دائماً

يعوضني عن كل فائتٍ بخير منه وعن كل أزمة من أحداث هذه البلايا بنجاح وفوز وبألطاف خفية لا يصل العقلُ لأسرارها، فإن ربي لذو فضل على الناس ولكن أكثر الناس لا يشكرون. اللهم وفقني لشكرك وذكرك وطاعتك واجعل أعمالي خالصة لوجهك حتى ألقاك وانت راضٍ عني وأفرغ علي درعٍ من الصبر لأنك تجزي الصابرين بغير حساب فشكراً لله والحمد لله وسلامٌ على المرسلين وهذا الكتاب من نعمه وتفضله ومدده لي فأعود وأقول شكراً لله المنعم على عبيده وأسأله حسن الخاتمة لي، وهذه النعم التي هي من سيبه تفضلٌ ولطفٌ بدون استحقاقها لأننا لسنا أهلٌ لها ولكن خالقنا هو أهل لها فهي فيضٌ من سيب غني مطلق إلى عبد فقيرٍ مطلق فالحمد لله رب العالمين وسلام على المرسلين وقد راجعت هذا الكتاب من أوله لآخره في سهرات مع ابني العزيز الدكتور أديب أبقاه الله وجعله الله باراً لوالديه هو وإخوته علي ووديع ونبيه وزادهم الله توفيقاً في حياتهم وآخرتهم ٦ من رجب ١٤٣٨هـ/ ٣ إبريل ٢٠١٧م.

٢٤/٥/١٤٣٤هـ
١٤/٣/٢٠١٥م

السّيرة الذَّاتيَّة للمؤلّف

الاسم: محمَّد سعيد ابن الشَّيخ عَلِيٍّ بن حسن بن مهدي الْخُنيزيُّ.

تاريخ الميلاد: ١٩٢٥/٢/٢م

العنوان: المملكة العربية السُّعودية ـ المنطقة الشَّرقية ـ القطيف

الرمز البريدي: ٣١٩١١

ص.ب: ٨٧٩

تليفون ـ فاكس: ٨٥٥١٠١٣/ جوال/٠٥٣١٠٢٦٠٩٩

محمَّد سعيد الشَّيخ ابن الإمام عَلِيٍّ أبو الحسن الْخُنيزيُّ

موجز السيرة الذاتية

ولدتُ فِيْ اليوم والشهر مِنْ العام الَّذي حددتُ تاريخه بالميلادي فِيْ الصفحة الأُولى من هذه السِّيرة، ودرجتُ على هذا الكوكب تحت رعاية والدي الشَّيخ علي أبي الحسن الخنيزي.. الَّذي كان مرجعاً وقاضياً لجميع المذاهب مِنْ سنة وشيعة. ويرضون جميعاً بحكمه، أُصبتُ فِيْ السادسة مِنْ عمري تقريباً بأثمنِ كنزٍ فِيْ حياتي، وهيَ عيني، الَّتي تعكسُ طبيعة الحياة، ومناظرها الجميلة، وعندما بلغت السابعة مِنْ عمري، أدخلني أبي الكُتَّاب.. لأن ذلك الظَّرف لا توجد فيه مدارس على منهجية المدارس الحديثة اليوم، وكان هذا الكُتَّاب قمَّة الكتاتيب فِيْ ذلك العصر، ويديرانهُ ويتعاقبان عليه الأخوان فضيلتا الشَّيخ محمد صالح البريكي صباحاً، وأخوه الشَّيخ ميرزا مساءً، وهذا الكُتَّاب يُعلِّم كتاب الله، ونمطاً مِنْ الخطِّ، وضرباً مِنْ أنواع الحساب، ويسمى بالجمع والطرح والضرب والقسمة، الَّذي هُوَ بعض دروس الرَّياضيات اليوم، كما يعطي لونًا مِنْ الشِّعْرِ العربي ويشرح بعض كلماته، ويطلب مِنْ الطُّلاب حفظ ذلك الشِّعْرِ، وللكُتَّاب أسلوب ومنهجية فِيْ دفعِ الأجورِ، وأيَّام

التَّعليم طيلة الأسبوع، والإجازة يومي الخميس والجمعة، ولا تتخلَّل الدِّراسة فسحات يرتاح فيها الطُّلاب مِنْ جهدِ الدِّراسة.

وقَدْ خرجتُ مِنْ هذا الكُتَّاب بعد أنْ اجتزت مراحله التَّعليميَّة، وتعليمي كان غيبياً عَنْ طريق الحفظ القلبي لا البصري، خرجت مِنْهُ وأنَا أبلغ الثَّالثة عشر، وبعد فترة هيأني والدي للدِّراسة، لأتخصص فِيْ العلوم الدِّينية، فدرست قواعد اللُّغة العربية، ومِنْ كتبها متن الأجرومية شرحه لدحلان، وقطر الندى لابن هشام، وألفية ابن مالك، ومغني اللبيب لابن هشام، كما قرأت بعض الكتب العقلانية والفلسفية، كالحاشية في المنطق، والشَّمسية في المنطق، وقرأت كتب البلاغة، كالمطول ومختصره، وهو يبحث في أسرار البلاغة، ويوضّح لك سرّ البلاغة والنكت البيانية الَّتي تحتوي عليها، وقرأت كتاب النظام وهو يبحث في تصريف الكلمة ويسمى علم الصرف، ومعالم أصول الفقه وهذا الكتاب قرأته على يد والدي الإمام الخنيزي، كما قرأت شريحة من كتب الفقه، وكتباً من أصول الفقه، وفوجئت وأنا في ربيع الدِّراسة، وقبل اليفاعة بموت والدي فكان لموته انحساراً كانحسار الرَّبيع عَنْ الورد، فأصبحت كالحقل الذي جفَّ ماؤه وبرغم ما عانيته من الثالوث غير المقدس «الفقر ـ وأصابتي بالعين ـ وفقد أبي» واصلت دراستي العلمية، وكنت أقتل أوقاتي فيْ الدروس، كما أنني أدرس ثلَّة منْ الطلاب، سنشير لهم في الصَّفحة المخصَّصة لهم، وإنَّني إذ أختصر هذه الأحرف، فقَدْ وضعت سيرتي الذاتية

في كتابٍ، يتكوَّن من مجلدين أسميته «خيوط من الشَّمس» يحتوي هذه الحياة البسيطة، وما عانيت مِنْ حلوٍ ومرٍّ، ومررت فيه بقنوات تاريخية تمر بحياتي الذَّاتية، أو ما يتصل بالقنوات التاريخية لها ارتباط من قريب أو بعيد بهذه السِّيرة.

الوظائف:

لم ألتحق بوظيفة من الوظائف، إنَّما امتهنت عملاً حرّاً غير مرتبط بدائرة، أو مؤسسة، وهو المحاماة، وهيَ المرافعة فِيْ القضايا، الَّتي تنظر فيها المحاكم الشَّرعية.

أبرز المواقف:

لقَدْ مررتُ في هذه الحياة بمواقف مؤلمة، ومفرحة ولكن في رأيي أخطر موقف مررت به.. واتخذت فيه قراراً حاسماً، بعد أنْ مرَّت بي عاصفات من التردد بأفق نفسي، وحيرة تكتنفها شكوك من الضَّباب، ولكني في النهاية أصدرت قراري النهائي، وتركت دراستي العلمية لأنزل إلى ميدان العمل «المحاماة» مِنْ أجل الكسب على عيالي، لكي لا أعيش عالة على المجتمع.

الأساتذة:

الأساتذة الَّذين تلمذت عليهم، هم: والدي الإمام الشَّيخ / علي أبو الحسن الخنيزي، والعلاَّمتان الشَّيخ / عبد الحميد الشَّيخ علي الخنيزي الخطي، والشَّيخ / فرج العمران، والعلاَّمة

الشَّيخ / محمَّد صالح المبارك، والشَّيخ / محمَّد صالح البريكي، وهؤلاء العلماء كلهم من أهالي القطيف، ولكن أستاذي الَّذي أعتبره كالجامعة من النقطة الأولى إلى المرحلة العليا، هُوَ والدي.. فهو لي كجامعة من المعارف.

أبرز التلاميذ:

إنَّ التلاميذ الَّذين درسوا على يدي كُثْر، لعلَّهم يصلون إلى خمسين طالباً، أو يزيدون.. غير أنَّ مِنْ أنجحهم وأبرزهم فضيلة الأُستاذ العلاَّمة الشَّيخ / عبد الله الشَّيخ علي الخنيزي، حيث أسهم فِيْ الحياة الفكرية بثروة إثرة في حرفٍ في كتبٍ متعددة الألوان.. خدم بها اللُّغة العربية والفكر، والشَّيخ عباس المحروس حيث أصبح خطيباً، وعبد الغني أحمد السنان حيث أصبح أحد الشَّخصيات البارزة في شركة أرامكو السُّعودية، ومحمَّد سعيد الشَّيخ محمَّد علي بن حسن علي الخنيزي، أصبح شخصية من الشَّخصيات الوطنية بالقطيف، والشاعر الأستاذ عبد الواحد الشيخ حسن الشيخ علي الخنيزي هو أحد رواد الفكر القطيفي وشخصية من الشخصيات الوطنية، ومهنا الحاج حسن الشماسي، ومحمَّد رضا نصر الله، حيث أصبح صحفياً غير محدود، وفؤاد عبد الواحد على نصر الله، حيث صار صحفياً، والأستاذ سعود عبد الكريم الفرج، حيث أصبح كاتباً ومؤرخاً، ومحمَّد وحسن أبناء الشَّيخ فرج العمران، وجاسم بن أحمد بن إبراهيم بن حسن آل خضر، وجمال عبد اللطيف وحسن أحمد

الطويل، وقاسم بن ملا محمد العيثان، والدكتور حسام سعيد سلمان آل حبيب حيث أصبح طبيباً من أبرز أطباء المملكة، وعلي زكي الخنيزي، ومحمد علي محمَّد سعيد الشَّيخ محمَّد علي بن حسن علي الخنيزي، وعلي محمد المحمد علي، ومحمد وحسن ابني نبيه محمد سعيد الخنيزي، وهناك طلاب آخرون لا تسع هذه الصَّفحة لذكرهم

السيرة العملية:

إنَّ سيرتي العملية: كانت تنبثق عَنْ عملٍ حرٍّ - وهيَ المحاماة - فإنَّني لَمْ ألتحق بوظيفة في القطاع الخاص أو العام على حدٍّ سواء، إنَّما استعملت معارفي العلمية في المحاماة، وصرت لا أقبل مرافعة في قضية، إلاَّ بعد دراستها، ومعرفة وسائل حججها ووثائقها، فإذا طبقتها حسب معرفتي على القواعد الشَّرعية، وبان لي موافقتها على ذلك قبلتها، وترافعت فيها، ومن أجل ذلك كسبت أكثر القضايا بفضل الله وتوفيقه.

رؤية ودراسات:

لا بُدَّ من إشارة مقتضبة: لما قام به المفكرون والأدباء من دراسات عميقة عن أعمالي الأدبية، وقد أشير لبعضها في مقدمة ديوان مدينة الدراري، إلى الدراسة الَّتي كتبتها البنت فردوس، والدِّراسة الَّتي في مقدمة كانوا على الدرب، للدُّكتور/ حسام سعيد سلمان العبد الهادي الحبيب، ودراسات متفرقة، لم يُجمع

شتاتها فِيْ كتيب يبقى رصيداً ومرجعاً، لمن أراد الدراسة عن هذه الأعمال، وهذه الدراسات نشرت على صفحات الصُّحف الداخلية والخارجية، وفي كتب كثر، كما أذيعت حلقات دراسية من إذاعات عربية.. وغير عربية، ومن راديو المملكة من جميع محطاتها، ومن راديو لندن في رياض الشِّعْر، وأكثرها أشير لها في كتاب «خيوط من الشَّمس» كما شاركت في عدَّة ندوات فكرية وأدبية، أبرزها مؤتمر الشعر في الخليج الذي أقيم في مدينة الرياض تحت رعاية رئيس رعاية الشباب الأمير فيصل بن فهد عام ثمانية بعد الأربعمائة والألف هجرياً الندوة الفكرة الأدبية الَّتي أقامها لي النَّادي الأدبي بقاعة الجمعية الخيرية بالقطيف، في عام ١٤١٩هـ، وأقام النادي نفسه ندوة أسماها بعيون الشعر في محافظة القطيف بقاعة مركز الخدمة الاجتماعية ألقيت فيها قصيدة اسمها عَلى كف عفريت كما تم تكريمي من وزير التعليم العالي الدكتور خالد العنقري بصفتي أحد رواد الفكر في المملكة مع ثلة من رواد المملكة في معرض الكتاب بمدينة الرياض تحت رعاية خادم الحرمين وقد حضر عنه بالنيابة الأمير سطّام نائب أمير مدينة الرياض وقد صدر كتاباً عن الرواد يتضمن نبذة عن حياتهم مع صورهم الشمسية، كما منحتُ شهادة تقدير من الدكتور خالد وزير التعليم العالي وجائزة (درعاً وكأساً وميدالية) كتب عليهما اسمي.

تكريمي عن طريق منتدى حوار الحضارات برئاسة/ الأستاذ فؤاد عبد الواحد علي نصر الله:

نشر هذا التكريم مع قصيدة مهرجان البيان التي ختم بها الشاعر وحيا بها المحتفلون في ذلك الحفل في ملف خاص بمجلة الواحة العدد الحادي والستون السنة السابعة عشر ربيع ٢٠١١.

فهذا المنتدى له نشاط فكرب طار صداه فملأ آفاق المملكة ذكراً ومجداً وقد سبق أن احتفل بي أيضاً وكرمت في النادي الأدبي للمنطقة الشرقية بمدينة الدمام، كما أقام لي النادي السابق ذكرى أمسية شعرية في مقر جمعية القطيف بمحافظه القطيف وكرمت على صعيد أفق عالمي مع رواد الفكر والمؤلفين السعوديين وقد قام بهذا التكريم معالي وزير التعليم العالي الدكتور/خالد العنقري وقد اقترن هذا التكريم مع افتتاح معرض الكتاب الدولي بمدينة الرياض برعاية خادم الحرمين الشريفين الملك عبد الله بن عبد العزيز آل سعود ولم يكن أحد من المنطقة الشرقية سواي وعبد الرحمن العبيد وحين ذاك كان رئيس النادي الأدبى والرواد من المنطقة الوسطى والغربية وبعد تكريمنا قام سمو الأمير/ سطام نائب أمير الرياض بتوزيع الهدايا علينا نيابة عن خادم الحرمين الشريفين، كما أصدر كتاب يتضمن حياتنا باختصار اسمه (الرواد للمؤلفين السعوديين).

وقد شاركت مشاركة فكرية أدبية بدعوى رسمية بناء على

طلب سمو الأمير/ فيصل بن فهد الرئيس العام لرعاية الشباب، بخطاب رقم ٧٢٦٤ وتاريخ ١٤٠٨/٤/٢٩هـ بقصيدة شعرية والتي ألقيتها بنفسي وقد أسميتها في ظلال عكاظ في مهرجان الشعر العربي لدول الخليج في جلسة الافتتاح الذي أقيم بقاعة الملك فيصل للاحتفالات بمدينة الرياض بتاريخ ١٤٠٨/٦/١٥هـ وهو أول مهرجان فكري يقام من نوعه في الخليج، وكان لها الصدى العميق في الأوساط الفكرية والأدبية واستعيدت أبياتها عدة مرات.

الإذاعات التي أذاعت عن أعمالي الفكرية والأدبية:

كما أذاعت شعري الإذاعات العالمية كإذاعة لندن، وإيران وغيرها من الإذاعات العربية كإذاعات القاهرة والكويت والبحرين كما احتفلت بها جميع محطاتنا الإذاعية بالمملكة العربية السعودية. كما نشرت آثاري في أمهات الصحف الكبرى كمجلة الأديب، المعارف والألواح والعرفان اللبنانيات ومجلة الكتاب للأستاذ عادل الغضبان في القاهرة والهاتف والغري العراقيتين والرائد والعربي الكويتيتين ومجله صوت البحرين وغيرها من المجلات والصحف العربية وفي أكثر صحف المملكة العربية السعودية كاليوم وأخبار الظهران ومجلة الواحة ومجلة الخط.

وقد كَتب عن إصدارات كتبي وأشعاري مفكرون ودكاترة كثر أشرتُ لبعضهم هنا وبعضاً في خيوط من الشمس، وشريحة من

مفكري القطيف إما تكريمي في وطني القطيف فهذا أول تكريم لي يسبق به الولد العزيز الأستاذ / فؤاد نصر الله أحد الوطنين وكان له السبق والشكر وقد نجح هذا التكريم فكان له صديً في أوساط الآفاق الفكرية على صعيد المملكة وكان التكريم ليلة الجمعة في الثاني والعشرين من شهر شوال سنه واحد وثلاثون بعد الأربعمائة والألف الموافق ثلاثين تسعة سنة ألفين وعشرة، وقد تسابق وتبارى في منتدى التكريم المفكرون والأدباء والشعراء فكان الذي يدير حفل التكريم الأستاذ/ محمد بن ميرزا الغانم فأبدع وأجاد في إدارته وفي أسلوبه الأدبي الرفيع.

ومن الشعراء الذين اشتركوا في هذا المهرجان الأساتذة:

مصطفى أبو الرز، على مهنا، وأحمد أبو السعود، وفريد النمر، محمد مهدي الحمادي.

ومن الكتاب الأساتذة:

خليل آل فزيع، سعود الفرج، محمد الشماسي، عدنان العوامي، أحمد الشمر، فؤاد نصر الله رئيس منتدى حوار الحضارات عباس الشماسي رئيس جمعية محافظة القطيف، سعيد أحمد بن ناجي أبو السعود والكاتب في جريدة اليوم الأستاذ عبد الله بن أحمد شباط.

وختام الحفل ختمته بكلمات فيها شكر لصاحب المنتدى الفكري وللمفكرين والشعراء والأدباء وإلى كل من شارك في

الحفل وحييتهم بقصيدة منبعثة من قلبي تحية وشكر لأصحاب البيان والفكر والتي أسميتها مهرجان البيان.

وكان لهذا التكريم أصداء فكرية وأدبية انعكست على المسموع والمقروء والمرئي فغطت الصحف هذا الموسم التكريمي كصحيفة اليوم والوطن والحياة وصحيفة الوسط البحرانية في العدد ٢٩٥٥ وغيرها من الصحف المحلية والخليجية، والشبكة العنكبوتية وعلى صعيد ألوان مواقعها المختلفة وفى طليعتهم منتدى حوار الحضارات، راصد وشبكة التوافق وغيرها من المواقع الإلكترونية كما اشترك التلفاز السعودي فزارني في بيتي وأجرى معي حواراً عن التكريم وعن حياتي الأدبية والفكرية في يوم الاثنين ١٤٣١/١٠/٢٥هـ الموافق يوم الربع من شهر أكتوبر عام عشرة بعد الألفين وأذيعت هذه المقابلة مساء الأربعاء سبعة وعشرين من الشهر المشار إليه والعام المذكور الموافق ستة أكتوبر من العام المشار إلية وأعيدت الحلقة في مساء ليلة الخميس الساعة الثانية والعشر دقائق وقد بقيت أعمالُ فكرية وأدبية لم تُلقى حيث لم يتسع لها الوقت وتم تقديم الاعتذار لهم.

الكتّاب الذين كتبوا عن أعمالي:

أريد أن أثبت هنا بعض المفكرين الذين اهتموا وكتبوا عن بعض أعمالي الفكرية وليس على سبيل الحصر وإنما نذكر شريحة منهم وهي كسجل أو فهرست لهذه الأسماء وهي:

اسم المؤلف	اسم الكتاب	اسم المطبعة	الطبعة والتاريخ	رقم الصفحة
د / بدوي طبانة	من أعلام الشعر	دار الرفاعي ـ الرياض	ط١ ـ ١٤١٢	٣٢٧
الشيخ عبد الله الخنيزي	نسيم وزوبعة	القاهرة	ط١ ـ ١٣٩٧	٢٣١
د / بكري شيخ أمين	الحركة الأدبية في المملكة ع.س	دار صادر بيروت	ط١ ـ ١٣٩٣	٣٨٥
الأستاذ / محمد سعيد المسلم	واحة على ضفاف الخليج	مطبعة الفرزدق الرياض	ط٢ ـ ١٤١١	٤٠٥
الأستاذ / محمد سعيد المسلم	هذه بلادنا	مطابع جامعة الملك سعود	ط١ ـ ١٤١٠	٢٣٠
الأستاذ / محمد سعيد المسلم	ساحل الذهب الأسود	دار مكتبة الحياة ـ بيروت	ط٢ ـ ١٣٨٢	٢٤٧
الأستاذ / عبد الله عبد الجبار	التيارات الأدبية الحديثة في قلب ج	جامعة الدول العربية	ط١ ـ ١٩٥٩	٢٨٩

الأستاذ / عبد الله أحمد الشباط	أدباء من الخليج العربي	الدار الوطنية ـ الخبر	ط١ ـ ١٤٠٦هـ	٢٧٤
د / عبد الله آل مبارك	الأدب العربي في الجزيرة ق ١	مطبعة الجبلاوي القاهرة	ط١ ـ ١٩٧٣م	٣٦
د / عبد الله الحامد	الشعر المعاصر في المملكة ع.س	دار الكتاب السعودي	ط١ ـ ١٤٠٦هـ	٨٢
خليف بن سعد الخليف	الاتجاه الإسلامي في الشعر الحديث	مطبعة سفير ـ الرياض	ط١ ـ ١٤٠٩هـ	٨٩
د / عمر الطيب الساسي	الموجز في تاريخ الأدب السعودي	مطابع سحر ـ جدة	ط١ ـ ١٤٠٦هـ	٢٤٤
عبد العلي آل سيف	القطيف وأضواء على شعرها الحديث	مطابع الفرزدق ـ الرياض	ط١ ـ ١٤٠٦هـ	٣٠٠
عبد الرحمن العبيد	الأدب في الخليج العربي	النشاط الثقافي ـ الرياض	ط١ ـ ١٣٧٧	٥٨

د/ شيخ عبد الهادي فضلي	في جريدة اليوم عدد (٢٥٠)		١٣٨٨-	
الأستاذ / الخياط	في صحيفة البلاد السعودية		.	
د / شفاء عقيل	دراسة عن الشعر الرومانسي	رسالة ماجستير		
د / علي جواد الطاهر	معجم المطبوعات	مطابع الفرزدق ـ الرياض	ط٢ ـ ١٤١٨هـ	١١٥٤، ٤٦
د / علي جواد الطاهر	عالم الكتاب	المجلد٣ ع ٤	١٤٠٣	٥١٨، ١٩
السيد حسن أبو الرحى	المنهل	المجلد الثاني		٧٥
الشيخ علي الشيخ منصور المرهون	شعراء القطيف	الجزء الثاني		١٥٠
أ / أبو بكر الشمري	الفهرست المفيد في أعلام الخليج	الدار الوطنية ـ الخبر	ط١ ـ ١٤١٣هـ	١٥٩
الدائرة للأعلام	معجم الكتَّاب والمؤلفين	الدائرة للأعلام المحدودة	ط٢ ـ ١٤١٣هـ	٥٢

عبد الله حسن آل عبد المحسن	شعراء القطيف المعاصرون	مطابع الرجاء ـ الخبر	ط١ ـ ١٤١٤هـ	٨٥
السيد حسن العوامي	صحيفة اليوم			
السيد محمد الصويغ				
الأستاذة / فردوس الخنيزي	ديوان مدينة الدراري	مطابع الرضا ـ الدمام	ط١ ـ ١٤١٤هـ	٩
د / حسام سعيد الحبيب	ديوان كانوا على الدرب	مؤسسة البلاغ ـ بيروت	ط١ ـ ١٤١٦هـ	٩
أ/السيد حسن العوامي	من وحي القلم	دار المحجة بيروت	ط١ ـ ١٤٢٣هـ	٤٠
سعود الفرج	شعراء مبدعون	القطيف	ط١ ـ ١٤١٧	٣٢٣
فائز المسلم	ذكرى مؤرخ وشاعر	الدمام	ط١ ـ ١٤١٨	٢٦٣
خالد سعود الحليبي	الشعر الحديث في الإحساء	مطابع الوفاء الدمام	ط١ ـ ١٤٢٤	١١٢ ـ ٤٠٨، ٠٩
أحمد سعيد بن سلم	موسوعة الأدباء والكتّاب	دار المنار القاهرة	١٤١٢	٣٢٣

خالد أحمد اليوسف	دليل الكتّاب والكاتبات	الجمعية العربية	١٤١٥	١٠٨
د/محمد عثمان الملا	الحكمة في شعر بني عبد القيس	الدار الوطنية	١٤٢٠	٨٥
معجم البابطين	الشعراء العرب المعاصرين	مطابع الملك فهد	١٩٩٥	١٨٦
معجم البابطين	الشعراء العرب المعاصرين	مطابع الملك فهد	٢٠٠٢	٦٠٥
سعيد أحمد الناجي	المعجم الخفيف في تراجم أعلام القطيف	أطياف للنشر والتوزيع القطيف	٢٠٠٦ م	٣١٣
وزارة التعليم العالي	رواد المؤلفين السعوديين	معرض الكتاب	٢٠٠٦	٣٩، ٤٠
الموسوعة	موسوعة الأدب العربي السعودي الحديث	الرياض	١٤٢٢	٢٩١، ٢٩٢
مكتبة الملك فهد	أخبار المكتبة	الرياض عدد ٣١ رجب	١٤٢٥	٢٢

الشيخ علي البلادي	أنوار البدرين - مؤسسة الهداية		بيروت ٢٠٠٣م ط١	٣٦٥، ٣٧٤، ٣٩٢، ٣٩٤، ٤٢٩، ٤٢٩، ٤٣٣
حبيب آل جميع	معجم المؤلفات الشيعية		ط ١ _ ١٩٩٧	٤١٤، ٤٧٢، ٤٧٣، ٤٧٨، ٤٧٩، ٤٨٣
عبدالله بن أحمد الشباط	آفاق خليجيه	مطابع الوفاء	ط ١ _ ١٤١٥	١٤٥، ١٤٦، ١٤٧، ١٤٨
نزار آل سنبل	أهل البيت في الشعر القطيفي المعاصر	المركز الثقافي للنشر والتوزيع ٢٠٠٣		٣٣٥، ٣٣٦، ٣٣٧، ٣٣٨
كمال سليمان الجبوري	معجم الأدباء الجزء الخامس	دار الكتب العلمية بيروت ٢٠٠٣م/ ١٤٢٤هـ		٣٢٦
الدكتور جودت القزويني	تاريخ القزويني	المجلد الخامس والعشرين		من ٩٣ إلى ٩٩

كما كتب الأستاذ عبد المقصود محمد سعيد خوجه صاحب الندوه الأثنانيه الفكرية تقريضاً لبعض اصداراتي نرفق صوره من تقريضه وكتب الشيخ جعفر الربح مقدمة لديواني إيحاءات سماوية سجل في هذه المقدمة رؤياه الأدبية وأنا أعتز بهذه الرؤية الفكرية كما نشرت هذه المقدمة في مجلة الخط عدد الثالث عشر عام **١٤٣٣**هـ الموافق **٢٠١٢**م مضافاً إلى ما كتبت الصحافة المحلية والخارجية عن هذه الأعمال الأدبية وأذاعت عنها الإذاعات العربية والغربية. كما قرض الأدباء أعمالي الأدبية ومن ضمنهم الأستاذ عباس العسكر حينما قرأ ديوان تهاويل عبقر فقال هذين البيتين:

قــرأتــكَ شــعــراً يــدقُ الــقــلــوب
ويــنــطــقُ فــيــهِ شــعــور الــنــغــم

وجــدتُــكَ مــثــل الــنــســيــم الــذي
تــهــادى بــرفــقٍ فــهــزَ الــقــلــمْ

ونقل هنا الرأي الأدبي للأستاذ عبد المقصود محمد خوجه بالنص الحرفي في إصداراتي التي قرأها وهذا نصها حرفياً:

سعادة الأخ الأستاذ محمد سعيد الخنيزي حفظه الله السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

أشكر لكم إهدائي كتبكم اللافتة «تهاويل عبقر» الذي احتوى على ثمان وخمسون قصيدة تنوعت موضوعاتها بين

الوجدانية والذاتية والرثاء وتميزت بجزالة مفرداتها ووضوح معانيها والمعري الشاك الذي تناولتم فيه الشاعر والفيلسوف أبي العلاء المعري من خلال اللزوميات واستنطقتم الشاعر على أحسن ما يكون وكان لكم ما أردتم والشعر ودوره في الحياة رومانسيون والذي تحدثتم فيه عن عدد من الشعراء ومؤلفاتهم سائلاً المولى أن يزيد في عطائكم لما يشكله من إضافة قيمة للساحة الثقافية العربية.

ولكم تحيات وتقدير

عبد المقصود محمد سعيد خوجه

كما نرفق صورة من النص الأدبي التقريضي.

كما كتب العلامة الأستاذ الشيخ جعفر ملا حسن الربح مقدمة شمليه جسدت حياتي بأسلوب فني نشرت لي ديوان إيحاءات سماوية المنشور عام ١٤٣٤هـ الموافق ٢٠١٣م مطابع المصطفى للتحقيق والنشر كما نشرت في أحد أعداد مجلة الخط.

أعمالي العلمية والأدبية:

اسم الكتاب	اسم المطبعة	سنة الطبع	نوع الكتاب
النغم الجريح	دار مكتبة الحياة - بيروت	١٣٨١ ١٩٦١	شعر
شيء اسمه الحب	مكتبة الأنجلو المصرية	١٣٩٦ هـ - ١٩٧٦م	شعر
شمس بلا أفق	الدار العالمية - بيروت	١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م	شعر
مدينة الدراري	مطابع الرضا - الدمام - السعودية	١٤١٤ هـ.١٩٩٣ م	شعر
كانوا على الدرب	مؤسسة البلاغ - بيروت	١٤١٦ هـ - ١٩٩٥ م	شعر
تهاويل عبقر	مؤسسة البلاغ بيروت	١٤٢٢هـ ٢٠٠٢م	شعر
أوراق متناثرة	دار المحجة البيضاء بيروت	ط١ ١٤٢٨هـ	شعر
إيحاءات سماوية	مؤسسة المصطفى للتحقيق والنشر	ط١ ١٤٣٤هـ ٢٠١٣م	شعر
«خيوط من الشمس» قصة وتاريخ	مؤسسة البلاغ - بيروت	١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م	مجلدين نثر

الشعر ودوره في الحياة: أنجز منه مجلدين (المجلد الأوَّل ـ في جزأين) يحتوي على العصر الجاهلي، وعصر النور «الإسلام» والأموي والعباسي، وفترة الفكر الانتكاسية، والجزء الثَّاني يحتوي على دراسة حياة بعض الشعراء للأقطار العربية. المجلد الثاني (في جزأين) الثالث خاص بشعراء المملكة الرومانسيين والجزء الرابع خاصٌ بثلة من شعراء القطيف الكلاسيكيين.			
العبقري المغمور	مؤسسة البلاغ ـ بيروت	١٤٢٤ هـ ـ ٢٠٠٣ م	نثر
ذكرى أبو نسيم	الخبر	١٤٢٧ هـ	نثر
أضواء من النقد في الأدب العربي	مؤسسة البلاغ ـ بيروت	١٤٢٥ هـ.٢٠٠٤ م	نثر
أشباح في الظلام	دار المحجة البيضاء	ط ١ ـ ١٤٢٧ هـ	نثر
المعري الشاك	دار المحجة	ط ١ ـ ١٤٢٨	نثر
دراسات في شعر أبي نواس	دار المحجة البيضاء	١٤٣٠ هـ ط١ ٢٠٠٩ م	نثر
ومضات وراء الغيوم	دار المحجة البيضاء بيروت	١٤٣٢هـ ٢٠١١,م	قصة مسرحية نثر
أيام في لندن	دار المحجة البيضاء بيروت	١٤٣٤هـ ٢٠١٣م	نثر
لمحات من وراء القرون	دار المحجة البيضاء بيروت	١٤٣٤هـ ٢٠١٣م	نثر

أطياف وراء السديم	مخطوط		شعر
أيام من الماضي	مخطوط		نثر
من ذاكرة التاريخ	مخطوط		نثر
تأملات	مخطوط		نثر
أحداث تاريخية	مخطوط		نثر
ثمانية وثلاثون يوم في مدينه الضباب			

الفهرس

لعل من الخير أن أرسم خاطرتي التي مرت عليّ في رحلتي العلاجيّة وأسجل كل ما مرّ بها من أفكار أدبيّة أو علميّة وكل ما مر بها من أحداث لتكون ذكرى للأجيلال وفصلاً من فصول حياتي.

وقد يقول معترض : ما فائدة هذه الخطرات الشخصيّة لأنها تختص بحياةٍ شخصيّة وكيف يصح لك أن تذيعها على الجمهور.

فجوابي : إذا كان الجمهور منغلقاً فقد يستنكرها ولا يقبل بها .

أما إذا كان المجتمع منفتحاً فيرحب بها ويعدها من المذكرات المرغوب في قراءتها ويرحب بنشرها ويحثّ لقراءة هذا اللون من القصص والحكايات أكثر من الذين يقفون ضدها؛ لأن هذه القصص والحكايات يرغب في قراءتها الشباب المنفتح الصاعد الذي يتطلع الى الحياة المستقبليّة ويأخذ منها عبرة وعبراً فالماضي مرآة للحاضر ومن لا ماضيَ له لا حاضر له.



أطياف للنشر والتوزيع

هاتف / فاكس : ٨٥٤٩٥٤٥ (٣ ١) ٩٦٦ +

القطيف - شارع القدس

ص.ب ٦١٢١٥ القطيف ٣١٩١١

المملكة العربية السعودية

E-mail: Atyaf.qatif@gmail.com



